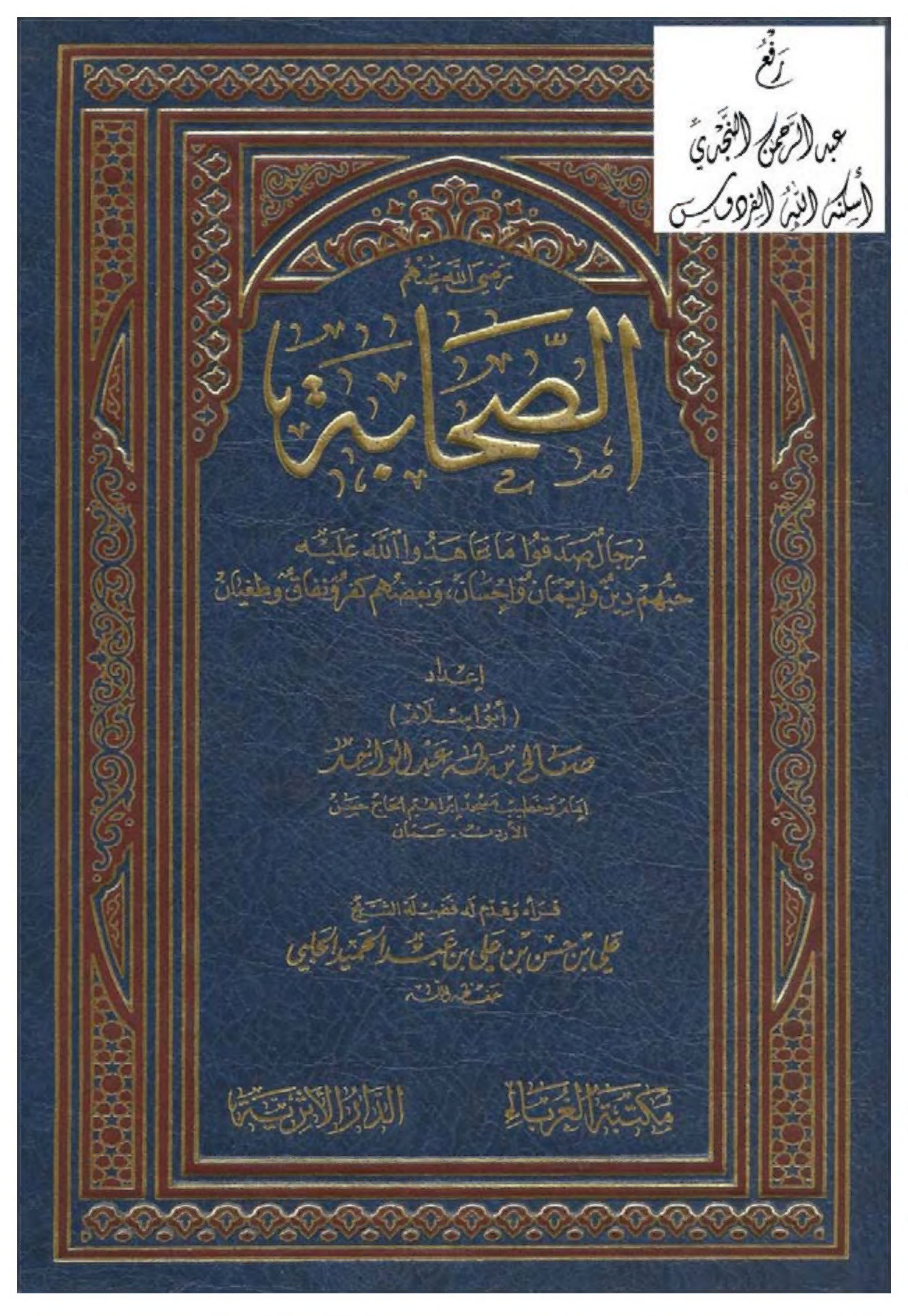


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
رضي الله عنهم
الصحابة
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان
إعداد
(أبو إسلام)
صالح بن طه عبد الواحد
إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
الأردن - عمان
قرأه وقدم له فضيلة الشيخ
علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي
حفظه الله
مكتبة الغرباء
الدار الأثرية


الصحابة
رضي الله عنهم
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/٩/٢٥٧٣)

٢٣٩,٥
عبد الواحد صالح طه
الصحابة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه/ صالح طه
عبد الواحد. عمان: المؤلف، ٢٠٠٦.
(٧٠٨) ص.
ر.إ: (٢٠٠٦/٩/٢٥٧٣).
الواصفات: / الإسلام// التاريخ الإسلامي// السيرة النبوية/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

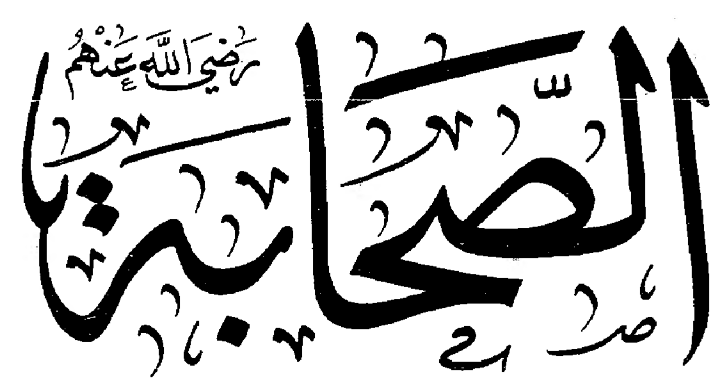
الطبعة الأولى
رمضان ١٤٢٧

مكتبة الغرباء

الأردن - عمان - هاتف: ٤٧٨٩٣٩٩

الدار الأثرية

عمان - الأردن - تلفاكس: ٦٥٦٥٨٠٤٥ / ٩٦٢٠٠
خلوي: ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ / ٩٦٢٠٠ - ص.ب: ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي: ١١١٩٠
الرمز الإلكتروني: alatharya1423@yahoo.com



الصحابة رضي الله عنهم

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان

إعداد

(أبو إسلام)

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

قرأه وقدم له فضيلة الشيخ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي

حفظه الله

مكتبة الغرباء

الدار الأثرية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حقّ حمدِه، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه وعبدِه، وعلى آله وصحبهِ ووفده، أما بعد:

فلقد اطّلعْتُ على مواضعَ عديدةٍ من هذا الكتاب النافع «الصحابة ﷺ»؛ فرأيتُهُ يجمعُ أمرين مهمَّين:

الأول: حُسْنُ الجمعِ والتبويب والترتيب.

الثاني: جمال المادة العلميّة، ورفعتُها العليّة.

.. وما ذاك إلا بسبب عظمة الموضوع، وكِبَرِ قَدْره، وجليل مكانتهِ؛ فهو يتكلم عن الصحابةِ الأبرار؛ أُمناءِ الشريعة، وحُماة الوحي -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وأصلُ هذا الكتاب سلسلةُ خُطَب جُمَعَةٍ نافعةٍ، ألقاها فضيلة الأخ الشيخ أبي إسلام -زاده الله من فضله- في مسجده المبارك (مسجد إبراهيم الحاج حسن) -في عمّان- ومِن محاسن التوفيق الربّاني أن يكون صدورُ هذا الكتاب النافع في هذه الأيامِ الصعبةِ؛ حيث قَوِيَتْ شوكةُ الروافض، وفُتِّحت لهم الأبواب، ويُسِّرت لهم الأسباب..

وإنّ مِن أشنعِ ما يقومُ عليه دينُ الروافضِ سَبَّ الصحابةِ، بل تكفير أكثرِهم، والتبرُّؤَ منهم..

أَلا قاتَلَ اللهُ كُلَّ من له في ذلك أدنى نصيب، مِن بعيدٍ أو قريب.

فجزى الله أخانا المؤلِّفَ خيراً على هذه الجهود الميمونة، والمسالك المأمونة: التي تُعَظِّمُ في الأُمّةِ حُبَّ الشرع الحكيم، واتِّباعَ النبيِّ الكريم ﷺ، وفضلَ الصَّحب الأمين.

وإنِّي لأَسألُ الله -تعالى- لأخينا الفاضل المزيدَ من الخير، والمزيدَ من البِرِّ، والمزيدَ مِن العلمِ النافعِ والعمل الصالح.

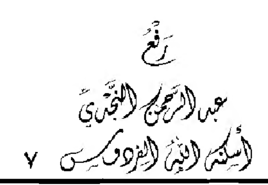
إنّه -سبحانه- سميعٌ مجيبٌ.

وكتبه

علي بن حسن بن علي بن

عبد الحميد الحلبي الأثري

١٨/صفر/١٤٢٥هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينهُ ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار.

بعد أن انتهينا من الحديث عن خير البشر محمد ﷺ بدأنا في الحديث عن خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين ألا وهم أصحاب محمدٍ ﷺ ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمدٍ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئٌ)[1].

فالصحابة هم خير البشر بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٧٧)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٤/ ٨٥)، و«المعجم الكبير» (٩/ ١١٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٧٩) والحديث: إسناده حسن.

• وهم المؤمنون حقاً: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال:٢-٤].

• وهم الصادقون: قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝﴾ [الحشر:٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝﴾ [الحجرات:١٥].

• وهم الرجال: قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝﴾ [النور:٣٦-٣٧].

- الصحابة ١ من سلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [التوبة:١٠٠].
- ومن سلك سبيلاً غير سبيلهم شقي في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ [النساء:١١٥].
- الصحابة ١ حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان انطلاقاً مما سبق فقد قمنا بالحديث عن جُلِّ الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- ليهلك من هلك عن بية ويحيى من حيّ عن بينة.

كتبه: صالح بن طه عبد الواحد

أبو إسلام

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

عمان-الأردن

الخطبة الأولى

فضائل الصحابة رضي الله عنهم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدى هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع سلسلةٍ جديدة من المواعظ بعنوان: «**رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه**».

عباد الله: أتدرون من هؤلاء الرجال؟

هم أصحاب محمد ﷺ، هم الرجال، وهم الصادقون.

فهم الرجال حقاً كما وصفهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

أصحاب محمد ﷺ هم الصادقون كما وصفهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨].

عباد الله! فالرجال الذين صدقوا، هم أصحاب محمد ﷺ، صدقوا مع الله، وصدقوا مع رسول الله ﷺ، وصدقوا مع أنفسهم، وصدقوا مع الناس.

أصحاب محمد ﷺ اعتزوا بالإسلام، فأعزهم اللهُ بالإسلام. أصحاب محمد ﷺ حملوا الإسلام في قلوبهم، ففتحوا به قلوب العباد والبلاد: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ أمور:

الأمر الأول: أنّ أصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة».

وقال ابن كثير -رحمه الله-: «والصحيح أنّ هذه الآية عامةٌ في جميع كل قرنٍ بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

كيف لا؟! ورسولنا ﷺ يقول: «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدِهم يمينه، ويمينه شهادتهُ»[2].

عباد الله! بعد أن انتهينا من الحديث عن خير البشر سيد ولد آدم محمد ﷺ، كان من المناسب أن نبدأ في هذا اليوم بالحديث عن خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين وهم أصحاب رسول الله ﷺ. قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه؛ فكانوا خير الصّحْبِ، عزَّروه، ووقروه، وأحبوه، وتبعُوه، ونصروه، وكان ﷺ أحب إليهم من الولد والوالد بل من النفوس التي بين الجُنوب.

يقول عمر يوماً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليّ من كلِّ شيء، إلا من نفسي. فقال ﷺ لعمر: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنه الآن والله! لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال ﷺ: «الآن يا عمر»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٣).

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٩).

(٣) رواه البخاري (٦٢٥٧).

كيف لا؟! والنبي ﷺ يقول لهم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»[١].

يقول ابن مسعود ﷺ: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيءٌ»[٢].

ويقول ابن عمر ﷺ: «من كان مستناً فليستن بمن قد مات؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ؛ كانوا خير هذه الأمة؛ أبرُّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، وكانوا على الهدى المستقيم»[٣].

الأمر الثاني: أن سبيل الصحابة ﷺ هو سبيل النجاة، وهو المنهج الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة، وهو سبيل المؤمنين الذي أمرنا الله في كتابه باتباعه، وأمرنا النبي ﷺ في سنته بالتمسك به، وأن نعض عليه بالنواجذ.

---

(١) رواه البخاري (١٤)، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.

(٢) «مجمع الزوائد» للهيثمي (١/ ١٧٧)، «المعجم الأوسط للطبراني» (٤/ ٥٨)، و«المعجم الكبير» (٩/ ١١٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٧٩)، والحديث: إسناده حسن.

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، وذكره البغوي عن ابن مسعود (١/ ٢١٤).

عباد الله! والأدلة كثيرة جداً في كتاب ربنا، وفي سنة نبينا تأمر باتباع منهج الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً: الأدلة من كتاب ربنا:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]. فكن ممن اتبع هؤلاء الذين اتبعوا أصحاب رسول الله ﷺ بإحسان لتكون ممن رضي الله عنهم.

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١]. والصحابة لم يسألوا أحداً أجراً على دعوتهم لهذا الدين، وهم مهتدون بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]، والصحابة رضي الله عنهم قد اتبعوا الرسول ﷺ، ودعوا الناس إلى الإسلام، فوجب علينا إتباعهم.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

ولا شك ولا ريب أن الصحابة رضي الله عنهم هم أئمة الصادقين؛ فوجب علينا ولا ريب أن نكون معهم -أي: على منهجهم-، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «ووجه الاستدلال بالآية: أنه تعالى أخبر عن المعتصمين به؛ بأنهم هدوا إلى الحق. فنقول: الصحابة -رضوان الله عليهم- معتصمون بالله فهم مهتدون؛ فاتباعهم واجب»[1].

وقال تعالى محذراً أولئك الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل المؤمنين -أي: غير سبيل الصحابة-: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ووجه الدلالة: أن الآية جعلت مخالفة سبيل المؤمنين سبباً لتولي سبل الضلال وصليِّ جهنم، كما دلت على أن إتباع الرسول ﷺ هو مِن أعظم أصول الإسلام، وهو مستلزماً لسلوك سبيل المؤمنين وموجباً له.

وسبيل المؤمنين هو أقوال وأفعال الصحابة رضي الله عنهم دل على هذا قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾. والمؤمنون آنئذ هم الصحابة، ليس إلا[2].

وهذا يدل على أن إتباع سبيل الصحابة رضي الله عنهم في فهم شرع الله؛ واجبٌ، ومخالفته ضلال.

وقال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

---

(١) ذكره في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/ ١٣٤).

(٢) قاله ابن القيم رحمه الله.

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: «والصراط المستقيم هو: صراط الأنبياء قبل هذه الأمة، وصراط الصدّيقين والشهداء والصالحين منها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩]. فأولئك هم أهل النعمة والفضل، وصراطهم بمعزلٍ عن أسباب الغضب وموجبات الضلال، إذ هو تامُ الاستقامة لا عوج فيه ولا انحراف، وسلوك الصراط المستقيم فريضة واجبة على كلِّ مسلم».

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]. وإنما يكون سلوك هذا الصراط باتباع السابقين عليه في التحليل والتحريم والإيجاب، فيُتبع الرسول ﷺ في هديه وسنته، ويُتبع الصحابة فيما اختلف فيه الناس، وتشابه عليهم، لأنهم المبرؤون من الانحراف، القائمون المستقيمون على سنةِ رسول الله ﷺ.

ووجه الدلالة: أن البراءة من سُبل المغضوب عليهم والضالين -في الاعتقاد والعبادة والسياسة والأخلاق والعبادات- شرطٌ للبراءة من العذاب والغضب والضلال.

وأن هذه البراءة تكون باتباع صراط السابقين الأدلاء على الطريق، وهم من هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا يقتضي اتباعهم واقتفاء آثارهم، ولزوم هديهم.

ثانياً: الأدلة من السنة:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نُصلي معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا فقال: «ما زلتم هنا؟».

قلنا: يا رسول الله! صلينا معك، ثم قلنا نجلس حتى نُصلي معك العشاء. فقال ﷺ: «أحسنتم أو أصبتم».

قال: فرفع رأسهُ إلى السماء -وكان كثيراً ما يرفع رأسهُ إلى السماء- فقال: «النجوم أمنةٌ للسماء؛ فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعدُ. وأنا أمنةٌ لأصحابي؛ فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعدون. وأصحابي أمنةٌ لأمتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون»[1].

عباد الله! لقد جعل رسول الله ﷺ نسبة أصحابه ﷺ إلى مَنْ بعدهم في الأمة الإسلامية كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء.

وقال النووي: «ومعنى الحديث أن النجوم ما دامتْ باقية، فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة، وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقولُه ﷺ: «وأنا أمنةٌ لأصحابي؛ فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي: من الفتن والحروب، وارتداد من ارتد من الأعراب، واختلاف القلوب، ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً، وقد وقع كل ذلك. وقوله ﷺ: «أصحابي أمنةٌ لأمتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناهُ: ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك. وهذه كلها مِنْ معجزاته ﷺ»[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٨٣).

عباد الله! فهذا الحديث تضمن فضيلة الصحابة ﷺ على وجهٍ عامٍ، كما اشتمل على بيان منزلتهم ومكانتهم العالية في الأمة، وأنهم في الأمة بمنزلة النجوم في السماء، فكما أن النجوم منارٌ لأهل الأرض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر؛ -كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام:٩٧]- كذلك الصحابة يُقتدى بهم للنجاة من ظلمات الشهوات والشبهات، ومن أعرض عن فَهمهم فهو في غيه يتردى في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها.

عن العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودِّعٍ فأوصِنا قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشيٌّ. وإنه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد قرن رسول الله ﷺ سنة أصحابه بسنته وأمر باتباعها، كما أمر باتباع سنته، وبالغ في الأمر بها، حتى أمر بأن يُعض عليها

---

(١) رواه أبي داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، «سنن الدارمي» (١/ ٥٧) باب اتباع السنة، والحاكم في «مستدركه» (١/ ١٧٦ - ١٧٧)، ونقل فيه عن شعبة أنه قال: «لأن يصح لي مثل هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أحب إلي من والدي وولدي والناس أجمعين»، وقال الحاكم: وقد صح هذا الحديث والحمد لله، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦)، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في تعليقاته على سنن أبي داود وابن ماجه وهو في «الإرواء» (٢٤٥٥)، و«المشكاة» (١٦٥).

بالنواجذ، وهذا يتناول ما أفتوا به، وسنّوه للأمة وإن لم يتقدم من نبيهم فيه شيءٌ، وإلا كان ذلك سنته»[١].

عباد الله! الصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس برسولهم ﷺ وسنته فهماً وعملاً ودعوة، فوجب على من بعدهم: أن يتمسك بمنهجهم ليكون موصولاً برسول الله ﷺ ودين الله، وإلا فهو كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

وقال ﷺ في حديث الافتراق: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملةٍ كلها في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي».[٢]

قال ابن القيم -رحمه الله-: «والحديث يُبين وقوع الافتراق في الملة بعده ﷺ، وأنه يكون على ثلاث وسبعين ملةٍ، وأن الفِرق الممثلة بهذه الملل كلها في النار، وأنها تنجو فرقة واحدة -رغم انتسابها جميعها إلى الإسلام- هي: من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا يدُلك على أن فيصل التفريق بين الحق والباطل إنما هو اتباع الصحابة فيما كانوا عليه؛ لأن كل الفرق المنحرفة تنتسب إلى السنة ولا تجرؤ على التبرؤ منها.

فاتباع ما عليه الصحابة زمن النبوة، وما تركهم عليه رسول الله ﷺ هو مناط النجاة والهداية، وخلافه من سبل الفرق الهالكةِ التي هي تحت الوعيد بمخالفتها منهج الصحابة. ولا بد أن يكون الوصف المؤثر في هلاك تلك الفِرق، والذي

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٤٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم في «مستدركه» (١/ ٢١٨)، والحديث حسّنه الشيخ الألباني رحمه الله في «سنن الترمذي» و«السلسلة الصحيحه» برقم (١٣٤٨).

تعلق به وقوعهم تحت الوعيد هو مخالفةُ هدي الصحابةِ، ما دام أن الوصف الوحيد المؤثر في النجاة - كما ذكر في الحديث - موافقة منهاج النبوة أو سبيل المؤمنين الذي كان عليه الصحابة. وهذا يقتضي أن إتباع منهج الصحابة وما كانوا عليه، مما تلقوه من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ واجب؛ يَهْلَكُ بتركه الهالكون، ويَسْعَدُ بأخذه الفائزون، وهو اتباع أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم في التدين كله».

الأمر الثالث: أن الصحابة ﷺ ضربوا لنا مثالاً أعلى في كل مجالات الخير، فلا بد أن نتمسك بمنهجهم.

● في محبتهم لرسول الله ﷺ:

هذه صحابية جليلة قُتل يوم أُحُد أبوها وأخوها وزوجها فلما نُعوا لها قالت: كيف فعل رسول الله ﷺ؟

قيل لها: هو على خير ما تحبين.

فقالت: دعوني أنظر إليه.

فلما رأتهُ قالت: كل مصيبة دونك جللٌ يا رسول الله -تريدُ صغيرة-[1].

وهذا صحابيٌّ جليل أسرته قريش فأخذوه ليقتلوه، فقال له أبو سفيان: يا زيدُ! أنشدك الله! أتحبُّ أن محمداً مكانك الآن تُضرب عنقهُ وأنت جالسٌ في أهلك؟

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٤)، السيرة النبوية لأبن هشام (٢/ ٩٩).

فقال زيدٌ ﷺ: والله! ما أحبُّ أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه، وأنا في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً![1]

وفي هذا الصحابي يقول القائل:

أسرت قريش مسلماً فمضى بلا وجلٍ إلى السَّيّافِ
سألوه هل يرضيك أنك سالمٌ ولك النبيُّ فدىً مِنَ الإتلاف
فأجاب: كلا لا سلمت من الردى ويصاب أنف محمدٍ برعاف

أين تَربى هؤلاء؟! ثم يأتي في القرن العشرين خبيث ضال شيعي رافضي يسب هؤلاء؟!

وهذا أبو طلحة ﷺ يوم أُحدٍ يرمي أعداء الله بسهامه. فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف؛ يُصيبُك سهم من سهامهم، نحري دون نحرك»[2].

ما هذا الحب؟! قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولنصرة دينه.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٩)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٠)، ومسلم (١٨١١).

● **في الاستجابة لله ولرسوله ﷺ وفي الشجاعة والتضحية والعطاء:**

عندما استشار النبي ﷺ أصحابه في غزوة بدرٍ- لَمَّا لاقوا العدو على غير ميعاد وغير استعداد- فقال لهم: «أشيروا عليَّ أيها الناسُ»، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله! امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَركِ الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليَّ أيها الناس؟ وإنما يريد الأنصار، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ. قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.

قال سعدُ: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحدٌ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدق عند اللقاء؛ ولعل الله يُريك منا ما تقر به عينك، فسِرْ على بركة الله. فسُرّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشَّطه، ثم قال ﷺ: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»[1].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٦)، «السيرة النبوية لابن هشام» (٣/ ١٦٢)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، «السيرة النبوية الصحيحة» للعمري (ص٣٥٨-٣٥٩).

إنهم الرجال! إنهم الصادقون! اختارهم الله لصحبة نبيه، ولحمل هذا الدين بعد نبيه. فوالله لقد أدوا الأمانة بعد نبيهم، وفتحوا قلوب العباد والبلاد، وجئنا نحن من بعدهم فضيعنا العباد والبلاد وإنا لله وإنا إليه راجعون.

• في الإِنفاق في سبيل الله..

فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يأتي بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ، فيقول له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟»، فيقول عمر: مثله يا رسول الله.

وهذا أبو بكر رضي الله عنه يأتي بكل ماله، فيقول له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فيقول أبو بكر: أبقيت لهم الله ورسوله.[1]

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ، بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، فصبّها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها وهو يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يردد ذلك مِراراً[2].

ثم يأتي في القرن العشرين من يسب هؤلاء! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٦٧٥)، أبي داود (١٦٧٩)، «البيهقي في السنن الكبرى» (٤/ ١٨٠)، «مسند البزار» (١/ ٢٦٣)، «السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٩)، بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وأبي داود».

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٣٦)، (٩/ ٩٤)، و«المعجم الكبير» (١٨/ ٢٣١)، و«مسند الروياني» (٢/ ٥٠٧)، ومسند الإمام أحمد (٥/ ٦٣)، والحديث: حسّنه الشيخ الألباني رحمه الله في سنن الترمذي وهو في «المشكاة» برقم (٦٠٦٤).

وهذا أبو طلحة الأنصاري ﷺ عندما سمع قول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قام إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبُّ أموالي إليّ «بَيرُحاء» وإنها لصدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله»[١].

وهذا كعب بن مالك ﷺ عندما تاب الله عليه. ذهب فجلس بين يدي رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله[٢]. أعرفتم صحابة رسول الله؟ قمة في كل شيء. نحن الآن منعنا الزكاة، وهم يأتون بكل أموالهم في سبيل الله! ينفقون مما يحبون.

• في التضحية وطلب الشهادة في سبيل الله..

فهذا أعرابيٌّ أتى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، فلما كانت غزوة، غنم النبي ﷺ سبياً فقسّمه، وقسم له فجاء الأعرابي فقال: ما هذا يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: «قسمته لك».

قال الأعرابيُّ: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أُرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه- بسهم، فأموت فأدخل الجنة.

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤١٥٦).

فقال: «إن تصدق الله يصدقك».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل، قد أصابه السهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟».

قالوا: نعم.

قال ﷺ: «صدق الله فصدقه». ثم كفنه النبي ﷺ وصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدُك، خرج مهاجراً، فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك»[١].

وهذا عُمير بن الحُمام ﷺ يوم بدر؛ عندما قال النبي ﷺ لأصحابه: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

قال عمير: بخ بخ!

فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ».

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها.

فقال ﷺ: «فإنك من أهلها».

فأخرج عُمير تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياةٌ طويلة! فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل[٢].

عباد الله! الصحابة الكرام ﷺ هم أعلام الفضيلة، ودعاة الهداية، الذين حملوا نور الإسلام في أنحاء المعمورة، وأنقذوا البشرية من أغلال الوثنية،

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٨٨)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٤/ ١٥)، و«مصنف عبدالرزاق» (٣/ ٥٤٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١/ ٦٣٤)، والنسائي في «المجتبى» (١٩٥٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن النسائي» وفي «أحكام الجنائز» (ص٦١).

(٢) رواه مسلم (١٩٠١).

وأرسوا قواعد الحق والخير والعدل للإنسانية، نشروا كلمة الله حتى علت في الأرض، ورفرف علمُ الإسلام في الآفاق، ولقد بذلوا في سبيل ذلك قصارى جهدهم، سهروا من أجل تبليغ كلمة الله ونشرها الليل والنهار دون مللٍ أو كلل؛ بل كانوا كما أخبر الله عنهم: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ [آل عمران:١٤٦].

لم يميلوا إلى دعةٍ، ولا أخلدوا إلى راحةٍ، لم تغرهم الحياة الدنيا بزخارفها، ضحوا بكل غالٍ ورخيص، لكي يُخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد[1].

الأمر الرابع: أن هناك من فِرق الضلالة كالشيعة الشنيعة والخوارج وغيرهم ممن يقع في الصحابة الكرام رضي الله عنهم بالسبِّ والشتم والتكفير، ويتقرب بذلك إلى الله ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾:

عباد الله! فأردنا بهذه الخطب أن ندافع عن الصحابة رضي الله عنهم فهذا واجب على كل مسلم، ونبين أن من سبَّ الصحابة فهو مريض القلب خبيث زنديق.

عباد الله! وقد جاءت الأدلة في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وأقوال السلف الصالح تحرِّم سب الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (١/ ١٠).

ففي كتاب ربنا:

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [الحشر:٨-١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

عباد الله! يتبين لنا من الآيتين أن الذين يسبون الصحابة ليسوا ممن اتبعوهم بإحسان، والذين يسبون الصحابة هم من مرضى القلوب وهم زنادقة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝﴾ [الأحزاب:٥٧].

والذين يسبون أصحاب رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ؛ ومن آذى رسول الله؛ فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون -أي: مطرود من رحمة الله-.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝﴾ [الأحزاب:٥٨].

ووجه الدلالة من الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنهم في صدارة المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات:١٢].

فإذا كانت الغيبة حرامٌ في حق أي مسلم؛ فهي في حق الصحابة أشد حرمة. فياويل من وقع في غيبة الصحابة رضي الله عنهم.

ومن سنة نبينا ﷺ:

قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً؛ ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[١].

وقال ﷺ: «من سبَّ أصحابي؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٢].

أبشروا يا معشر الشيعة والروافض والخوارج، يا من يتشدقون بسب الصحابة أبشروا بهذا الوعيد واللعنة -وهي الطرد من رحمة الله-.

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٣] فإذا كان هذا الوعيد يلحق من سبَّ أي مسلم كان، فما الشأن بمن يسب خيار المسلمين والأبرار من عباده المتقين وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم؟!

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٤٢) بلفظه، وروي أيضاً في «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٠٥)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢/ ٢٣٦)، و«مسند ابن الجعد» (ص٢٩٦)، واتفقوا على لفظة وهو: «ثم ومن سبّ أصحابي فعليه لعنة الله». وعلق عليه الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٣)، وقال: حديث حسن وإسناده مرسل صحيح رجاله كلهم ثقات رجال محمد بن خالد وهو: الضبي والملقب بسور الأسد وهو صدوق، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠) و«صحيح الجامع» (٦٢٨٥).

(٣) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

وقال ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[١]. أي: أمسكوا ألسنتكم فيما شجر بينهم.

وقال ﷺ: «أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[٢].

عباد الله! الأحاديث التي اشتملت على تحريم سبّ الصحابة ﷺ كثيرة؛ فالواجب على كل مسلم أن يحذر من الوقوع في ذلك، ويعتقد حرمة ذلك، وأنه مِن أعظم الذنوب التي لا يقع فيها إلا رافضي غال، جعل للشيطان على نفسه سبيلاً يتبعه في كل شيء يأمره به مما فيه معصيةً لله -عز وجل-.

والحاصل مما تقدم: أن السنة دلت على أن سبّ الصحابة من أكبر الكبائر وأفجر الفجور، وأن من ابتلى بذلك فهو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد وفق الله الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة- إلى احترام الصحابة، ومعرفة حقهم وذكرهم بالجميل اللائق بهم، وحفظوا رسول الله ﷺ فيهم حيث اعتقدوا ما دل عليه الكتاب والسنة فيما يجب لهم من الحق على الخلق بعدهم، حفظ الله أحياءهم ورحم موتاهم[٣].

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢/ ٩٦)، (١٠/ ١٩٨)، «التمهيد» لابن عبدالبر (٦/ ٦٨)، وذكره ابن حبان في المجروحين (٣/ ١١٥)، والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع (٣٥٩٥).

(٢) رواه أبي يعلى في «مسنده» (١/ ١٣٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٢/ ٣٩٩)، و«مسند الحارث بزوائد الهيثمي» (٢/ ٦٣٥)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٣٠).

(٣) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (١/ ٨٤٤).

ومن أقوال السلف:

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذِكرُ محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي شجر بينهم؛ فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم، أو تنقص أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم، أو عاب أحداً منهم؛ فهو مبتدعٌ رافضيٌّ خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

بل حبهم سنةٌ، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس؛ لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص[1].

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته -عقيدة أهل السنة والجماعة-: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[2].

اللهم اجمعنا مع صحابة رسول الله في الجنة مع نبينا ﷺ.

---

(١) «السنة» للإمام أحمد (ص٧٨).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).



الخطبة الثانية

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أولاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر رضي الله عنه

أيها الأخوة عباد الله! قال الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع خليفة رسول الله ﷺ، مع صدّيق هذه الأمة الأكبر، مع أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

عباد الله! أتعرفونه؟

هو: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التميمي، يجتمع نسبه مع نسب النبي ﷺ في مرة بن كعب.

وأبوه: أبو قحافة، عثمان بن عامر بن عمرو.

وأمه: أم الخير، سلمى بنت صخر بن عامر ابنةَ عم أبيه.

كنيته: أبو بكر.

ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر.

هو أول من آمن من الرجال، أسلم أبوه وأمه وزوجه وأولاده -رضي الله عنهم جميعاً-.

عباد الله! وحديثنا عن أبي بكر رضي الله عنه في هذا اليوم - إن شاء الله تعالى - سيكون فقط عن **عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه**.

عباد الله! ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب أن أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين هو أبو بكر رضي الله عنه، وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

عباد الله! وقد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم. ومن اعتقد خلاف ذلك؛ فهو مبتدع خبيث زنديق رافضي.

الأدلة من كتاب ربنا على فضيلة الصديق رضي الله عنه:

١- هو الصاحب في الغار:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٢٠].

عباد الله! أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب المذكور من الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه[١].

وقال سفيان بن عيينة: عاتب الله المسلمين كلَّهم في رسول الله ﷺ إلا أبا بكر وحده؛ فإنه خرج من المعاتبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[٢].

وقال ابن جرير -رحمه الله تعالى-: وإنما عنى اللهُ -جلَّ ثناؤه- بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه؛ لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ همّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار، وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يقول: إذ رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه في الغار. وقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ يقول: إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾؛ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما؛ فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأن الله معنا، والله ناصرنا؛ فلن يعلم المشركون بنا؛ ولن يصلوا إلينا[٣].

عباد الله! فالآية دلت دلالة واضحة على فضل أبي بكر رضي الله عنه؛ حيث جعله الله ثاني النبي ﷺ بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ وما ذلك إلا لأن الصديق بلغ النهاية في الفضل رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) «الإصابة» (٢/ ٣٣٥)، «تحفة الأحوذي» (١٠/ ١٥٤).

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ١٩٩).

(٣) «جامع البيان» (١٠/ ١٣٦).

٢- هو الصدّيق الذي صدّق رسول الله ﷺ في كل شيء:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٤].

روى ابنُ جرير -رحمه الله تعالى- بإسناده إلى عليٍّ رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: محمد ﷺ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ قال: أبو بكر رضي الله عنه[1]. كيف لا؟! وأبو بكر رضي الله عنه كان شعاره دائماً مع رسول الله ﷺ: «إن كان محمدٌ قد قال ذلك؛ فقد صدق».

٣- هو الصالحُ:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤].

عباد الله! ذهب كثير من المفسرين منهم عبد الله بن عباس، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، ومجاهد، والضحاك إلى أن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[2].

٤- هو الذي يريد ما عند الله من الأجر والثواب فقط:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧].

---

(١) «جامع البيان» (٢٤/ ٣)، «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٨).

(٢) «جامع البيان» (٢٨/ ١٦٢-١٦٣)، وابن كثير (٧/ ٥٦).

عباد الله! ذكر ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ.

فقد روى بإسناده إلى عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يعتق على الإسلام، بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن.

فقال له أبوه: أي بني، أراك تعتق أُناساً ضعفاء! فلو أنك تعتق رجالاً جلداً؛ يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك.

قال أبو بكر: أي أبت! إنما أريد ما عند الله.

قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝﴾[1].

٥- هو الأتقى:

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝﴾ [الليل:١٧-٢١].

عباد الله! هذه الآيات ذكر الكثير من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر ﷺ.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ؛ حتى إن بعضهم حكى الإجماع من

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٢١)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٢١)، «جامع البيان» (٣٠/ ٢٢١).

المفسرين على ذلك؛ ولا شك أنه داخلٌ فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها؛ لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝﴾ وأنه في مقدمة الأمة، وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صدّيقاً تقيّاً كريماً جواداً بذّالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ.

فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم؟! ولم يكن لأحدٍ من الناس عنده مِنَّة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل.

ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية-: أما والله! لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها؛ لأجبتُك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالةِ. فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب، ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝﴾[1].

٦- هو الوقّاف عند كتاب الله:

تقول عائشة رضي الله عنها: فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطحٍ شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال -وكان ينفق على مسطح لقرابته منه، وفقره-.

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣١٠-٣١١).

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

قال أبو بكر: بلى؛ والله إني أحبُّ أن يغفر الله لي، فرجَعَ إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: «والله لا أنزعها منه أبداً»[1].

فانظروا عباد الله! كيف كان أبو بكر ﷺ وقافاً عند كتاب الله؟! نعم والله! قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه؛ أفضلهم أبو بكر ﷺ.

ثم بعد هذه الآيات يأتي مبتدع خبيث زنديق يسبُّ أبا بكر الصديق؟!!

ثانياً: الأدلة من سنة نبينا ﷺ على أن أبا بكر ﷺ هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ:

عباد الله! ١ - أبو بكر ﷺ ومشاركته للنبي ﷺ في معية الاختصاص.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ صريح في مشاركة الصديق للنبي ﷺ في هذه المعية التي اختص بها الصديق لم يُشركه فيها أحدٌ من الخلق .. وهي تدل على أنه سبحانه معهم بالنصر والتأييد والإعانةِ على عدوهم[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٩١٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٢٤٢).

ويقول أنس بن مالك ﷺ: حدثني أبو بكر ﷺ فقال: نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال ﷺ: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما!»[1].

عباد الله! وهذا الحديث تضمن منقبة عظمية ظاهرة لأبي بكر ﷺ، وتلك المنقبة أنه ﷺ كان ثاني اثنين ثالثهما ربُّ العالمين.

٢- هو ﷺ الذي قدم نفسه وماله بين يدي رسول الله ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله» فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه؛ أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ؛ فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا.

فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودّته؛ لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبا بكر»[2].

عباد الله! وفي هذا الحديث فضيلةٌ لأبي بكر ﷺ؛ حيث كان أعلم الصحابة ﷺ برسول الله ﷺ وبما يقوله عليه الصلاة والسلام؛ فقد فهم أبو بكر ﷺ المراد بالعبد المخير وأنه الرسول ﷺ؛ فبكى حزناً على فراقه وانقطاع الوحي.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٨٦)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٤٥٤).

وفي الحديث أيضاً فضيلة لأبي بكر ﷺ؛ فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لو صلُح له أن يتخذ أحداً من الناس خليلاً لاتخذ أبا بكر دون سواه. وقال ﷺ: «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها إلا الصديق، فإنه له عندنا يداً يُكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحدٍ قط ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»[1].

٣- أبو بكر ﷺ أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ:

عن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته، فقلتُ: أيَّ الناسِ أحبُّ إليك؟

قال ﷺ: «عائشة».

فقلتُ: من الرجال؟

قال ﷺ: «أبوها».

قلت: ثم مَن؟

قال: «ثم عمر بن الخطاب» فعدَّ رجالاً[2].

عباد الله! هذا الحديث فيه تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة ﷺ وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٦١)، والحديث علق عليه الألباني في «سنن الترمذي» وقال: ضعيف دون قوله: «وما نفعني..» فصحيح. وفي تخريج «مشكلة الفقر» (١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٣) انظر «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٥٣-١٥٤).

٤- أبو بكر رضي الله عنه يشهد له رسول الله ﷺ بصدق الإيمان وقوة اليقين:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راعٍ في غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: مَن لها يوم السَّبُع، يوم ليس لها راعٍ غيري؟

وبينا رجلٌ يسوق بقرةً قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكن خُلِقتُ للحرث».

فقال الناس: سبحان الله!

قال النبي ﷺ: «فإني أُومِنُ بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما»[(١)].

عباد الله! وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرةٌ لأبي بكر وعمر؛ حيث أخبر عليه الصلاة والسلام أنهما يؤمنان بذلك ولم يكونا في القوم عند حكاية النبي ﷺ ذلك.

قال الإمام النووي -عند قوله ﷺ: «فإني أومن به وأبو بكر وعمر»-: قال العلماء: إنما قال ذلك ثقة بهما؛ لعلمه بصدق إيمانهما، وقوة يقينهما، وكمال معرفتهما لعظيم سلطان الله وكمالِ قدرته، ففيه فضيلة ظاهرة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٢)].

٥- أبو بكر رضي الله عنه يشهد له رسول الله ﷺ بالصدِّيقية: وهي منزلةٌ تأتي بعد منزل الأنبياء وقبل منزلة الشهداء:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٢) «شرح النووي» (١٥/ ١٥٦).

كيف لا وقد صعد النبي ﷺ أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال ﷺ: «اثبتْ أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان»[(١)].

دلَّ هذا الحديث على منقبةٍ عظيمة لأبي بكر ﷺ وهي «وصديقٌ» فقد لقبه النبي ﷺ بهذا اللقب الشريف.

وكان عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يحلفُ أنّ الله - عز وجل - أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق)[(٢)].

٦- أبو بكر الصديق ﷺ الذي غضب رسول الله ﷺ لغضبه، وحذر أصحابه أن يُؤذوه ولو بكلمةٍ:

يقول أبو الدرداء ﷺ: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه.

فقال النبي ﷺ: «أما صاحبُكم فقد غامر» -أي: خاصم-، فسلَّم -أي: على رسول الله ﷺ-، وقال: يا رسول الله! إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعت إليه ثم ندمتُ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك فقال ﷺ: «يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً)». ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثمَّ أبو بكرٍ؟

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٥٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١)، وأبو بكر الشيباني في «الآحاد والمثاني» (١/ ٧٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٩)، والحديث علق عليه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٩) وقال: رجاله ثقات.

فقالوا: لا.

فأتى إلى النبي ﷺ فسلَّم عليه، فجعل وجهُ النبي ﷺ يتمعر -أي: من الغضب- حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! والله أنا كنتُ أظلم (مرتين).

فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كَذبت، وقال أبو بكر: صَدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ (مرتين). فما أُوذي بعدها»[1].

عباد الله! قال الحافظ في (الفتح): وفي الحديث من الفوائد: فضل أبي بكر على جميع الصحابة -رضي الله عنهم- وأن الفاضل لا ينبغي له أن يُغاضب من هو أفضل منه[2].

٧- أبو بكر رضي الله عنه يشهدُ له رسول الله ﷺ بالجنة:

يقول ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٢٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٦٣)، والترمذي (٣٧٤٧)، مسند البزار (٣/ ٢٣١)، مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٣)، مسند أبي يعلى (٢/ ١٤٧) وكلهم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني كما في «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٦١١٠، ٦١١١)، وفي «الروض» (٤٢٥)، و«تخريج الطحاوية» (٧٢٨).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أخبر أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقال: لألزمنّ رسول الله ﷺ ولأكوننّ معه يومي هذا. قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج وَوَجَّه ها هنا، فخرجت على إثري أسال عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب -وبابها من جريد- حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو جالسٌ على بئر أريسٍ، وتوسَّط قُفَّها[1]، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، فسلمتُ عليه، ثم انصرفت فجلستُ عند الباب، فقلتُ: لأكوننّ بواب رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلتُ مَن هذا؟ فقال: أبو بكر.

فقلت: على رِسْلِكَ، ثم ذهبتُ فقلتُ: يا سول الله هذا أبو بكرٍ يستأذنُ.

فقال ﷺ: «ائذن له وبشره بالجنة». فأقبلت حتى قلتُ لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يُبشِّرُك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفِّ ودلى رجليه في البئر -كما صنع النبي ﷺ- وكشف عن ساقيه، ثم رجعتُ فجلستُ -وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني- فقلت: إن يُرد اللهُ بفلانٍ خيراً -يريد أخاه- يأت به.

فإذا إنسانٌ يحرك الباب، فقلت: من هذا؟

فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رِسْلِكَ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ، فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن.

---

(١) قُفَّ البئر: هو الدَّكَّة التي تُجعل حولها. وأصل القُفّ: ما غلظ من الأرض وارتفع.

فقال ﷺ: «ائذن له وبشرهُ بالجنة»، فجئت فقلت: ادخل بَشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفِّ عن يساره، ودلى رجليه في البئر.

ثم رجعتُ فجلست فقلت: إن يُرِدِ الله بفلانٍ خيراً يأت به، فجاء إنسان يُحرّك الباب، فقلت: من هذا؟

فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رِسْلِك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ائذن له، وبشِّرهُ بالجنة على بلوى تُصيبه» فجئته، فقلت له: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تُصيبُك. فدخل فوجد القُفَّ قد ملئ، فجلس وجاههُ من الشق الآخر. قال شريك قال سعيد بن المسيَّب: فأولتُها قبورهم[1].

عباد الله! هذا الحديث فيه التصريح بفضل الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، ودل على أن أبا بكر أفضلهم؛ لسبقه بالبشارة بالجنة، ولجلوسه على يمين المصطفى ﷺ.

عباد الله! وعندما أخبر رسول الله ﷺ عن أبواب الجنة وقال: «من كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان».. فقال أبو بكر: هل يُدعى منها كلِّها أحدٌ يا رسول الله، قال ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٦).

عباد الله! هذا الحديث دلَّ على فضيلة ومنقبة عالية للصديق ﷺ، تضمنها قوله ﷺ: «وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» ورجاء النبي ﷺ واقعٌ محققٌ. وفي هذا دلالة واضحةٌ على فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، يقول ابن القيم رحمه الله في «نونيته»: عن أبواب الجنة.

وسوف يُدعى المرءُ من أبوابها	جمعاً إذ وفى حُلى الإيمان
منهم أبو بكر هو الصديق ذا	ك خليفة المبعوث بالقرآن

٨- أبو بكر الصديق ﷺ السابق بالخيرات.

يقول أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة»[1].

عباد الله! هذا الحديث اشتمل على فضائل ظاهرة للصديق ﷺ؛ فإنه كان سباقاً إلى فعل الخيرات التي تقرب العبد من الجنة وتزحزحه عن النار.

٩- أبو بكر الصديق ﷺ الذي شهد الصحابةُ له بالخيرية والفضل عليهم:

يقول ابن عمر ﷺ: «كُنَّا نُخيِّرُ بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٠٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٥).

عباد الله! هذا الحديث دلّ على أن أفضلية أبي بكر كانت ثابتة في أيامه عليه الصلاة والسلام، وأنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ.

قال الحافظ في «الفتح»: قوله: «كنا نُخيِّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ» أي: نقول: فلانٌ خير من فلان.

وفي رواية عبيد الله بن عمر -في مناقب عثمان-: «كنا لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نُفاضل بينهم» وقوله: «لا نعدل بأبي بكر» -أي: لا نجعل له مثلاً- ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر «كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان». زاد الطبراني في رواية: «فيسمعُ رسول الله ﷺ ذلك فلا يُنكره»[1].

عباد الله! فالحديث دلّ على أن أبا بكر أفضل الخلق بعد الرسول ﷺ؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

عباد الله! وهذا أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يشهدُ لأبي بكر بذلك: عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟

قال: أبو بكر. قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان؛ قلتُ: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين[2].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٦).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٨).

وقال الفاروق عمر ﷺ: أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدَنا -يعني بلالاً-[1].

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وخيرها بعد أبي بكر عمر، ولو شئت سميتُ الثالث»[2].

عباد الله! أدلة من الكتاب والسنة تدل على أن الصديق هو أفضل الناس بعد الأنبياء، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

أبعد هذه الأدلة يأتي مبتدع خبيث زنديق رافضيٌّ يسب أبا بكر الصديق ﷺ؟!

ثالثاً: وقد أجمع الصحابة ﷺ، والمسلمون من بعدهم سلفاً وخلفاً على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ، ثم سائر العشَرة، ثم باقي أهل بدرٍ، ثم باقي أهل أُحُدٍ، ثم باقي أهل بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة هكذا إجماع أهل الحق، فأبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ لا يُنازع فيه ذلك إلا زائغٌ[3].

عباد الله! وقد نَقل الإجماع على أن أفضل الناس بعد الأنبياء هو أبو بكر الصديق؛ جماعة من أهل العلم منهم:

---

(١) البخاري (٣٥٤٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ١١٠)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٨٠)، والحديث: إسناده صحيح.

(٣) انظر «لوامع الأنوار البهية للسفاريني» (٢/ ٣١٤).

• قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- فيما رواه عنه البيهقي بإسناده: «ما اختلف أحدٌ من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر، وتقديمهما على جميع الصحابة..»[١].

• وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «ونقل البيهقيُّ في «الاعتقاد» بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال: أجمع الصحابة وأتباعُهم على أفضلية أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ»[٢].

• وقال النوويُّ -رحمه الله تعالى-: «اتفق أهل السنة على أن أفضلهم -أي الصحابة- أبو بكر ثم عمر»[٣].

• وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»[٤].

• قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى-: «ونُقِرُ بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد عليه الصلاة والسلام أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليٌّ -رضي الله عنهم أجمعين-»[٥].

---

(١) «كتاب الاعتقاد» (ص١٩٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ١٧).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ١٤٨).

(٤) «الوصية الكبرى» (ص٣٢).

(٥) «الفقه الأكبر» (ص١٠٨).

• وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: «وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمرُ بعد أبي بكرٍ، وعثمان بعد عمر، وعليٌّ بعد عثمان ... وهم خلفاء راشدون مهديون»(١).

وقال أيضاً رحمه الله: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق»(٢).

• وقال ابن قدامة المقدسي -رحمه الله تعالى-: «وأفضل أمته ﷺ: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم عليٌّ المرتضى ﷺ»(٣).

• وقال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-: «أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسهُ في الغار وصدِّيقه الأكبر .. عبد الله بنُ أبي قحافة عثمان القرشي التميمي»(٤).

• وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وأفضل الصحابة؛ بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام: أبو بكر ثم من بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنهم أجمعين-»(٥).

عباد الله! هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في أبي بكر الصديق «وهي الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله -عزّ وجل-

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي» (١/ ١٦٠).

(٣) «لمعة الاعتقاد» (ص٢٥).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢).

(٥) «الباعث الحثيث» (ص١٨٣).

بعد النبيين والمرسلين: أبو بكر الصديق ﷺ». وهذا هو المذهبُ الحق الذي يلزم كل مسلم أن يعتقده ويلتزمه ويتمسك به.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

الخطبة الثالثة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

ثانياً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مكة قبل إسلامه، وبعد إسلامه.

ثالثاً: هجرتهُ رضي الله عنه من مكة إلى المدينة.

عباد الله! قال الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

عباد الله! وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه؛ فسعادة الدنيا والآخرة في إتباعهم وسلوك منهجهم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

عباد الله! وقلنا: ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن أفضل البشر بعد الأنبياء والمرسلين هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

عباد الله! وحديثنا عن أبي بكر رضي الله عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط حول العناصر التالية:

العنصر الأول: أبو بكر ﷺ في مكة قبل إسلامه وبعد إسلامه.

العنصر الثاني: هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة.

عباد الله! أبو بكر ﷺ في مكة قبل إسلامه:

كان أبو بكر الصديق في الجاهلية من وجهاء قريش وأشرافهم، وأحد رؤسائهم وكانوا يستعينون به فيما نابهم، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحدٌ، وكان ﷺ من علماء الأنساب وأخبار العرب، وله في ذلك باعٌ طويلٌ وكان ﷺ أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروف، محبب عند الناس، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر؛ لعلمه وتجارته وحُسن مجالسته.

قال ﷺ: «إن أبا بكر أعلمُ قريش بأنسابها»[١].

وقال ابنُ الدغنة -وهو سيدُ القارة (قبيلة)- في وصف أبا بكر: «مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرجُ؛ إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق..»[٢].

عباد الله! أبو بكر الصديق لم يشرب الخمر في الجاهلية:

ولما سُئِلَ عن ذلك قال: كنتُ أصون عرضي، وأحفظ مروءتي؛ فإن من شرب الخمر كان مضيعاً لعرضه ومروءته[٣]. وصدق والله! فإن الخمر هي أم الخبائث من شربها وقع على أُمِه وأخته وابنته وعمته وخالته.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) رواه البخاري (٢١٧٥).

(٣) «الرياض النضرة» (٢/ ١٤٦)، «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٤٩).

عباد الله! أبو بكر الصديق لم يسجد لصنم قطُّ: قال رضي الله عنه في جمع من أصحاب رسول الله ﷺ: ما سجدت لصنم قط[١].

عباد الله! أبو بكر الصديق كان يحمل رصيداً ضخماً من القيم الرفيعة، والأخلاق الحميدة والسجايا الكريمة في المجتمع القرشي قبل الإسلام، وقد شهد له أهل مكة بتقدمه على غيره في عالم الأخلاق والقيم والمثل، ولم يُعلم أحدٌ من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا انتقصه كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين، ولم يكن له عندهم عيب إلا الإيمان بالله ورسوله.

عباد الله! أبو بكر الصديق في مكة بعد إسلامه:

بُعث رسول الله ﷺ في مكة وأخذ يدعو الناس سِراً إلى الإسلام، وكان أول من آمن من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

يقول عمار بنُ ياسر رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ (أي: في مكة) وما معه إلا خمسة أعبدُ وامرأتان وأبو بكر»[٢].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «وفي الحديث دلالة على قِدم إسلام أبي بكر رضي الله عنه؛ إذ لم يذكر عمارٌ أنه رأى مع النبي ﷺ من الرجال غيره. وقد اتفق الجمهور على أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال»[٣].

(١) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر.

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٧).

(٣) «فتح الباري» (٧/ ١٧٠).

ويقول عمرو بنُ عبسة السُّلمي: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالةٍ، وأنهم ليسوا على شيءٍ وهم يعبدون الأوثان.

فسمعتُ برجل بمكة يُخبرُ أخباراً؛ فقعدتُ على راحلتي، فقدَمتُ عليه. فإذا رسول الله ﷺ مُستخفياً، جُرءاء عليه قومه؛ فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة:

- فقلت له: ما أنت؟

- قال: «أنا نبيٌّ».

- فقلتُ له: وما نبيٌّ؟

- قال: «أرسلني الله».

- فقلتُ: وبأي شيء أرسلك؟

- قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشرَكُ به شيءٌ».

- قلت له: فمن معك على هذا؟

- قال: «حرٌّ وعبدٌ» (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) وهذا دليل على قِدم إسلام أبي بكر رضي الله عنه[1].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله ﷺ، وأبوبكر، وعمارٌ وأمُّهُ سميةُ، وصهيبٌ، وبلالٌ، والمقدادُ»[2].

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) رواه البيهقي في «السنن» (٨/ ٢٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٥٥٨)، و«مصنف ابن أبي شيبه» (٧/ ٣٣٧)، و«مسند أحمد» (١/ ٤٠٤)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٠)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» وفي «سنن ابن ماجه».

وقال ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كَذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسهِ ومالِهِ»[١].

استنبط ابنُ كثير -رحمه الله تعالى- من هذا الحديث؛ أنَّ أبا بكر ﷺ هو أول الناس إسلاماً[٢].

عباد الله! أدلة على أن أبا بكر ﷺ هو أول من آمن من الرجال الأحرار.

عباد الله! بعد أن أسلم أبو بكر ﷺ أخذ يدعو الناس في مكة إلى الإسلام فآمن على يديه الكثير. وأنفق ﷺ ماله في سبيل الله، وأعتق رجالاً كانوا يُعذَّبون منهم بلال، وعامرُ بن فهيرة ﷺ.

تقول عائشة -رضي الله عنها-: «أعتق أبو بكر ﷺ سبعةً ممن كان يُعذب في الله عز وجل منهم بلال، وعامر بن فهيرة»[٣].

وقال عمر ﷺ: «أبو بكر سيدُنا، وأعتق سيدنا يعني بلالاً»[٤].

وتقول عائشة ﷺ: «أنفق أبو بكر ﷺ على رسول الله ﷺ أربعين ألفاً»[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر «السيرة النبوية لابن كثير» (١/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٢١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٧٤)، والهيثمي في «موارد الضمآن» (ص٥٣٢)، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧١٨).

كيف لا؟! وهو الذي جاء يوماً إلى رسول الله ﷺ بكل ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله[1].

ولذلك قال ﷺ: «ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر»[2].

وقال ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر (أي: أكثرهم رحمة)»[3].

فكان من رحمته يدعو الناس إلى الإسلام؛ لينجو من عذاب الله، وينفق ماله في سبيل الله؛ ليعتق الذين يعذبون في الأرض من قِبل كفار قريش.

ولذلك قال الله تعالى في وصفه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٩-٢١].

عباد الله! أبو بكر الصديق في مكة بعد إسلامه كان يدافع عن رسول الله ﷺ، ويدفع عنه الأذى بكل ما يملك من قوة.

سأل عروة بن الزبير ﷺ عمرو بن العاص قال: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه أبي داود (١٦٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٨٠)، وسنن الدارمي (١/ ٤٨٠)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٩)، و«مستدرك الحاكم» (١/ ٥٧٤)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩٠)، وابن ماجه (١٥٤)، و«مسند الإمام أحمد» (٣/ ٢٨١)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٥٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٧٧)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن الترمذي» وابن ماجه.

قال: بينما النبي ﷺ يُصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عُقبةُ بن أبي مُعَيطٍ، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقهُ خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكرٍ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: (أتقتلون رجُلاً أن يقول ربي الله)[1].

وقال عليٌّ ﷺ في خطبته: أيها الناسُ! من أشجعُ الناس؟

فقالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزني أحدٌ إلا أنصفتُ منه -أي: غلبته-؛ ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذتهُ قريشٌ فهذا يجؤه، وهذا يتلقاه ويقولون له: أنت تجعل الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلا أبو بكرٍ، يضرب هذا، ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربيّ الله، ثم بكى عليٌّ ﷺ، ثم قال: أنشدكم الله! أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القومُ.

قال عليٌّ ﷺ: والله لساعة مِن أبي بكر خيرٌ منه؛ ذاك رجلٌ يكتم إيمانه، وهذا يُعلن إيمانه[2].

أبو بكر الصديق ﷺ بعد إسلامه، كان يتق الله بما يضع في بطنه.

عباد الله! ومن ورع أبي بكر ﷺ تحري الحلال من الطعام.

تقول عائشة ﷺ «كان لأبي بكر غلامٌ -أي عبدٌ- يخرج له الخراج -أي يكسب له- وكان أبو بكر يأكل مِن خراجِهِ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر.

فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٣).

(٢) «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٤٧)، و«مسند البزار» (٣/ ١٥)،«فتح الباري» (٧/ ١٦٩).

قال: كنت تكهنتُ لإنسان في الجاهلية، وما أُحسن الكهانة، إلا أني خدعتُهُ فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يدهُ، فقاء كلَّ شيءٍ في بطنه»[1].

ويقول زيدُ بن أرقم ﷺ: كان لأبي بكر الصديق ﷺ مملوك يغلُّ عليه، فأتاه ليلةً بطعامٍ، فتناول منه لقمةً.

فقال له المملوك: مالك كنت تسألُني كلَّ ليلةٍ، ولمْ تسألني الليلة؟

قال أبو بكر: حملني على ذلك الجوع، مِن أين جئت بهذا؟

قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيتُ لهم، فوعدوني فلما كان اليومُ مررتُ بهم فإذا عُرس لهم فأعطوني.

قال: إنك كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه؛ فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج. فقيل له: إنّ هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست مِن ماءٍ فجعل يشرب، ويتقيأ حتى رمى بها.

فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة. قال ﷺ: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها[2].

الله أكبر يا صدِّيق هذه الأمة! والله هذا هو الورعُ! .. هذه هي التقوى! .. هذا هو الإيمانُ! .. أشهد أنك أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٩).

(٢) «صفوة الصفوة» (١/ ٢٥٢)، و«الرياض النضرة» (٢/ ١٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١) بسند رجاله ثقات.

عباد الله! فليتق الله الذين يأكلون الحرام بالليل والنهار، ونبتت أجسادهم وأجساد أولادهم من الحرام.

يرحم الله نساء السلف كانت المرأة إذا خرج زوجها إلى السوق، أخذت بمنكبه وقالت له: يا أبا فلان: اتق الله فينا ولا تأتنا بمال من حرام؛ فإننا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على نار جهنم يوم القيامة.

عباد الله! لما ضيّق كفار مكة على المسلمين في مكة، بنى أبو بكرٍ مسجداً في داره، وقام يصلي فيه ويقرأ القرآن ويبكي.

تقول عائشة ﷺ في حديث الهجرة الطويل: «ثمَّ بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يُصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً؛ لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن»[1].

عباد الله! لما أخبر النبي ﷺ قريشاً برحلة الإسراء والمعراج، افتتن ناسٌ كثيرٌ جاءوا إلى أبي بكر فذكروا له.

فقال: أشهد أنه صادقٌ.

فقالوا: تصدقه أنه أتى الشام في ليلةٍ واحدةٍ، ثم رجع إلى مكة؟!!

قال: نعم إني أصدقُه بأبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤).

الله أكبر! .. إنه الصديق الذي كان شعاره مع رسول الله ﷺ دائماً: «إن كان محمدٌ قد قال ذلك فقد صدق». هذا هو أبو بكر الصديق ﷺ في مكة قبل إسلامه، وبعد إسلامه، وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: «خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فَقُهُوا»(١).

عباد الله! هجرة أبي بكر الأولى من مكة:

تقول عائشة ﷺ: «لم أعقل أبويَّ قطُّ إلا وهما يدينان الدِّين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشية، فلما ابتُلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ بَرْكَ الغِماد لقيه ابن الدَّغنة - وهو سيِّدُ القارة (وهي قبيلةٌ)-».

فقال: أين تُريد يا أبا بكر؟ -وهذا دليل على أن أبا بكر كان معروفاً عند رؤساء القبائل-.

فقال أبو بكر: أخرجني قومي؛ فأُريد أن أسيحَ في الأرض وأعبدُ ربي.

قال ابن الدَّغنة: فإن مثْلَكَ يا أبا بكر لا يَخرجُ ولا يُخرَجُ، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحِمَ، وتحمل الكلَّ، وتقري الضَّيفَ، وتعين على نوائب الحقِّ. فأنا لك جارٌ، ارجع واعبدْ ربكَ ببلدك، فرجع، وارتحل معه ابنُ الدَّغنة. فطاف ابنُ الدَّغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إنّ أبا بكر لا يَخْرُجُ مثلهُ ولا يُخرجُ،

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٤٨٥)، و«البيان و التعريف» (٢/ ٣٩)، و«الفردوس بمأثور الخطاب» (٢/ ١٧٣)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٦٢).

أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم، ويحمل الكلَّ ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟!

فلم تُكذِّبْ قريش بجوار ابن الدَّغنة، وقالوا لابن الدَّغنة: مُرْ أبا بكر فليعبُدْ ربَّهُ في داره، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلنْ به؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدَّغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبدُ ربه في داره ولا يستعلنُ بصلاته ولا يقرأُ في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يُصلّي فيه ويقرأُ القرآن فيتقذّف عليه نساءُ المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه، وينظرون إليه. وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن؛ فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين؛ فأرسلوا إلى ابن الدَّغنة فقدِّم عليهم، فقالوا: إنا كُنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُدَ ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ؛ فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلِنَ بذلك فَسَلْهُ أن يرُدَّ إليك ذمتك، فإنّا قد كرِهنا أن نخفرك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

تقول عائشة ﵂: فأتى ابنُ الدَّغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تُرجِعَ إليَّ ذمتي، فإني لا أُحبّ أن تسمعَ العربُ أني أخفِرتُ في رجلٍ عقدتُ له. فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جِوَارَك، وأرضى بجوار الله عز وجلَّ.

تقول ﵂ والنبي ﷺ يومئذ بمكة، فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريتُ دار هجرتكم؛ ذات نخلٍ بين لابتين، وهما الحرَّتان. فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة. وتجهَّز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: على رِسلِكَ فإني أرجو أن يُؤذن لي.

فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال ﷺ: نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصْحَبَهُ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُرَ -وهو الخبطُ- أربعة أشهرٍ، -أي: استعداداً للهجرة مع رسول الله ﷺ إلى المدينة-[1].

عباد الله! أبو بكر ﵁ يُهاجر مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة:

تقول عائشة ﵂: «بينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكرٍ في نحر الظهيرة. قال قائلٌ لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً - في ساعة لم يكن يأتينا فيها-.

فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فأستأذن فأذِنَ له، فدخلَ فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أَخرجْ من عندك.

فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسول الله.

قال ﷺ: فإني قد أُذن لي في الخروج.

---

(١) رواه البخاري (٢١٧٥).

فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله؟

قال رسول الله ﷺ: نعم.

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيَّ هاتين.

قال ﷺ: بالثمن.

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهُما سُفرَةً في جرابٍ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجِراب، فبذلك سُمّيت ذات النطاقين»[1].

عباد الله! أبو بكر ﷺ مع رسول الله ﷺ في الغار.

يقول أبو بكر. نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن في الغار، فقلتُ: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال ﷺ: «يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما»[2].

وفي ذلك يقول ربُ العزة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

عباد الله! أبو بكر الصديق ورسول الله ﷺ في الطريق من مكة إلى المدينة.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٢).

(٢) تقدم تخريجه.

قال عازبٌ لأبي بكر: حدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركين يطلبونكم.

فقال أبو بكر الصديق ﷺ: «ارتحلنا من مكة فأحيينا -أو سرينا- ليلتنا ويومنا حتى أظهرْنا وقام قائم الظهيرة، فرميتُ ببصري هل أرى مِن ظلٍ فآوي إليه، فإذا صخرةٌ أتيتُها، فنظرتُ بقبة ظلٍ لها فسوَّيْتهُ، ثم فرشتُ للنبي ﷺ فيه، ثم قلتُ له: اضطجع يا نبيَ الله فاضطجع النبي ﷺ. يقول أبو بكر: ثم انطلقت أنظر ما حولي: هل أرى مِن الطلب أحداً؟ -أي من كفار قريش- فإذا أنا براعي غنم يسوقُ غنمهُ إلى الصخرة، يريدُ منها الذي أردنا فسألته فقلتُ له: لمن أنت يا غلام؟

فقال لرجلٍ من قريش، سماهُ فعرفتُه.

فقلتُ: هل في غنمك مِن لبنٍ؟

قال: نعم.

قلتُ: فهل أنت حالبٌ لنا؟

قال: نعم.

فأمرتهُ فاعتقل شاةً من غنمه، ثم أمرتُه أن ينفض ضَرعَها من الغبار، ثم أمرتُه أن ينفض كفيه فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثبةً من لبن، وقد جعلتُ لرسول الله ﷺ إداوةً على فمها خرقةٌ فصببتُ على اللبن حتى برد أسفله. فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ.

فقلت: اشرب يا رسول الله! فشرب حتى رضيتُ.

ثم قلت: قد آن الرحيلُ يا رسول الله.

قال: «بلى»، فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يُدركنا أحدٌ منهم غير سُراقة بن مالكٍ على فرسٍ له. فقلتُ: هذا الطلبُ قد لحِقنا يا رسول الله.

فقال ﷺ: لا تحزن إن الله معنا»[١].

عباد الله! ووصل رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى المدينة.

يقول البراء بن عازب ﭬ -وهو شاهدُ عيان-: «ما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهُمْ برسول الله ﷺ»[٢].

وهكذا وصل أبو بكر ﭬ مع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧١٠).



الخطبة الرابعة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

رابعاً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ.

خامساً: النصوص من الكتاب والسنة التي فيها الإشارة إلى أن أبا بكر هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

سادساً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند وفاة النبي ﷺ.

عباد الله! قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

عباد الله! هؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه»[1].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٣٧٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩/ ١١٢)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٧٧)، والحديث: إسناده حسن.

إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ هو أبو بكر الصديق ﵁.

عباد الله! وحديثنا عن أبي بكر الصديق ﵁ في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط حول العناصر التالية:

العنصر الأول: أبو بكر الصديق ﵁ في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ.

العنصر الثاني: النصوص من الكتاب والسنة التي فيها الإشارة إلى أنّ أبا بكر هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

العنصر الثالث: أبو بكر الصديق ﵁ عند وفاة النبي ﷺ.

عباد الله! وهذا أبو بكر الصديق ﵁ في المدينة قبل وفاة النبي ﷺ يضرب لنا مثلاً أعلى في كل أبواب الخير.

أولاً: أبو بكر ﵁ وعظمة إيمانه بالله تعالى:

عن أبي بكرة: أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «مَنْ رأى منكم رؤيا»؟ فقال رجل: أنا، رأيتُ كأن ميزاناً نزل من السماء فوُزِنَت أنت وأبو بكرٍ فرجحتَ أنت بأبي بكر، ووزن عمرُ وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمرُ، ثم رفع الميزان.

قال: فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٨٧)، وأبي داود (٤٦٣٤)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وأبي داود وفي «المشكاة» برقم (٦٠٥٧).

وفي رواية قال: فاستاء لها رسول الله ﷺ فقال: «خلافة نُبوَّةٍ، ثم يؤتي اللهُ الملك من يشاء»[١].

عباد الله! وفي هذا الحديث دلالة على فضيلة أبي بكرٍ على عمر بن الخطاب، ومن دونه من الصحابة.

قال أبو بكر بن عياش: «ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاةٍ ولا صيام، ولكن بشيءٍ وقر في قلبه»[٢]. ولهذا قيل: «لو وزن إيمان أبي بكر. بإيمان أهل الأرض لرجح إيمان أبي بكر». وعندما قال الناس: سبحان الله! ذئبٌ يتكلم؟ قال ﷺ: «فإني أؤمن بهذا أنا وأبو بكر وعمر»[٣].

ثانياً: أبو بكر ﷺ وحفظه لِسر رسول الله ﷺ:

عن عبد الله بن عمر ﷺ: أنّ عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصةُ بنت عمر مِنْ خُنيْس بن حُذافة السَّهميَّ -وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفيَّ بالمدينة- ، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري فلبثتُ ليالي، ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوَّج يومي هذا.

---

(١) رواه أبي داود (٤٦٣٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٤٤)، و«مسند البزار» (٩/ ١٠٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٧٦)، و«مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٥٣٦)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «أبي داود» و«السنة» لابن أبي عاصم.

(٢) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٣/ ٥٥).

(٣) تقدم تخريجه.

قال عمرُ: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلتُ: إن شئت زوجتُك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، وكنتُ أوْجَدَ عليه مني على عثمان -أي: أغضب- فلبثتُ ليالي. ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتُها إياهُ، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجعْ إليك شيئاً؟ قال عمرُ: نعم.

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجعَ إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنتُ علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكنْ لأفشي سِرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها[1].

ثالثاً: أبو بكر رضي الله عنه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

تقول عائشة رضي الله عنها: دخل رسول الله ﷺ وعندي جاريتان يغنيان بغناء بُعاثٍ. فاضطجع على الفراش، وحوَّل وجههُ. فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مِزمارُ الشيطان عند رسول الله ﷺ؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «دعهُما».

تقول رضي الله عنها فلما غفل -تعني أباها- غمزْتُهما فخرجتا، وكان يوم عيد.. وفي رواية قال ﷺ لأبي بكر: «دعهما يا أبا بكر! فإنها أيام عيدٍ». وفي رواية قال ﷺ لأبي بكر: «يا أبا بكرٍ! إن لكل قومٍ عيداً، وهذا عيدُنَا»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٧٨٣).

رابعاً: حرصه ﷺ على الدعاء:

جاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال ﷺ: «قل: اللهمَّ! إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً؛ ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً مِن عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(٢).

وقال أبو بكر: يا رسول الله! مرني بكلماتٍ أقولُهنَّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، فقال ﷺ: «قل: اللهم فاطِرَ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك مِن شر نفسي، وشر الشيطان وشركه» قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»(٣).

عباد الله! كان أبو بكر الصديق ﷺ من أحرص الناس على الدعاءِ -بعد رسول الله ﷺ-؛ استجابة لأمر الله تعالى الذي قال في كتابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

وكان -رضي الله عنه- يقولُ في دعائه: اللهم اجعل خير عمري آخرَهُ، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٧١٦)، ومسلم (٨٩٢).

(٢) البخاري (٧٩٩)، ومسلم (٢٧٠٥).

(٣) رواه أبي داود (٥٠٦٧)، الترمذي (٣٣٩٢)، «مسند الإمام أحمد» (١/ ١٠)، و«صحيح ابن حبان» (٣/ ٢٤٢)، و«مستدرك الحاكم» (١/ ٦٩٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود والترمذي» وهو أيضاً في «السلسلة الصحيحه» برقم (٢٧٥٣).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٦٥)، وكنز العمال للزيلعي رقم (٥٠٣٠).

وكان رضي الله عنه إذا سمِعَ أحداً يمدحُه من الناس يقول: (اللهم أنت أعلـم بي مِـن نفسي، وأنا أعلمُ بنفسي منهم، اللهم! اجعلني خيراً مما يظنـون، واغفـر لي مـا لا يعلمون، ولا تُؤاخذني بما يقولون)(١).

خامساً: أبو بكر رضي الله عنه وسبقه إلى فعل الخيرات:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «مَن أصبح مِـنكم اليـوم صـائماً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبـو بكـر: أنـا. قـال: «فمن أطعم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكـر: أنـا. قـال: «فمـن عـاد مـنكم اليـوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة»(٢).

سادساً: في إنفاقه رضي الله عنه المال في سبيل الله:

فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يأتي بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ، فيقول له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فيقول: عمر: مثله يا رسول الله، وأما أبو بكر رضي الله عنه فإنه يأتي بكل ماله، فيقول له رسول الله ﷺ: «ما أبقيـت لأهلـك؟» فيقـول أبـو بكر: أبقيت لهم الله ورسوله(٣).

---

(١) «تهذيب الأسماء» (٢/ ٤٨٠)، وأسد الغابة (٢/ ٣٢٤).

(٢) رواه مسلم (١٠٢٨).

(٣) تقدم تخريجه.

عباد الله! النصوص من الكتاب والسنة التي فيها الإشارة إلى أن أبا بكر رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ:

أولاً: الآيات القرآنية التي فيها إشارةٌ إلى خلافة الصديق رضي الله عنه:

عباد الله! وردت آياتٌ في كتاب الله عز وجل فيها الإشارة إلى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحقُّ الناس من هذه الأمة بخلافة سيد الأولين والآخرين محمدٍ ﷺ، وتلك الآيات هي:

١ - قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٦-٧].

عباد الله! ووجه الدلالة من هذه الآية أن أبا بكر رضي الله عنه داخلٌ فيمن أمر الله -جل وعلا- عباده أن يسألوه الهداية إلى طريقهم، وأن يسلك بهم سبيلهم، وهم الذين أنعم الله عليهم وذكر منهم الصدِّيقين في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء:٦٩].

وقد أخبر المصطفى ﷺ أن أبا بكر رضي الله عنه من الصدِّيقين؛ فدل ذلك على أنه واحد منهم بل هو المقدم فيهم[1].

ولما كان أبو بكر رضي الله عنه ممن طريقُهم هو الصراط المستقيم فلا يبقى أيُّ شكٍ لدى العاقل في أنه أحقُ خلق الله من هذه الأمة بخلافة المصطفى ﷺ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٢٩٣).

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

عباد الله! هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق ﷺ، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين فقد مدحهم الله بأكمل الصفات.

عباد الله! دلت هذه الآية على خلافة أبي بكر الصديق ﷺ؛ حيث حصل في خلافته ما نطقت به الآية من ارتداد الكثير من العرب عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، وجاهدهم أبو بكر ﷺ هو والصحابة الكرام حتى رجعوا إلى الإسلام؛ كما أخبر الله تعالى في الآية وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الربّ -جل وعلا- قبل وقوعها.

٣- وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

عباد الله! قال أبو عبد الله القرطبي: قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾. ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ لأن الخليفة لا يكون أبداً إلا ثانياً، وسمعت شيخنا أبا العباس أحمد ابن عمر يقول: إنما استحق الصديق أن يقال له ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي ﷺ به أولاً[1].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٨/ ١٤٧-١٤٨).

٤ - وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور:٥٥].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وقال بعض السلف! خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقٌّ في كتاب الله ثم تلاه هذه الآية»[1].

٥- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

عباد الله! وجه دلالة الآية على خلافته رضي الله عنه أن الله -جلّ وعلا- سماهم «صادقين»، ومن شهد له الربُّ - جلّ وعلا - بالصدق؛ فإنه لا يقع في الكذب ولا يتخذه خُلقاً بحالٍ، وقد أطبق هؤلاء الموصوفون بالصدق على تسمية الصدّيق رضي الله عنه «خليفة رسول الله ﷺ»؛ ومن هنا كانت الآية دالة على ثبوت خلافته رضي الله عنه.

ثانياً: الأحاديث التي أشارت إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

عباد الله! وأما الأحاديث النبوية التي جاء التنبهُ فيها على خلافة أبي بكر رضي الله عنه فكثيرة مشهورة متواترة وظاهرة الدلالة إما على وجه التصريح، أو الإشارة؛

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٢١).

ولاشتهارها وتواترها صارت معلومة من الدين بالضرورة؛ بحيث لا يسعُ أهل البدعةِ إنكارها. ومن هذه الأحاديث:

١- عن جبير بن مطعم قال: أتتْ امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدْك -كأنها تقول الموت- قال ﷺ: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»[١].

عباد الله! اشتمل هذا الحديث على إشارة واضحة في أن الذي يخلفه على الأمة هو أبو بكر الصديق ﷺ. قال ابن حزمٍ: «وهذا نصٌّ جليٌّ على استخلاف أبي بكر»[٢].

٢- عن أبي مُليكة قال: سمعتُ عائشة سئلتْ: مَن كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟

قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكرٍ؟ قالت: عمرُ. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح ثم انتهت إلى هذا[٣].

قال النووي: «هذا دليل لأهل السنة في تقديم أبي بكر، ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة، وفيه دلالة لأهل السنةِ أن خلافة أبي بكر ليست بنص من النبي ﷺ على خلافته صريحاً، بل أجمع الصحابةُ على عقد الخلافة له وتقديمه؛ لفضيلته، ولو كان هناك نصٌّ عليه أو على غيره لم تقع المنازعةُ من الأنصار

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٠٨).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٥).

وغيرهم أولاً، ولذكر حافظ النص ما معه، ولرجعوا إليه لكن تنازعوا أولاً ولم يكن هناك نصٌ، ثم اتفقوا على أبي بكر واستقر الأمر، وأما ما تدعيه الشيعة من النص على عليٍّ، والوصية إليه فباطلٌ لا اصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم مِن زمن عليٍّ وأول من كذبهم عليٌّ ﷺ بقوله: «ما عندنا إلا ما في هذه الصحيفة» ولو كان عنده نصٌّ لذكره، ولم يُنقل أنه ذكره في يومٍ من الأيام، ولا أن أحداً ذكره له»[١].

٣- وقال حذيفة ﷺ: كنا عند النبي ﷺ جلوساً فقال: «إني لا أدري ما قدْرُ بقائي فيكم فاقتدوا باللذَين من بعدي». وأشار إلى أبي بكر وعمر «وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه»[٢].

عباد الله! فقوله ﷺ: «اقتدوا باللذَين من بعدي» أي: بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي وهما أبو بكر وعمر، وحث على الاقتداء بهما، لحُسن سيرتهما وصدق سريرتهما، وفي الحديث إشارة لأمر الخلافة[٣].

٤- قالت عائشة ﷺ قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر، وأخاك حتى أكتب كتاباً؛ فإني أخاف أن يتمنى مُتمن ويقول قائلٌ: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٤].

---

(١) «شرح النووي» (١٥/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٨٥)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٢٣٣).

(٣) انظر «فيض القدير للمناوي» (٢/ ٥٦)، «وتحفة الأحوذي» (١٠/ ١٤٧).

(٤) رواه مسلم (٢٣٨٧).

عباد الله! دل هذا الحديث دلالة واضحةً على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حيث أخبر النبي ﷺ بما سيقعُ في المستقبل بعد التحاقهِ بالرفيق الأعلى، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره رضي الله عنه. وفي الحديث إشارةٌ إلى حصول نزاعٌ. ووقع كل ذلك كما أخبر عليه الصلاة والسلام، ثم اجتمعوا على أبي بكر رضي الله عنه[1].

٥- وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: مرض النبي ﷺ فاشتدَّ مرضُهُ، فقال: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناسِ» فقالت عائشة: إنه رجلٌ رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يُصلي بالناس.

فقال ﷺ: «مُرُوا أبا بكر فليُصل بالناس» فعادت، فقال: «مُري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف» فأتاه الرسول، فصلى بالناس في حياة رسول الله ﷺ[2].

عباد الله! قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: والمقصود أن رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكر إماماً للصحابة كلِّهم في الصلاة التي هي أكبرُ أركان الإسلام العملية.

قال أبو الحسن الأشعري: «وتقديمه له أمرٌ معلوم بالضرورة من الدين، وتقديمه له دليلٌ على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم».

٦- قوله ﷺ: «إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُهُ، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر»[3].

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٥٤٢).

(٢) رواه البخاري (٦٤٦)، ومسلم (٤٢٠).

(٣) رواه البخاري (٤٥٤).

عباد الله! فأمْرهُ ﷺ بسد الأبواب جميعُها إلا باب أبي بكر فيه إشارة قوية إلى أنه أول من يلي أمر الأمة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

٧- قال ابن مسعود ﷺ «لما قُبض رسول الله ﷺ قالت الأنصارُ: مِنّا أميرٌ ومنكم أمير، قال: فأتاهم عمرُ ﷺ فقال: يا معشر الأنصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يؤم الناس؛ فأيكم تطيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكرٍ ﷺ، فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر»[١].

٨- وقال عليٌّ ﷺ: «لما قُبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا مَن رضي رسول الله ﷺ لديننا؛ فقدمنا أبا بكر»[٢].

عباد الله! وقد علق أبو الحسن الأشعري على تقديم رسول الله ﷺ لأبي بكرٍ في الصلاة. فقال: وتقديمهُ له أمرٌ معلوم بالضرورة من دين الإسلام، قال: وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء: أن رسول الله ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء؛ فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء؛ فأكبرهم سناً، فإن كانوا في السن سواء؛ فأقدمهم إسلاماً».

قال ابن كثير: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يُكتب بماء الذهب ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلُّها في الصديق ﷺ وأرضاهُ[٣].

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ١٥٢)، و«الحاكم في مستدركه» (٣/ ٧٠)، وقال فيه: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) «السنة» للخلال (١/ ٢٧٤)، «صفو الصفوة» (١/ ٢٥٧)، «الرياض النضرة» (٢/ ١٧٧)، و«التمهيد» لابن عبدالبر (٢٢/ ١٢٩)، «الطبقات» لأبن سعد (٣/ ١٨٣).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٦٥).

انعقاد الإجماع على خلافة الصديق ﷺ:

عباد الله! أجمع أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً على أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ؛ لفضله، وسابقته، ولتقديم النبي ﷺ إياه في الصلوات على جميع الصحابة، وقد فهم أصحاب النبي ﷺ مراد المصطفى عليه الصلاة والسلام مِن تقديمه في الصلاة؛ فأجمعوا على تقديمه في الخلافة، ومتابعته، ولم يتخلف منهم أحدٌ، ولم يكن الرب -جل وعلا- ليجمعهم على ضلالة، فبايعوه طائعين، وكانوا لأوامره ممتثلين، ولم يعارض أحدٌ في تقديمه[1].

عباد الله! وقد نقل جماعة من أهل العلم المعتبرين، إجماع الصحابة، ومَنْ جاء بعدهم من أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر ﷺ أولى بالخلافة من كلِّ أحدٍ، وهذه بعضُ أقوال أهل العلم.

١- قال الخطيب البغدادي رحمه الله: أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر، قالوا له: يا خليفة رسول الله ﷺ ولم يُسمَّ أحدٌ بعده خليفة[2].

٢- وقال أبو الحسن الأشعري: أثنى الله -عز وجل- على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له وأقروا له بالفضل[3].

---

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٥٥٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٣٠-١٣١).

(٣) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٦٦).

٣- قال عبد الملك الجويني: أما إمامة أبي بكر ﷺ فقد ثبتت بإجماع الصحابة ﷺ فإنهم أطبقوا على بذل الطاعة[١].

عباد الله! أبو بكر الصديق ﷺ عند موت النبي ﷺ:

يقول أنس بنُ مالك ﷺ: «بينما المسلمون في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يُصلي لهم، لم يفجأهُم إلا رسول الله ﷺ قد كشف سِتر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسَّم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيَهِ ليصل الصفَّ؛ وظنَّ أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة.

فقال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر»[٢].

عباد الله! ومات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم. وجاء أبو بكر الصديق وعمرُ يكلمُ الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ وهو مُسجّى في بيت عائشة، فكشف الثوب عن وجهه وقبله وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً. ثم خرج وعمر ﷺ يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فأبى عمر أن يجلس، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر.

---

(١) «كتاب الإرشاد» (ص٣٦١).

(٢) رواه البخاري (١١٤٧).

عباد الله! فأقبل الناسُ جميعاً على أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه. وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإنْ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]. فنشج الناس يبكون[(١)].

عباد الله! لما تأكد للناس موت النبي ﷺ بعد خطبة الصديق، اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وجاء المهاجرون وبعد المشاورات والمحاورات.. الأنصار يقولون: منا أمير، ومنكم أميرٌ. وأبو بكر يقول: «قريش ولاة هذا الأمر».

فقام عمر فقال: يا معشر الأنصار! ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: بلى. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر.

قالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[(٢)].

وأخذ عمر بيد أبي بكر فقال: من له هذه الثلاثة؟

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٧).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢١)، ومستدرك الحاكم» (٣/ ٧٠)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي (٥/ ١٨٣)، والنسائي «المجتبى» (٧٧٧)، و«السنة لابن أبي عاصم» (٢/ ٥٥٣) والحديث قال عنه الألباني في تعليقه على سنن النسائي «المجتبى»، و«السنة» لابن أبي عاصم: إسناده حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين.

﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ مَن هما؟

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ مَن صاحبه؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ مع مَنْ؟

ثم بسط يده فبايعهُ، ثم قال: بايعوه، فبايعه الناسُ[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٣٩).



الخطبة الخامسة

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

سابعاً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ميادين الجهاد:

ثامناً: مواعظ أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عباد الله! قال ربنا -جل وعلا- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجالُ؛ هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه؛ حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاقٌ وطغيان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الصحابة ﷺ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر:١٠].

عباد الله! وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

الذي قال فيه النبي ﷺ: «لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي. وقد اتخذ الله - عز وجل - صاحبكم خليلاً»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٣).

وقال فيه ﷺ: «ما نفعني مالٌ قط، ما نفعني مالُ أبي بكر»[١].

وقال فيه ﷺ يوماً لعمر: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي»[٢].

عباد الله! وحديثنا عن أبي بكر الصديق ﷺ في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: أبو بكر الصديق ﷺ في ميادين الجهاد:

العنصر الثاني: مواعظ أبي بكر الصديق ﷺ:

عباد الله! العنصر الأول: أبو بكر ﷺ في ميادين الجهاد:

قال ابن كثير -رحمه الله-: «لم يختلف أهل السير في أن أبا بكر ﷺ لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها»[٣].

عباد الله! تعالوا بنا لنعيش مع حياة الصديق ﷺ الجهادية مع رسول الله ﷺ، لنرى كيف جاهد الصديق بنفسه وماله ورأيه ولسانه في نصرةِ هذا الدين العظيم الذي جاء به محمد ﷺ، نقول على سبيل المثال:

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٧٣)، و«سنن ابن ماجه» (٩٤)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٢٥٣)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٧)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن ابن ماجه» وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧١٨)، و«تخريج مشكلة الفقر» (١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١).

(٣) «أسد الغابة» (٣/ ٣١٨).

أولاً: أبو بكر الصديق ﷺ في غزوة بدرٍ الكبرى:

١- في مشورة الحرب: كان ﷺ في المقدمة.

لما بلغ النبي ﷺ نجاة القافلة التي يقودها أبو سفيان، وإصرار زعماء مكة على قتال النبي ﷺ؛ استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الأمر؛ فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن(١).

٢- في أرض المعركة: كان ﷺ بجانب رسول الله ﷺ.

عباد الله! بعد الشروع في الأخذ بالأسباب؛ اتجه رسول الله ﷺ إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقولُ في دعائه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً» وما زال ﷺ يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذَه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك(٢). فأنزل الله -عز وجل-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

عباد الله! وفي رواية ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبُك. فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥](٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٦٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٥٨).

٣- أبو بكر ﷺ والأسرى:

قال ابن عباس ﷺ: ..فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة: أرى أن نأخذ منهم فديةً؛ فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب».

قال: لا والله يا رسول الله! ما أرى الذي يراه أبو بكر. ولكني أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم .. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ إلى ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت.. الحديث[١].

عباد الله! ونزل الوحي يؤيد رأي عمر ﷺ، الشاهد أن أبا بكر دائماً في المقدمة.

ثانياً: الصديق ﷺ في غزوة أُحُد:

عندما نزل بالمسلمين ما نزل بعد أن ترك الرُماة الجبل، وتفرق المسلمون هنا وهناك، وكان ممن ثبت عند رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ، وبعض الصحابة.

عباد الله! وتتضح منزلةُ الصديق ﷺ في غزوة أُحُد؛ من موقف أبي سفيان بن حربٍ عندما سأل فقال: أفي القوم محمدٌ؟ فقال ﷺ: «لا تُجيبوه».

فقال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ -يعني أبو بكر الصديق- فقال: «لا تجيبوه».

فقال: أفي القوم ابنُ الخطاب؟

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٦٣).

فقال أبو سفيان: إن هؤلاء قُتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا؛ فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله! أبقى الله عليك ما يخزيك[1].

عباد الله! فهذا يدلُ على أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهما أعمدة الإسلام بعد نبيهم.

ثالثاً: أبو بكر رضي الله عنه في الحديبية:

١ - في المشورة:

عباد الله! خرج رسول الله ﷺ مع أصحابه من المدينة إلى مكة؛ لأداء العمرة وفي الطريق وصل الخبرُ إلى رسول الله ﷺ؛ أن أهل مكة جمعوا جموعهم لصده عن الكعبة، فقال ﷺ لأصحابه: «أشيروا عليّ أيها الناسُ» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحدٍ ولا حرب أحدٍ، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، فقال ﷺ: «امضوا على اسم الله»[2].

٢ - في المفاوضات:

عباد الله! جاءت وفودُ قريش لمفاوضة النبي ﷺ وكان من بين هؤلاء الوفود: عروة بن مسعود الثقفي، الذي قال لرسول الله ﷺ: يا محمدُ! جئت لقتال قومك، فإن قتلتهم فهل رأيت أحداً قبلك اجتاح قومه! -أي: أهلكهم-

(١) رواه البخاري (٣٨١٧).

(٢) رواه البخاري (٣٩٤٤).

وإن كانت الأخرى -يعني هُزمت أنت- فإني والله أرى حواليك أوباشاً خليقاً -أي: حقيقاً- أن يفرّوا عنك وَيَدَعُوكَ! فقال أبو بكر ﷺ لعروة بن مسعود: امْصص بظر اللات، أنحنُ نفرُّ عنه وندعهُ!

فقال عروة: مَن هذا؟ قالوا له: هذا أبو بكر.

فقال عروة: والله لولا يدٌ لك عندي -أي: نعمة- لم أجزِكَ بها -أي: لم أُكافئكُ بها- لأجبتُك...» الحديث [1].

الشاهد يا عباد الله! من الذي أجاب عروة؟ إنه أبو بكر الصديق.

٣- موقفه من الصلح:

عباد الله! عندما وافق النبي ﷺ على بعض شروط قريش - الجائرة- في صلح الحديبية، قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: فأتيت نبي الله ﷺ، فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحقِّ، وعدوَّنا على الباطل؟ قال: بلى.

قلتُ: فلم نُعطي الدّنية في ديننا إذاً؟

قال: إني رسول الله، ولستُ أعصيه، وهو ناصري.

قلتُ: أوليس كنتَ تُحدِّثنا أنا سنأتي البيتَ فنطوف به؟

قال: بلى، فأخبرتُك أنّا نأتيه العام؟!

---

(١) رواه البخاري (٢٥٨١).

قلتُ: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوِّفٌ به.

قال عمر: فآتيتُ أبا بكر.

فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبيُّ الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحقِّ، وعدوُّنا على الباطلِ؟

قال: بلى.

قلت: فلم نعطي الدَّنية في ديننا إذاً؟

قال أبو بكر: أيها الرجل! إنه رسول الله ﷺ ليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (أي: اتبعْ قوله وفعله، ولا تخالفه) فوالله إنه لعلى الحق.

قلتُ: أليس كان يحدثُنا أن سنأتي البيت ونطوفُ به؟

قال: بلى. أفأخبرك أنك آتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتيه ومطوفٌ به[1].

فانظروا عباد الله! تكلم أبو بكر بنفس كلام رسول الله ﷺ علماً أنه لم يسمع ولم يعلم أن رسول الله ﷺ قال ما قال لعمر بن الخطاب، فإن دل هذا على شيء

---

(١) رواه البخاري (٢٥٨١).

فإنما يدل على أن أبا بكر ﷺ كان أكمل الصحابة، وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ، وأعلمهم بأمور الدين، وأشدهم موافقة لأمر الله تعالى وتصديقاً لرسول الله ﷺ. وكان قلبه ﷺ على قلب رسول الله ﷺ؛ من أجل ذلك استحق هذا الرجل أن يكون صدِّيق هذه الأمة الأكبر، وأن يكون أحب الرجال قاطبة إلى قلب رسول الله ﷺ.

رابعاً: الصديق ﷺ في غزوة تبوك:

عباد الله! في غزوة تبوك طلب الصديق ﷺ من رسول الله ﷺ الدعاء للمسلمين، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «خرجنا إلى تبوك في قيظ شديدٍ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستُقطع، حتى إن الرجل لينحرُ بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: يا رسول الله! إن الله قد عوّدك في الدعاء خيراً، فادع الله قال ﷺ: «أتحب ذلك؟» قال أبو بكر: نعم. فرفع النبي ﷺ يديه فلم يردهما حتى قالتْ السماءُ -أي: تهيأت لإنزال مائها- فأظلتْ -أي: أنزلت مطراً خفيفاً- ثم سكبت فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[1]».

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٢٢٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦٣)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٤-١٩٥)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٥٧)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣/ ٣٢٤)، و«مسند البزار» (١/ ٣٣١)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أبو بكر الصديق ﷺ في ميادين الجهاد بعد وفاة النبي ﷺ:

يقول أنس بن مالك ﷺ: «لما بويع أبو بكر في السقيفة، وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر. فقام عمر بن الخطاب قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتُها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهده إليَّ رسول الله ﷺ، ولكني قد كنتُ أرى أن رسول الله ﷺ سَيُدَبرُ أمرنا -يقولُ: يكون آخرنا- وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله ورسوله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداهُ له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعتهُ العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله. ثم قال: أما بعدُ: «أيها الناسُ! فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم -وهذا والله من تواضعه- فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانةٌ. الضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أُرجعَ عليه حقه -إن شاء الله- والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه -إن شاء الله- لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قطُّ إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»[1].

---

(١) «الثقات» (٢/ ١٥٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٣٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٦/ ٨٢)، البداية والنهاية» (٦/ ٣٠٥-٣٠٦) وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

أبو بكر الصديق ﷺ وحرصهُ على إتباع النبي ﷺ في كل شيءٍ بعد توليه الخلافة:

عباد الله! بعد أن تولى أبو بكر الخلافة حرصَ على إتباع النبي ﷺ في كلِّ شيءٍ، ولذلك قال: «يا أيها الناس! إنما أنا متبعٌ ولستُ بمبتدع»[١].

وقال ﷺ: «..لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به؛ فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ»[٢].

وقال ﷺ: «والله لا أدعُ أمراً رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعتُه»[٣].

عباد الله! ولذلك عندما أرسلت فاطمة - رضي الله عنها - إلى أبي بكر تسأله ميراثها من أبيها ..

فقال لها: إن رسول الله ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء لا نُورّث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال» وإني والله لا أُغَيِّرُ شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً..»[٤].

عباد الله! وعندما اقترح بعض الصحابة ﷺ على أبي بكر الصديق ﷺ أن يُبقي جيش إسامة ولا يُنفذه. فقال لهم: «أنا أحبسُ جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!

---

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ٢٦٠)، و«الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٥).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (١٧٥٩).

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٦).

(٤) رواه البخاري (٣٩٩٨)، ومسلم (١٧٥٩).

لقد اجترأت على أمرٍ عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميل العرب أحبُّ إلي من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ».

وفي رواية قال لهم: «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذتُ بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[١].

وفي رواية أخرى: «والله لا أحلُّ عقدةً عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة، ولو كان الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزتُ جيش أسامة»[٢].

أبو بكر الصديق ﷺ وجهادُه لأهل الردة:

عباد الله! يقول أبو هريرة ﷺ: «لَمَّا تُوفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب. قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مِني مالَهُ ونفسهُ، إلا بحقه وحسابهُ على الله».

قال أبو بكر: والله لأقاتِلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَنَاقاً -الأنثى من ولد المعز- كانوا يؤدُونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق»[٣].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٢٤٥).

(٢) «الرياض النضرة» (٢/ ٤٧)، «تاريخ الطبري» (٤/ ٤٥)، «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٥).

(٣) رواه البخاري (١٣٣٥، ٦٥٢٦).

عباد الله! وكان مما قال عمر بن الخطاب ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ: يا خليفة رسول الله! تَأَلَّفْ الناسَ وارفقْ بهم. فقال له أبو بكر: رجوتُ نصرتك، وجئتني بخذلانك. أجبَّارٌ في الجاهلية، وخوَّارٌ في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أَوَينقصُ وأنا حيٌّ؟! أليس قد قال رسول الله ﷺ: «إلا بحقها» ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والله لو خذلني الناس كلُّهم لجاهدتهم بنفسي[1].

عباد الله! ووضع الصديق ﷺ الخطة لمحاربة المرتدين، وانتصر عليهم وردّ الأمور إلى نصابها. وكان قوله وفعله هو الحق، وأيده الله -تبارك وتعالى- بالنصر المبين -فرضي الله عنه وعن أصحابه الكرام-، نشهد بأنهم قوم اختارهم الله لنصرة دينه، ولصحبة نبيه، وكان أفضلهم أبو بكر الصديق ﷺ.

العنصر الثاني: مواعظ الصديق ﷺ:

كان الصديق ﷺ يجاهدُ بلسانه في سبيل الله -بالحكمة والموعظة الحسنة- كما جاهد بنفسه وماله. وذلك لأنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2].

ويقول ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[3].

---

(١) «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر (٣/ ٦٨).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٩١)، و«سنن الدارمي» (٢/ ٢٨٠)، و«سنن أبي داود» (٢٥٠٤)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٥١)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن أبي داود» وفي «صحيح الجامع» برقم (٣٠٨٥).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١١/ ٥)، و«مسند أحمد» (٦/ ٢٠)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» برقم (٦٦٧٩)، و«الصحيحة» (٥٤٩).

عباد الله! ولذلك كان أبو بكر الصديق ﷺ يعظُ نفسه وغيره.

دخل عمر ﷺ على أبي بكر وهو آخذٌ بطرف لسانه. فقال عمرُ: مه، غفر الله لك!!

فقال أبو بكر: هذا الذي أوردني الموارد[١].

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: يا ليتني شجرة تُعضد، ثم تؤكل[٢].

وقال أبو بكر الصديق ﷺ في خطبة له: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا يدعُ قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم اللهُ بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء[٣].

وقال أبو بكر ﷺ: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم؟ ولا خير في قولٍ لا يُراد به وجه الله -تعالى-، ولا خير في مالٍ لا يُنفق في سبيل الله -عز وجل-، ولا خير فيمن يغلبُ جهلُه حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم[٤].

وقال أبو بكر ﷺ: وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع[٥].

---

(١) «شعب الإيمان» (٤/ ٢٥٦)، و«التمهيد لابن عبدالبر» (٥/ ٦٥)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٣)، «الفصل للوصل المدرج» لأبي بكر البغدادي (١/ ٢٠٤).

(٢) «صفوة الصفوة» (١/ ٢٥١)، و«الرياض النضرة» (٢/ ١٣٧).

(٣) «كنز العمال» برقم (١٤١١٤).

(٤) «حلية الأولياء» (١/ ٣٦).

(٥) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٤٤).

كيف لا؟! والله -عز وجل- يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

عباد الله! لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر ﷺ فقال لـه: «اتـق الله يـا عمـرُ، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنـه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وإنما ثقلـت مـوازين مَـن ثقلـت موازينـه يـوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين مَن خفت موازينه يوم القيامة، بإتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحُقَّ لميزانٍ يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً.

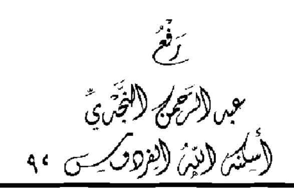
وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة، فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سـيئاتهم، فإذا ذكرتُهم قلت: إني أخاف أن لا ألحـق بهـم، وأن الله تعـالى ذكـر أهـل النـار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه فإذا ذكرتُهم قلـتُ: إني لأرجـو أن لا أكون مع هؤلاء.

ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته -عز وجل- فإن أنت حفظت وصيتي؛ فلا يكن غائبٌ أحبّ إليك من الموت -وهو آتيك- وإن أنت ضيعت وصيتي؛ فلا يكن غائبٌ أبغض إليك من الموت، ولست بمعجزه»[1].

نسأل الله العظيم أن يجعلنا وإياكم ممن يحبهم.

---

(١) «البيان والتبيين» (٢/ ٤٥)، «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٦٠).



الخطبة السادسة

عمر بن الخطاب ﷺ

أولاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في عمر بن الخطاب ﷺ:

أيها الأخوة عباد الله! قال الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دنيه.

قال ابن مسعود ﷺ: «مَن كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قومٌ اختارهم اللهُ لصحبة نبيه، وإقامة دينه. فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعُوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»(١).

عباد الله! وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ هو عمر بن الخطاب ﷺ الفاروق؛ الذي فرق الله به بين الحق والباطل.

يقول ابن مسعود ﷺ: «إن كان إسلام عمر لفتحاً، وهجرته لنصراً، وإمارتُه رحمة، والله! ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمرُ؛ قاتلهم حتى دعونا فصلينا»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٩/ ١٦٥)، «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٦٢)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٧٠).

عمر بن الخطاب ﷺ أول من جهر بالإسلام في مكة.

يقول ابن عباس ﷺ: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»[١].

عباد الله! وحديثنا عن عمر بن الخطاب ﷺ في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط عن:

عقيدة أهل السنة والجماعة في عمر بن الخطاب ﷺ.

عباد الله! أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أنّ أفضل البشر بعد الأنبياء وأبي بكر هو عمر بن الخطاب ﷺ.

قال النووي - رحمه الله تعالى-: «اتفق أهل السنة على أنَّ أفضلهم -أي: الصحابة رضي الله عنهم- أبو بكر ثم عمر»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن علي بن أبي طالبٍ أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»[٣].

عباد الله! ينبغي للمسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ هو عمر بن الخطاب ﷺ، ومن اعتقد

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٣)، ثم قال عقبه الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٤٨).

(٣) «الفتاوى الكبرى» (٤/ ٢٧٠)، و«منهاج السنة النبوية» (٦/ ١٣٧)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٠٦)، (٣/ ١٥٣)، و«العقيدة الواسطية» (١/ ٤١).

خلاف ذلك، أو سبَّ عمر، أو لعنه؛ فهو مبتدع زنديق خبيث رافضيٌّ؛ عليه من الله ما يستحق.

عباد الله! وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل عمر رضي الله عنه ومنها:

١ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه المبشر بالجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمرَ، فذكرتُ غيرتهُ فولَّيتُ مُدبراً. فبكى عمرُ وقال: أعليك أغارُ يا رسول الله؟!»[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرُّميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعتُ خشفةً، فقلتُ: من هذا؟ فقال: هذا بلالٌ. ورأيت قصراً بفنائه جاريةٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقال: لعمر. فأردتُ أن أدخلَهُ فأنظر إليه، فذكرت غيرتك».

فقال عمرُ: بأبي وأُميّ يا رسول الله. أعليك أغارُ؟![٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصرٍ من ذهبٍ، فقلت لمن هذا؟ فقالوا: لشابٍ من قريشٍ، فظننتُ أني أنا هو.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٦).

فقلتُ: ومن هو؟ قالوا: عمر بن الخطاب»[١].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة..»[٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «كنتُ مع النبي ﷺ في حائطٍ من حيطان المدينة -أي: بستان- فجاء رجلٌ فاستفتح فقال النبيُّ ﷺ: «افتح له وبشرهُ بالجنة» ففتحت له، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجلٌ فاستفتح.

فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشرهُ بالجنة» ففتحت له، فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجلٌ، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشِّرهُ بالجنة على بلوى تُصيبُه» فإذا عثمان، فأخبرتُه بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان»[٣].

عباد الله! رسول الله ﷺ يُبشر عمر بن الخطاب ﷺ بالجنة، ويخبره بأنه رأى قصره في الجنة، ثم يأتي مبتدعٌ زنديقٌ رافضيٌّ خبيث يتقرب إلى الله بسب عمر ولعنه! سبحانك هذا بهتانٌ عظيم.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣١٠)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٠٧)، و«فضائل الصحابة» للنسائي (١/ ١٠)، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٤٢٣)، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

٣- عمرُ بن الخطاب ﷺ الذي أثنى عليه النبيُّ ﷺ ودعا له:

فقال: «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب»(١).

وقال ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ محدَّثون» أي: ملهمون «فإن يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عمر»(٢).

وقال ﷺ: «اللهم! أعزَّ الدين بأحبِّ هذين الرجلين إليك: أبي جهل بن هشام، أو عمر بن الخطاب». يقول ابن عمر ﷺ: فكان أحبَّهما إليه عمر بن الخطاب ﷺ(٣).

وقال ﷺ: «اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة»(٤).

عباد الله! أبعد هذا الثناء والدعاء من رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ؛ يأتي زنديقٌ خبيثٌ رافضيٌّ يسب عمر ويلغنه ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾؟!

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٩٢)، و«سنن الترمذي» (٣٦٨٦)، و«مسند الروياني» (١/ ١٧١٧)، و«المعجم الكبير» (١٧/ ٣١٠)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وهو في «الصحيحة» (٣٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٦).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٠٥).

(٤) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٠٦)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٨)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٣٧٠)، «سنن ابن ماجه» (١٠٥)، والحديث علق عليه الألباني في «سنن ابن ماجه» وقال: صحيح دون قوله: «خاصه»، وذكره في «المشكاة» (٦٠٣٦)، و«صحيح السيرة النبوية».

٤ - عمر بن الخطاب ﭬ رجلٌ يخاف منه الشيطان ويهرب:

عباد الله! كان الفاروق عمر له هيبة في قلوب الناس، وكانت شياطين الجن والإنس تهرب منه.

عن سعد بن أبي وقاص ﭬ قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوةٌ من قريش يُكلِّمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتُهنَّ على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قُمنَ فبادرن الحجاب، فأذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فدخل عمر، ورسول الله ﷺ يضحكُ، فقال عمرُ: أضحك الله سنّك يا رسول الله!

فقال النبيُّ ﷺ: «عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك، ابتدرن الحجاب».

فقال عمر: فأنت أحقُّ أن يهبْنَ يا رسول الله!

ثم قال عمر: يا عدُوّاتِ أنفسهنَّ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظُ من رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «إيهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقِيكَ الشيطان سالكاً فجاً قطُّ إلا سلك فجّاً غير فجِّك» (١). والفج: المسلك والطريق.

وعن بُريدة ﭬ قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جاريةٌ سوداءُ، فقالت: يا رسول الله إني كنتُ نذرتُ إن ردَّك اللهُ سالماً؛ أن أضرب

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٠).

بين يديك بالدُّفِّ وأتغنى. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضربُ، ثم دخل عمرُ فألقت الدُّف تحت إستها، ثم قعدت عليه. فقال ﷺ: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنتُ جالساً وهي تضربُ، فدخل أبو بكر وهي تضربُ، ثم دخل عليٌّ وهي تضربُ، ثم دخل عثمانُ وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عُمرُ ألقت الدُّفَّ»[١].

وعن عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ فإذا حَبَشيةٌ تُزفِنُ والصبيان حولها فقال: «يا عائشة تعالي فانظري» فجئت، فوضعت لحيتي على منكب رسول الله ﷺ فجعلتُ أنظرُ إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: «أمَا شَبِعتِ، أما شبعتِ؟» قالت: فجعلت أقول: لا. لأنظر منزلتي عنده. إذ طلع عمر. قالت: فارفضَّ الناس عنها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فَرُّوا من عمر»، قالت: فرجعت[٢].

٥- عمر بن الخطاب ﷺ الذي وافق ربه ﷻ في وقائع متعددة:

عباد الله! كان الفاروق عمر ﷺ يرى الرأي، فينزلُ القرآن موافقاً لما رآه.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٦٩٠)، والحديث صححه الشيخ الألباني فيه وكذلك في «نقد الكتاني» (٤٧-٤٨)، «الصحيحة» (٢٢٦١).

(٢) «السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ٣٠٩)، و«سنن الترمذي» (٣٦٩١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٦٠٣٩).

قال ﷺ: «إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه». وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمرٌ قط فقالوا فيه: وقال فيه عمر -أو قال ابن الخطاب فيه شك خارجة- إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر[١].

عباد الله! ومن الأمثلة على ذلك:

قال عمر ﷺ: «وافقتُ ربي في ثلاث -أي: وقائع- فقلتُ: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وآية الحجاب، قلتُ: يا رسول الله! لو أَمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهنَّ البرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ في الغيرة عليه، فقلتُ لهنَّ: عسى ربُّه إن طلقكن أن يُبدلهُ أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية»[٢].

وقال عمر ﷺ: «لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليُصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه؛ فقلتُ: يا رسول الله! أتصلي على ابن أُبيٍّ وقد قال يوم كذا، وكذا: كذا وكذا -أُعدِّدْ عليه قوله- فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخِّرْ عني يا عمر، فلما أكثرتُ عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يُغفر له لزدتُ عليها. قال -أي عمر- فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف؛ لم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة

(١) «سنن الترمذي» (٣٦٨٢)، وابن ماجه (١٠٨) والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي» وابن ماجه وفي «المشكاة» (٦٠٣٤).

(٢) رواه البخاري (٣٩٣).

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨٤].

قال عمر: فعجبتُ بعدُ من جُرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ، والله ورسوله أعلم»[١].

وقال عمر ﷺ: «وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر»[٢].

ووجه الاستدلال في أسارى بدر أن أبا بكرٍ رأى رأياً في أسارى بدرٍ، وعمر بن الخطاب رأى خلافه، ونزل الوحي يؤيدُ رأي عمر.

عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت تحريم الخمر قال: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بياناً شِفاءً، فنزلت هذه الآية التي في البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٩].

قال: فدُعي عمرُ، فقُرئت عليه. فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]. فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى. أن لا يقربنَّ الصلاة سكرانُ، فدُعي عمر فقُرئتْ عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٠).

(٢) رواه مسلم (٢٣٩٩).

وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]

فدُعي عمر فقرئتْ عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾. قال: فقال عمر: انتهينا، انتهينا[1].

عباد الله! هذا عمر الفاروق ﷺ رزقه الله السداد في الرأي والإصابة في القول؛ فهو ﷺ المحدَّث الملهم، الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه. أبعد هذا يأتي مبتدعٌ خبيثٌ زنديقٌ رافضيٌّ يسب عمر ويلعنه؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

يقول محمد بن سيرين: ما أظنُّ أن رجلاً ينتقصُ أبا بكر وعمر؛ يحب النبي ﷺ[2].

(١) «سنن الترمذي» (٣٠٤٩)، و«سنن أبي داود» (٣٦٧٠)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٥٣)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن أبي داود والترمذي» وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٣٤٨).

(٢) الترمذي (٣٦٨٥)، وقال الألباني: حديث صحيح الإسناد مقطوع.

٦- عمر بن الخطاب ﷺ الذي شهد لـه رسـول الله ﷺ بالـشهادة وقوة الإيمان والدين والعلم:

أما الشهادة:

عن أنس بن مالك ﷺ قـال: صـعد النبـيُّ ﷺ أُحُـداً ومعـه أبـو بكـر وعمـر وعثمان؛ فرجف بهم فقال: «أثبُتْ أُحدُ فإن عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان»[١].

أخبر النبي ﷺ بأن عمر شهيدٌ، وتحقق ما قالـه ﷺ؛ فقـد مـات ﷺ شـهيداً على يدِ الظالم أبي لؤلؤة المجوسي.

أما قوة الإيمان:

لما قال عمر ﷺ يا رسول الله! لأنت أحبُّ إلي من كل شيءٍ إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمرُ: فإنه الآن والله! لأنت أحبُّ إليّ من نفسي فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر».

يقول أبو هريرة ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راعٍ في غنمـه، عـدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعـي حتـى استنقذها منـه، فالتفـت إليـه الذئب فقال له: مَن لها يوم السَّبُع، يوم ليس لها راعٍ غيري؟ وبيـنما رجـل يـسوقُ بقرةً قد حمل عليها، فالتفت إليه فكلمتهُ فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكن خُلقـتُ للحرث». فقال الناس: سبحان الله!

---

(١) تقدم تخريجه.

فقال النبي ﷺ: «فإني أؤمنُ بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب ﭭ»[١].

فشهد له النبي ﷺ بالإيمان الكامل.

أما الدين:

وعن أبي سعيد الخدري ﭬ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: بينما أنا نائم رأيت الناس عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ (جمع قميص)، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عُمرُ وعليه قميصٌ اجترُّه».

قالوا: فما أولته يا رسول الله! قال ﷺ: «الدين»[٢].

أما العلم:

قال ﷺ: «بينما أنا نائم شربتُ -يعني اللبن- حتى أنظرُ إلى الريِّ يخرجُ مِن ظفري -أو في أظفاري- ثم ناولتُ عمرَ.

قالوا: فما أولتهُ يا رسول الله! قال: «العلم»[٣].

عباد الله! أبعد هذه الشهادة من رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﭬ يأتي زنديق رافضيٌّ يدَّعي محبة الرسول ﷺ ويسبُّ عمر! ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ٥﴾.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٣٤٧٨).

٧- عمر بن الخطاب ﷺ الذي يحبه الله ورسولُه والصحابة والمؤمنون.

عباد الله! الله -عز وجل- يحب عمر ﷺ ويرضى عنه. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وعمر وأبو بكر في مقدمة المهاجرين.

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وعمر ﷺ من أوائل هؤلاء.

وقال ﷺ: «اللهم أعزّ الدين بأحبِّ هذين الرجلين إليك: أبي جهل بن هشام، أو عمر بن الخطاب»، يقول ابن عمر ﷺ: فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب ﷺ[1].

ورسولنا ﷺ يحبُّ عمر ﷺ. لما سُئِل ﷺ: من أحب الناس إليك من الرجال؟ قال: «أبو بكر» قيل ثم من؟ قال: «عمر»[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٨١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٠٥)، و«موارد الضمآن» (ص٥٣٤)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٩٥)، والحديث: صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

وهذا أنسٌ ﷺ يقول: «سأل رجلٌ النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعةُ؟

قال ﷺ: وماذا أعددت لها؟

قال الرجل: لا شيء إلا أني أُحِبُّ الله ورسوله.

فقال ﷺ للرجل: أنت مع من أحببت.

قال أنسٌ: فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت، قال أنس ﷺ: فأنا أُحبُ النبي ﷺ وأبا بكرٍ وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم»[1].

والمؤمنون في كل مكان وزمان يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ومنهم أبو بكر وعمر؛ فحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهمُ كفرٌ ونفاقٌ وطغيان. فنقول للذين يُبغضون أبا بكر وعمر: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠].

عباد الله! أما عمر في مكة قبل إسلامه وبعد إسلامه فهذا الذي نعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٩).

الخطبة السابعة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثانياً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مكة قبل إسلامه وبعد إسلامه.

عباد الله! قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

عباد الله! وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه. حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان. من سلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ﷺ: «..وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: التي تكون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه.

وحديثنا عن عمر بن الخطاب ﷺ في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط عن عمر بن الخطاب ﷺ في مكة قبل إسلامه وبعد إسلامه.

عمر بن الخطاب في مكة قبل إسلامه:

أولاً: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

عباد الله! اسمه ونسبه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى بن عدي ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي [١].

يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي بن غالب [٢].

ويكنى أبا حفص.

ولُقبَ بالفاروق؛ لأنه أظهر الإسلام بمكة؛ ففرّق الله به بين الكفر والإيمان، ولذلك يقول ابن عباس: «أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب»[٣].

ثانياً: مولدهُ وصفتهُ الخَلْقية:

عباد الله! ولد عمر ﷺ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة[٤].

---

(١) «محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب» (١/ ١٣١).

(٢) «المصدر السابق» (١/ ١٣١).

(٣) «صحيح التوثيق في سيرة الفاروق» (ص١٥).

(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١٣٣).

وأما صفتهُ الخَلْقية؛ فكان ﷺ أبيض أمهق، تعلوه حمرةٌ، حسن الخدين والأنف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم، وكان طويلاً جسيماً أصلع، قد فرع الناس، كأنه راكبٌ على دابةٍ. وكان قوياً شديداً، لا واهناً ولا ضعيفاً. وكان يخضب بالحناء، وكان طويل السَّبُلة -وهي طرف الشارب- وكان إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع(١).

سبحان الذي خلقك يا عمر واختارك لصحبة نبيه، ولنصرة دينه!

ثالثاً: حياتهُ في الجاهلية:

عباد الله! امضى عمر بن الخطاب في الجاهلية شطراً من حياته، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش، يحترمون العادات، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة، وقد حمل المسؤولية صغيراً، ونشأ نشأة غليظةً شديدةً لم يعرف فيها ألوان الترف، ولا مظاهر الثروة، ودفعه أبوه الخطاب في غلظةٍ وقسوة إلى المراعي يرعى إبلَهُ. وتركتْ هذه المعاملة القاسية من أبيه أثراً سيئاً في نفس عمر ﷺ، فظل يذكرها طِيلة حياته قبل الإسلام، وبعد الإسلام.

يقول عبد الرحمن بن حاطب: كنتُ مع عمر بن الخطاب بضجنان -جبل على مسافة ٢٥ كم من مكة- فقال -أي عمر-: كنتُ أرعى للخطاب بهذا المكان فكان فظاً غليظاً، فكنت أرعى أحياناً، وأحتطبُ أحياناً(٢).

---

(١) نقلاً من كتاب «فصل الخطاب» للصلابي (ص١٦).

(٢) «أخرجه ابن عساكر في تاريخه» (٥٢/ ٢٦٨).

ويقول سعيدُ بن المسيَّب -رحمه الله تعالى-: «حجّ عمرُ، فلما كان بضجنان قال: لا إله إلا اللهُ العليُّ العظيم، المعطي ما شاء لمن يشاء، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي، في مدرعة صوفٍ، وكان فظّاً، يُتعبُني إذا عملتُ، ويضربُني إذا قصرتُ. وقد أمسيتُ أميراً للمؤمنين ليس بيني وبين الله أحدٌ! ثم تمثل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُه	يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تُغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كلِّ أوب إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك موروردٌ بلا كذبٍ	لا بدَ من ورده يوماً كما وردوا[1]

عباد الله! ومما امتاز به عمر بن الخطاب في الجاهلية قبل الإسلام ما يلي:

يقول الإمام الذهبي: «كان -أي: عمرُ- من أشرف قريشٍ، وإليه السفارةُ كانت في الجاهلية، وذلك أن قريشاً كانت إذا وقع بينهم حربٌ، أو بينهم وبين غيرهم؛ بعثوه سفيراً»[2].

وقال ابن الجوزي: «كانت السفارة إلى عمر بن الخطاب، إن وقعت حربٌ بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً، أو نافرهم منافِرٌ، أو فاخرهم مفاخرٌ، بعثوه منافِراً ومفاخراً، ورضوا به ﷺ»[3].

---

(١) «ابن عساكر» (٥٢/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «محض الصواب» (ص١٤٢).

(٣) ابن الجوزي: «مناقب عمر» (ص١١).

رابعاً: شدتهُ وبطشهُ بالمسلمين:

عباد الله! كان عمر بن الخطاب مِن أشدِّ الناس عداوةً للنبيِّ ﷺ، وأكثرهم إيذاءً وتعذيباً للمسلمين في مكة قبل إسلامه، حتى يئس بعض المسلمين من إسلامه لِما رأى مِن غلظته وقسوة قلبه وقال: لن يُسلم هذا حتى يُسلِمَ حمار الخطاب.

تقول أمُّ عبد الله بنت أبي حثمةَ: «والله إنا لنترحلُ إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامرٌ (زوجها) في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر فوقف عليّ وهو على شركهِ تقول ﵂: وكنا نلقى منه البلاء؛ أذىً لنا وشدةً علينا.

قالت: فقال: إنه الانطلاق يا أمَ عبد الله؟

قلت: نعم!

والله لنخرجنَّ في أرض الله؛ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً.

قالت: فقال -أي: عمر-: صحِبَكُم اللهُ.

تقول ﵂: ورأيت له رقةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجُنا.

قالت: فجاء عامرٌ (زوجها) من حاجتنا.

فقلت له: يا أبا عبد الله! لو رأيت عمر آنفاً ورقَّتهُ وحُزنه علينا؟!!

قال: أي -زوجها-: أطمِعْتِ في إسلامه؟! قالت: قلتُ: نعم! قال: لا يُسلِم الذي رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطاب!!

قالت: يأساً منه لِما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام[1].

ويقول سعيدُ بن زيد ﷺ وهو ابنُ عمِّ عمر وزوج أختِهِ فاطمة بنت الخطاب ﷺ: «والله لقد رأيتني وإنّ عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يُسلم»[2].

عباد الله! وهكذا ربط عمر سعيداً ﷺ ابن عمه وزوج أخته بسبب إسلامِهِ، ليصدَّه عن دينه.

عمر بن الخطاب في مكة ينشرحُ صدره للإسلام، ويلين قلبُهُ على المسلمين:

عباد الله! عمر بن الخطاب في مكة ينشرُح صدرهُ للإسلام ويلين قلبه على المسلمين والسببُ:

أولاً: قدرة الله -عز وجل-:

فالله -عز وجل- على كلِّ شيءٍ قدير؛ يُحيي الأرض الميتة بعد موتها، ويحيي القلوب القاسية بعد موتها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [الحديد:١٦-١٧].

---

(١) «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٩)، و«أمالي المحاملي» (١/ ٧٥)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (١/ ٢٧٩)، و«السيرة النبوية» (٢/ ١٨٧)، والحديث: إسناده حسن.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٩).

وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:١٢٢]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وقال ﷺ: «يا أمَّ سلمة! إنه ليس آدميٌّ إلا وقلبه بين إصبعين مِن أصابع الله؛ فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ»(١).

وقال ﷺ: «إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ كقلبٍ واحدٍ، يُصرِّفهُ حيث شاء»(٢).

ثانياً: دعوةُ النبيِّ ﷺ له:

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ! أعزّ الدين بأحبِّ هذين الرَّجلين إليك: أبي جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب» يقول ابن عمر: فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب ﷺ(٣).

فاستجاب الله لدعاء نبيه، وأعز الإسلام بإسلام عمر.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٥٢٢)، و«الجامع الصغير» للسيوطي (١/ ٢١٢)، و«ظلال الجنة» (٢٢٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «صحيح الجامع» (٧٧٣١).

(٢) رواه «مسلم» (٢٦٥٤).

(٣) تقدم تخريجه.

ثالثاً: سماعهُ ﷺ القرآن مِن رسول الله ﷺ ومن المسلمين:

عباد الله! القرآن الكريم كلام الله -عز وجل- وإن لـه تـأثير بليـغٌ في قلـوب الخلق، ولذلك كان ﷺ إذا جاءه رجلٌ من المشركين في أمـرِ الإسـلام؛ قـرأ ﷺ عليه القرآن فقـط. ولقـد كـان للقـرآن تـأثيرٌ كبـيرٌ في اجتـذاب عمـر إلى صـف المسلمين، لإن عمر كان يتذوق الكلام البليغ ويعجبُ به.

قال ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «الباعثُ لعمر على دخوله في الإسـلام؛ مـا سمع في بيت أختِه فاطمة من القرآن»[1].

عباد الله! أمَّا قصة استماع عمـر القـرآن يتلـوه الرسـول ﷺ في صـلاته قـرب الكعبة وعمرُ مستخف بأستارها! وكذلك قصتهُ مـع أختـه فاطمـة حـين لطمهـا لإسلامها وضرب زوجها سعيد بن زيد، ثم إطلاعهُ على صحيفة فيها آيات! فلـم يثبت شيءٌ مِن هذه القصص من طريق صحيحه، ولذلك أعرضنا عنها[2].

عمر بن الخطاب ﷺ في مكة بعد إسلامه، وأثر ذلك على المـسلمين والمشركين:

أولاً: أثرُ إسلام عمر بن الخطاب ﷺ على المسلمين في مكة:

عباد الله! لما أسلم عمر بن الخطاب ﷺ ازداد المسلمون عزةً إلى عزتهم وقوة إلى قوتهم.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٧٦).

(٢) «صحيح السيرة النبوية»، العمري (١/ ١٨٠).

يقول ابن مسعود ﷺ: «ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر»[١].

وقال أيضاً: «لقد رأيتُنا وما نستطيع أن نُصلِي بالبيت حتى أسلم عمر؛ فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي»[٢].

وقال: «إن إسلامه كان نصراً» أي: لهذا الدين[٣].

وقال ابن عباس لعمر حين طُعن: «فلما أسلمت كان إسلامُكُ عزاً، وأظهر الله بك الإسلام ورسول الله وأصحابه»[٤].

ثانياً: أثر إسلام عمر ﷺ على المشركين في مكة:

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى ابن عمر ﷺ وهو شاهدُ عيان يخبرنا بردِ فعل قريش حين أسلم عمر بن الخطاب.

يقول ابن عمر ﷺ: لما أسلم أبي عمر قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحيُّ. قال: فغدا عليه. قال ابن عمر: «فغدوتُ أتبع أثرهُ وأنظر ما يفعل -وأنا غلامٌ أعقل كلَّ ما رأيتُ-، حتى جاءهُ، فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمتُ، ودخلت في دين محمد؟ قال -أي: ابن عمر-: فوالله ما راجعهُ حتى قام يجرُّ رداءهُ، وأتبعهُ عمرُ وأتبعتُ أبي، حتى إذا قام على باب

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ١٨١)، بإسناد حسن.

(٤) «المعجم الأوسط للطبراني» (١/ ٣٣٤)، بإسناد حسن.

المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش -وهم في أنديتهم حول الكعبة- ألا إنّ عمر قد صبأ. قال: ويقول عمرُ من خلفه: كذبَ، ولكني قد أسلمتُ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدهُ ورسولُهُ. وثاروا إليه، فما برح يُقاتلُهُم ويُقاتلونه حتى قامت الشمسُ على رؤوسهم، وطلح -أي: أعيا- فقعد.

وقاموا على رأسِهِ وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلفُ بالله أن لو قد كُنا ثلثمائة رجلٍ لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال ابن عمر: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ مِن قريش عليه حُلَّةٌ حبرةٌ وقميصٌ موشىًّ حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمرُ. فقال: فَمَه، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن كعب يُسلمون لكم صاحبُهُم هكذا؟ خَلّوا عن الرجل.

قال: فوالله! لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه. وقد عرف ابن عمر -فيما بعدُ- من أبيه أن الذي أجارهُ هو العاص بن وائلٍ السهميّ[١].

عباد الله! لقد كان ردُّ فعل قريش عنيفاً أمام حادثة إسلام عمر، حتى سال بهم الوادي يريدون قتله، لولا إجارةُ العاص له.

عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: «بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائلٍ السَّهميُّ أبو عمرو عليه حلّة حبرة وقميص مكفوف بحرير -وهو من بني

---

(١) «صحيح موارد الظمآن» رقم (١٨٢٩)، «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٩٨-٢٩٩) و«سيرة ابن إسحاق» (١٨٤-١٨٥) بإسناد حسن.

سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية- فقال: ما بالك؟ قال عمر: زعم قومك أنهم سيقتلوني أن أسلمتُ -أي: لأجل إسلامي- قال: لا سبيل إليك. قال عمرُ: بعد أن قالها أمنتُ، فلقي الناس قد سال بهم الوادي.

فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريدُ هذا ابن الخطاب الذي صبأ. قال: لا سبيل إليه، فكرَّ الناسُ -أي: رجعوا-»[١].

ولم يكتف عمر بذلك بل جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني لا أدع مجلساً جلستُه في الكفر إلا أعلنت فيه الإسلام، فأتى المسجد وفيه بطونُ قريش متحلقة، فجعل يُعلن الإسلام، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فثار المشركون، فجعلوا يضربونه ويضربهم فلما تكاثروا عليه، خلّصه رجلٌ.

فقلت لعمر: مَن الرجلُ الذي خلّصك من المشركين؟ قال: ذاك العاصُ ابن وائل السهمي[٢].

عمر بن الخطاب ﷺ يُهاجر من مكة إلى المدينة:

يقول البراء بن عازب ﷺ: أول من قدم علينا -أي: إلى المدينة- مصعب ابن عمير، وابن أم مكتوم، وكانوا يُقرئون الناس، فقدم بلالٌ، وسعدٌ، وعمار ابن ياسرٍ، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين نفراً مِن أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهم برسول الله ﷺ[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥١).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» للألباني (ص١٩٣).

(٣) رواه البخاري (٣٧١٠).

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى عمر ﷺ وهو يحدثنا عن هجرته من مكة إلى المدينة.

يقول ﷺ: «اتعدت -لما أردنا الهجرة إلى المدينة- أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهميِّ التناضب -ضرب من الشجر- من أضاءة بني غفار -أي: غدير- فوق سرفٍ -واد من أودية مكة-، وقلنا أينا لا يصبح عندها فقد حُبسَ، فليمض صاحباهُ، قال: -أي: عمر- فأصبحت أنا وعياش ابن أبي ربيعة عند التناضب وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن.

يقول عمر: فلما قدمنا المدينة، نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة -وكان ابن عمِّهما وأخاهما لأمِّهما- حتى قدما علينا المدينة -ورسول الله ﷺ بمكة- فكلماهُ وقالا: إنّ أمَّك قد نذرتْ ألا تمسَّ رأسها مشطٌ حتى تراك، فرقَّ لها.

فقلتُ له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرُهم..

فقال: أبرُّ قسمَ أمي، ولي هناك مالٌ فآخذهُ.

فقلت: والله إنك لتعلمُ أني لمن أكثر قريشٍ مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما. فلما أبى إلا ذلك قلتُ: أما إذا قدْ فعلت ما فعلت؛ فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبةٌ ذلولٌ. فالزمْ ظهرها، فإن رابَكَ من القوم ريبٌ فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: والله يا أخي لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟

قال: بلى. قال: فأناخَ وأناخ ليتحولَ عليها، فلما استووا بالأرض عَدَوا عليه فأوثقاهُ وربطاهُ، ثم دخلا به مكة وفتناهُ فافتتن.

قال: فكنا نقول: ما الله بقابلٍ ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبةً؛ قومٌ عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر:٥٣-٥٥].

قال عمر بن الخطاب: فكتبتُها بيدي في صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشامٌ: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى -وادٍ بمكة- أُصعِّدُ بها فيه وأُصوِّبُ ولا أفهمها حتى قلتُ: اللهم فهمنيها.

قال: فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلتْ فينا، وفيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقتُ برسول الله ﷺ»[(١)].

عباد الله! أما مواقف عمر في الإسلام فهذا الذي نعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) انظر «السيرة النبوية الصحيحة»، العمرى (١/ ٢٠٤-٢٠٦).



الخطبة الثامنة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثالثاً: مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ:

عباد الله! من عقيدة أهل السنة والجماعة أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عباد الله! وحديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط عن مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ.

عباد الله! عمر بن الخطاب رضي الله عنه له مواقفهُ المتميزة في حياة النبي ﷺ، والتي تدل على صلابته وشدته وقوته في دين الله، كيف لا!؟ والرسول ﷺ يقول: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُهم في أمر الله عمر...» الحديث(١).

وقال ﷺ: «أشد أمتي في الله عمر»(٢).

عباد الله! تعالوا بنا لنعيش مع مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ؛ ففيها دروسٌ وعظاتٌ وعبر.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٧٩٠)، (٣٧٩١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ٦٧)، وابن ماجه (١٥٤)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن الترمذي»، وابن ماجه وكذلك في «الصحيحة» (١٢٢٤).

(٢) أخرجه ابن سعد بسند صحيح «الطبقات» (٣/ ٢٩١)، انظر «كتاب محض الصواب» (١/ ١٩٨).

الموقف الأول: عندما أسلم:

عباد الله! لما أسلم عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني لا أدع مجلساً جلستهُ في الكفر إلا أعلنتُ فيه الإسلام. فأتى المسجد وفيه بطون قريش متحلقةٌ، فجعل يُعلن الإسلام، ويشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله؛ فثار المشركون، فجعلوا يضربونه ويضربهم، فلما تكاثروا عليه، خلّصَه رجلٌ.

يقول ابن عمر: فقلت لعمر: من الرجلُ الذي خلّصَكَ من المشركين؟ قال: ذاك العاص بنُ وائل السهميُّ[1]. وهذا إن دل فإنه يدل على شدته وقوته وصلابته في دين الله.

الموقف الثاني: موقفه ﷺ في غزوة بدر الكبرى عندما خاطب النبي ﷺ أئمة الكفر بعد موتهم، وكذلك موقفه من أسرى بدر:

عباد الله! بعد أن نصر الله المسلمين في بدر، وقتلوا سبعين صنديداً من صناديد قريش، أمر رسول الله ﷺ بسحب قتلى المشركين إلى آبار ببدر، فألقوا فيها، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث وقف على أربعةٍ وعشرين رجلاً منهم من صناديد قريش في إحدى الآبار، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما

---

(١) «صحيح السيرة النبوية» للألباني (ص١٩٣).

وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتمْ ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسول الله! ما تكلم مِن أجسادٍ لا أرواح لها؟»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله؛ توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً»(١).

عباد الله! وهذا إن دلّ فإنه يدل على أن عمر وأصحابه تربوا على أن الموتى لا يسمعون، وهذه هي العقيدة الصحيحة في الكتاب والسنة. وجاء دليل آخر أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه إذا ولوا عنه، أما غير ذلك فعقيدتنا أن الموتى لا يسمعون بعد موتهم. أما ما يعتقدهُ بعض الناس أن الموتى يسمعون؛ فتراهم يقفون عند القبور يدعون الموتى، ويستغيثون بهم من دون الله؛ فهذه عقيدة فاسدة وشرك أكبر.

عباد الله! وعندما استشار الرسول ﷺ أبا بكر وعمر فيما يصنع بالأسرى؟ فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، وعلل ذلك بقوله: «فتكون لنا قوةً على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام». وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم، وعلل ذلك بقوله: «فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدُها».

ومال النبي ﷺ إلى رأي أبي بكر بقبول الفدية، فنزلت الآية الكريمة في موافقة رأي عمر ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:٦٧-٦٨](٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٧٥٧).

(٢) انظر الحديث كاملاً في مسلم (١٧٦٣)، والشرح في «شرح النووي على صحيح مسلم» (٨٦/١٢).

الموقف الثالث: موقفه ﷺ في غزوة أُحُد عندما نادى أبو سفيان:

عباد الله! في غزوة أُحُد؛ وقف أبـو سـفيان -وهـو قائـد المـشركين في غـزوة أُحُدُ- يشمت بالمسلمين، ويفخر بآلهته، وجعل يُنـادي: أفي القـوم محمـدٌ؟ فقـال ﷺ: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقـال ﷺ: «لا تجيبـوه». قـال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال أبو سفيان: لقد قُتل هؤلاء. فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت عدو الله، لقد أبقى الله لك ما يخزيك ..[(١)].

الموقف الرابع: موقفه ﷺ في زعيم المنافقين عبد الله بن أُبي بن سلول:

أولاً: في غزوة بني المصطلق:

عباد الله! يقول جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ: «كنا في غزاة -وهي غـزوة بني المصطلق- فكسع رجلٌ مـن المهـاجرين رجـلاً مـن الأنـصار -أي: ضربـه برجله- فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقال المهـاجريَّ: يـا للمهـاجرين فـسمع ذلك النبيُّ ﷺ فقال: «ما بالُ دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله! كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال ﷺ: «دعوها فإنها منتنة».

فسمع بذلك عبد الله بن أُبي بن سلول -زعيم المنافقين- فقال: أوقد فعلوهـا؟ - يقصد بذلك المهاجرين-. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعـزُ منهـا الأذل -يعني لعنه الله بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ- فبلغ ذلك النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٧).

الشاهد: فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! دعني أضرب عُنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «دعه يا عمر، لا يتحدث الناسُ أن محمداً يقتل أصحابه»(١).

ثانياً: موقفه ﷺ عندما أراد النبي ﷺ أن يصلي على زعيم المنافقين:

عباد الله! قال عمر ﷺ: «لما مات عبد الله بن أُبي بن سلول دُعي رسول الله ﷺ ليُصل عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وَثَبْتُ إليه؛ فقلتُ: يا رسول الله! أتُصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا، وكذا: كذا وكذا -أُعدِّدُ عليه قوله- فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: أخِّر عني يا عمر، فلما أكثرتُ عليه قال: إني خُيرتُ فاخترت، لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يُغفر له لزدتُ عليها.

قال: -أي: عمر- فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف؛ لم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى قوله ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

قال عمر: فعجبتُ بعدُ مِن جُرأتي على رسول الله ﷺ يومئذٍ، والله ورسوله أعلم»(٢).

الموقف الخامس: موقفه ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة ﷺ عندما أرسل كتاباً إلى قريش يخبرهم بغزو النبي ﷺ لهم.

عباد الله! يقول عليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٢)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) تقدم تخريجه.

فقال ﷺ: «انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» -مكان بين مكة والمدينة وهو من المدينة أقرب- فإن بها ظعينةٌ -امرأة في هودج- معها كتاب من حاطب، فأتوني به».

قال عليٌّ: فانطلقنا تتعادى -أي: تجري- بنا خيلُنا حتى أتينا روضة «خاخ» فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتابٍ، فقلنا: لتُخرجن الكتاب أو لنُلقينَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها -ظفائرها- فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: مِنْ حاطب بن أبي بلتعة إلى نفرٍ من قريش.. يخبرهم فيه ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا حاطبُ؟»

فقال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ ما فعلتُه كفراً بعد الإسلام، ولا ردَّةً عن الدين بعد إذ هداني اللهُ إليه؛ ولكني كنت امرءاً مُلصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وما من أحدٍ من أصحابك إلا له أهلٌ في قريش يحمون ماله وأهله، فأردتُ إن فاتني ذلك من النسب أن أتخذ بهذا الكتاب عندهم يداً يحمون بها أهلي ومالي، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: يا رسول الله! دعني أضربُ عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ: «يا عمر! أوليس قد شهد بدراً؟ وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». فأنزل الله -تبارك وتعالى- في حاطب بن أبي بلتعة وكتابه الذي بعث به إلى قريش، سورة الممتحنة.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة:١][1].

الموقف السادس: موقفه ﷺ في صلح الحديبية:

عباد الله! عندما قَبِلَ الرسـول ﷺ بعـض شروط قـريش الجـائرة في صـلح الحديبية، جاءه عمر فقال: يا رسول الله! ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟

قال ﷺ: «بلى».

قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: ﷺ: «بلى».قال: فعلامَ نعطي الدنّية في ديننا ونرجعُ ولم يحكـم الله بيننـا وبينهم؟ قال ﷺ: يا ابن الخطاب: إني رسولُ الله ولن يُضيعني اللهُ أبداً، فـانطلق عمرُ إلى أبي بكر ﷺ، مُتغيظاً ولم يصبر حتى أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر! ألـسنا على الحق وهم على الباطل؟!

قال: «بلى». قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟

قال: «بلى». قال: فعلامَ نعطـي الدنيـة في ديننـا، ونرجـع ولم يحكـم الله بيننـا وبينهم؟

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٥)، ومسلم (٢٤٩٤).

قال أبو بكر يا بن الخطاب! إنه رسول الله! ولن يُضيعهُ الله. فنـزل القـرآن عـلى رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه، فقال عمرُ: يا رسول الله أَوَفتحٌ هو؟

قال ﷺ: «نعم». فطابت نفسه ورجع[1].

الموقف السابع: موقفه ﷺ في غزوة تبوك:

عباد الله! يقول أبو سعيدٍ الخدري ﷺ: لما كانت غزوة تبوك أصـاب النـاس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنـا نواضـحنا -أي: ذبحنـا الإبـل التي يُسقى عليها -؛ فنأكل وندّهنَّ.

فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا».

فجاء عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله! لا تفعل؛ إنهم إن فعلوا نفـذ الظهرُ -وهو ما يُحمل عليه من الإبل- ولا يجدون ما يركبون، ولكن يـا رسـول الله! ادعُهم بفضل أزوادهم، ثم ادعُ الله لهم بالبركة، فعسى اللهُ أن يفعـل -أي: فعسى الله أن يبارك في الطعـام- فـدعا رسـول الله ﷺ بنطـع -أي: بسـاطٍ مـن الجلد- فبسطه، وأمرهم أن يأتوا بأزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكفٍ مـن ذرة، وآخر يجيء بكفٍ من تمر، وثالث يجيء بكسرة خبـز، حتـى اجتمـع عـلى النطـع شيءٌ قليلٌ من الزاد، فدعا النبي ﷺ ربـه بالبركـة في الطعـام، فبـارك الله لهـم في الطعام، فقال ﷺ: «خـذوا وامـلأوا أوعيـتكم» فمـلأوا أوعيـتهم حتـى لم يبـق

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٥).

بالجيش وعاءٌ إلا مُلئ، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى بها عبدٌ غير شاكٍ فيحجب عن الجنة»[١].

الموقف الثامن: موقفه ﷺ مع أبي هريرة ﷺ:

عباد الله! يقول أبو هريرة ﷺ: «كُنَّا قعوداً حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر في نفرٍ، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا؛ فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا، وقمنا، فكنتُ أول من فزع، فخرجتُ أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيتُ حائطاً -أي: بستاناً للأنصار لبني النجار- فدرتُ به، هل أجدُ له باباً فلم أجد .. فاحتفزتُ فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله!

قال: «ما شأنك»؟

قلتُ: كنت بين ظهرينا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تُقطع دوننا؛ ففزعنا، وكنتُ أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي.

فقال ﷺ: «يا أبا هريرة! -وأعطاني نعليه- اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيتهُ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

---

(١) رواه مسلم (٢٧).

وكان أول من لقيتُ عمر، فقال -أي: عمر-: ما هذان النعلان يا أبا هريرة؟

فقلت: هذان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما: من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بين ثديَّ بيده، فخررت لأستي، فقال: -أي: عمر- ارجع يا أبا هريرة.

يقول أبو هريرة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بالبكاء، وركبني عمر -أي: تَبعني- وإذا هو على إثري فقال رسول الله ﷺ: «مالك يا أبا هريرة»؟

قلتُ: لقيتُ عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدييَّ ضربةً فخررت لأستي، فقال: «ارجع».

فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر! ما حملك على ما فعلت»؟ فقال عمر: يا رسول الله! أبعثت أبا هريرة بنعليك: من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشّرهُ بالجنة؟

قال ﷺ: «نعم»، قال عمر: فلا تفعل؛ فإني أخاف أن يتكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون. فقال رسول الله ﷺ: «فخلِّهم»[1].

خشي عمر أن يتكل الناس على لا إله إلا الله فلا يعملون! -رضي الله عنك يا عمر- أشهد أنك الفاروق! شدة وصلابة وحرصٌ على دينك.

---

(١) رواه مسلم (٣١).

الموقف التاسع: موقفه ﷺ من الرجل الذي اعترض على قسمة رسول الله ﷺ في غزوة حنين:

عباد الله! يقول جابر بن عبد الله: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ بالجعرانة - موضع قريب من مكة- منصرفهُ من حنين -أي: حين انصرافه من حنين- وفي ثوب بلال فِضة. ورسول الله ﷺ يقبض منها. يُعطى الناس. فقال: يا محمدّ! اعدل. قال: «ويلك! ومن يعدلُ إن لم أكن أعدلُ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق. فقال «معاذ اللهّ! أن يتحدث الناسُ أني أقتل أصحابي. إنّ هذا وأصحابه يقرأون القرآن. لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»[1].

الموقف العاشر: موقفه ﷺ مع هشام بن حكيم بن حزام عندما قرأ القرآن بأحرف لم يكن يعرفها عمر:

عباد الله! يقول عمر ﷺ: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها. فكدتُ أن أعجل عليه، ثم أمهلتُهُ حتى انصرف، ثم لببتهُ -أي: أخذتُ بمجامع ردائه في عنقه وجررتهُ به- بردائه. فجئت به رسول الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها. فقال رسول الله ﷺ: «أرسله. اقرأ». فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ. فقال رسول الله ﷺ: (هكذا أُنزلت» ثم

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٣).

قال لي: «اقرأ» فقرأتُ. فقال: «هكذا أُنزلت. إن هذا القرآن أُنزلَ على سبعة أحرف. فاقرأوا ما تيسَّر منه»(١).

الموقف الحادي عشر: موقفه ﷺ من ابن صياد -الذي يُقال إنه الدجال-:

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «انطلق عمر في رهطٍ من أصحاب النبي ﷺ قِبَلَ ابن صياد -كان أبوه من اليهود ولا يدري من أي قبيلة هو، وهو الذي يقال: إنه الدجال- حتى وجدهُ يلعب مع الغلمان عند أطمُ بني مَغَاله، وقد قارب ابن صيادٍ يومئذٍ يحتلمُ، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: «أتشهد أنّي رسول الله»؟ فنظر ابن صيادٍ فقال: أشهد إنك رسول الأميين.

قال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟

قال له النبي ﷺ: «آمنت بالله ورسله».

فقال النبي ﷺ: «ماذا ترى»؟

قال ابن صياد: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ.

قال النبي ﷺ: «خُلِطَ عليك الأمر».

قال النبي ﷺ: «قد خبأت لك خبئاً».

قال ابن صياد: هو الدخ.

قال النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك».

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٦)، ومسلم (٨١٨).

قال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فيه؛ أضرب عنقه.

قال النبي ﷺ: «إن يكن هو -أي: الدجال- فلن تُسلط عليه -لأن الذي يُسلط عليه هو عيسى ابن مريم- وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله»؟[1].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه.

(١) رواه البخاري (٢٨٩٠)، ومسلم (٢٩٣٠).



الخطبة التاسعة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رابعاً: مواقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ

عباد الله! قال تعالى في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال؛ هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان. فهنيئاً لمن لقي الله تعالى على حبهم لأنه لا يحبهم إلا مؤمن، وخاب وخسر من لقي الله وهو يبغضهم لأنه لا يبغضهم إلا منافق، هنيئاً لمن لقي الله وهو يسير على منهجهم وعلى سبيلهم لأن الله تعالى - يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وخاب وخسر من لقي الله وهو يسير على منهج غير منهجهم، وعلى سبيل غير سبيلهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

عباد الله! حديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط عن مواقف عمر بن الخطاب ﭬ بعد وفاة النبي ﷺ.

١- موقف عمر بن الخطاب ﭬ عندما مات رسول الله ﷺ.

يقول أنسٌ ﭬ: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء فيها كلُّ شيءٍ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كُلُّ شيءٍ»(١).

عباد الله! عندما وصل خبر وفاة النبي ﷺ إلى عمر بن الخطاب ﭬ قام صارخاً يقول: «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ مات، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بنُ عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقُطعن أيدي رجال وأرجلهم؛ يزعمون أنه مات»(٢).

عباد الله! أخذ عمر ﭬ يتوعد الذين يقولون: إن محمداً ﷺ قد مات، وبينما هو كذلك إذ جاء أبو بكر فدخل على رسول الله ﷺ، فقبّله وقال: طِبت حياً وميتاً يا رسول الله، ثم خرج فخطب في الناس. فقال: من كان يعبدُ محمداً فإن

---

(١) رواه الترمذي (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، و«مسند الإمام أحمد» (٣/ ٢٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٦٠١)، «موارد الظمآن» (ص٥٣٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وابن ماجه».

(٢) ذكرت الحادثة كاملة في السيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٧٥) بإسناد صحيح، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٣٢)، وقد أورد البخاري (٣٤٦٧) الحادثة بدون ذكر مقولة عمر ﭬ كاملة، وكذلك في صحيح ابن حبان (١٤/ ٥٨٨) وفي غيرهم.

محمداً قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال ابن عباس: والله! لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمعُ بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعُقِرتُ حتى ما تُقلُّني رجلاي، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتُه تلاها، وعلمتُ أن رسول الله ﷺ قد مات[١].

موقفه ﷺ في البيعة لأبي بكر:

وفي اليوم التالي بايع عمر أبا بكر في سقيفة بني ساعدة، ثم قام في المسجد- في اليوم الثاني- فخطب بالناس، وحثهم على بيعة أبي بكرٍ، ثم قام فبايعهُ، وتتابع الناس يبايعونه البيعة العامة.

عباد الله! أبو بكر وعمر ﷺ عند أم أيمن ﷺ:

يقول أنسٌ ﷺ: قال أبو بكر لعمر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أمِّ أيمن -وهي حاضنة رسول الله ﷺ وخادمتُه في طفولته، أعتقها النبي ﷺ حين كبر زوجها زيد بن حارثة ﷺ- نزورُها كما كان سول الله ﷺ يزورها،

(١) رواه البخاري (٤١٨٧).

فلما انتهينا إليها؛ بكت، فقالا لها: ما يُبكيك؛ أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلمُ أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكي أنّ الوحيَ قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

عباد الله! رسولنا ﷺ ترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وجاء أبو بكر الصديق ﷺ فحارب المرتدين حيث أعادهم إلى ما كان عليه النبي ﷺ.

عباد الله! ولما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية؛ حراسة الدين، فإن من أهم ما قام به الفاروق القيام بهذا المقصد، وهو حفظ أصل الدين؛ بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، فحارب ﷺ شبهات الزائغين، وردَّ كيد أعداء الدين؛ الذين يروجون للعقائد المنحرفة والخرافات المنكرة التي زينها لهم الشيطان، فظنوا أنهم يحسنون صنعاً. وإليك بعض المواقف التي تشهد للفاروق حمايته لجناب التوحيد، ومحاربته للبدع، والخرافات، وبالمثال يتضح المقال.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٤).

عمر والحجر الأسود:

عباد الله! لما جاء عمر بن الخطاب إلى الحجر الأسود قَبَّلَهُ، ثم قال: والله! إني أعلمُ أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلُك ما قبلتُك[1].

الله أكبر .. إنه الإتباعُ في أحسن صوره، وأجمل معانيه.

قال ابن حجر: قال الطبري: إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام؛ فخشي أن يظنَّ الجهالُ أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعلُ في الجاهلية؛ فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه إتباع لفعل النبي ﷺ.

ثم قال ابن حجر: وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الإتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدةٌ عظيمةٌ في إتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم يُعلم الحكمة فيه[2].

عمر بن الخطاب، وشجرة الرضوان:

وهي الشجرة التي بايع المؤمنين رسول الله ﷺ تحتها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

---

(١) رواه البخاري (١٥٢٠)، ومسلم (١٢٧٠).

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٥٩٠-٥٩١).

أخرج ابن سعد -بإسناد صحيح- عن نافع: أنَّ عمر بلغهُ أن قوماً يأتون الشجرة -شجرة الرضوان- فيصلون عندها، فتوعدهم ثم أمر بقطعها، فقطعت(١).

فهذا موقف لأمير المؤمنين -عمر ﷺ- في حماية جناب التوحيد، والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعمله الصحابة ﷺ فهو أمرٌ مبتَدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادةٍ فأمر بها(٢).

عمر بن الخطاب يمنع من تتبع الأماكن للصلاة فيها.

عباد الله! ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان في السفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً يصلون. فقال: ما هذا؟ قالوا: مكانٌ صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد. من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض(٣).

أي لا تتقصد أن تصلي في مكان بذاته إلا إذا جاء في ذلك دليل.

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥٠)، و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ١٠٠)، و«فتح الباري» (٧/ ٤٤٨)، وقال الحافظ فيه: إسناده صحيح.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «مصنف عبدالرزاق» (٢/ ١١٨)، و«مصنف ابن أبي شيبه» (٢/ ١٥١)، و«معتصر المختصر» (٢/ ١٧٧)، و«فتح الباري» (١/ ٥٦٩)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجمع الفتاوى» (١/ ٢٨١) أنّ إسناده صحيح.

عمر بن الخطاب والاستسقاء بالعباس ﭬ.

عباد الله! عن أنس ﭬ: أن عمر بن الخطاب ﭬ استسقى بالعباس بن عبد المطلب ﭬ، فقال: اللهم إنا كُنَّا نتوسلُ إليك بنبينا ﷺ فتسقينا -أي: بدعائه حياً، ولو كان يُتوسَل به ميتاً لتوسل به عمر؛ ولَمَّا احتاج عمه العباس ليدعو له- وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[1].

فتقدم العباس ودعا بهذا الدعاء: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنبٍ، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناسُ»[2].

عمر بن الخطاب ﭬ أمير المؤمنين يحقق بنفسه في شكاوى الرعية ضدَّ ولاتهم:

ومن الأمثلة على ذلك: **شكوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاصٍ ﭬ**، شكا أهل الكوفة سعداً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ؛ فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسنُ يُصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاقَ إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي. قال أبو إسحاق: أمَّا أنا والله

(١) رواه البخاري (٩٦٤)

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

فإني كنتُ أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ما أخرِمُ عنها؛ أصلي العشاء فأركد في الأولين -أي: أُطيل- وأخفُّ في الأخرين.

قال عمر: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً -أو رجالاً- إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدعْ مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يُقالُ له أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة -وهم الذين شكوا على سعد- قال: أَمَا إذ نشدتنا فإنّ سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدلُ في القضية.

قال سعدٌ: أَمَا والله! لأدعونَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدُك هذا كاذباً؛ قام رياءً وسمعةً، فأطل عمرهُ، وأطل فقرهُ، وعرِّضهُ للفتن. وكان بعدُ إذا سُئِلَ -أي هذا الرجل- يقول: شيخ كبير مفتونٌ أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباهُ على عينيه من الكبرِ، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزُهنَّ»[1].

كيف لا؟ والرسول ﷺ يقول: «اللهم استجب لسعد إذا دعاكَ»[2].

كيف لا؟ وهي دعوة مظلوم على من ظلمه، ودعوة المظلوم مستجابة عند الله تعالى. ومع ذلك عزله عمر ووضع مكانه عماراً، ووضع سعداً مستشاراً عنده في المدينة.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٢).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٨)، سنن الترمذي (٣٧٥١)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٨٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٦١١٦).

عمر بن الخطاب ﭬ أمير المؤمنين كان وقافاً عند كتاب الله:

عباد الله! يضرب لنا الفاروق عمر ﭬ مثالاً أعلى في الوقوف عند كتاب الله.

عن ابن عباس ﭭ قال: قَدِم عيينةُ بنُ حصنٍ، فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيسٍ -وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر ﭬ- فقال عُيينة لابن أخيه: يا ابن أخي! لك وجهةٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن، فأذن لهُ عمر.

فلما دخل قال: هي -وهي كلمة تنبيه وتحمل معنى التهديد- يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل -أي: الشيء الكثير- ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر ﭬ حتى همَّ أن يوقع به -أي: العقوبة-.

فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩]. وإن هذا مِنَ الجاهلين.

والله! ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى[1]. أي عندما سمع الآية عفا عنه. تربى على يدي محمد ﷺ؛ ولذلك أعرض عن هذا الإنسان الذي اعتدى عليه بغير حق.

عمر بن الخطاب ﭬ وعبادتُهُ وجودُهُ:

عباد الله! عمر بن الخطاب ﭬ يقوم من الليل فيصلي.

(١) رواه البخاري (٤٣٦٦).

عن أبي قتادة ﭬ أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «متى توتر؟» قال: أوترُ من أول الليل، وقال لعمر: «متى توتر؟» قال: آخر الليل. فقال ﷺ لأبي بكر: «أخذ هذا بالجزم»، وقال لعمر: «أخذ هذا بالقوة»[(١)].

عمر بن الخطاب ﭬ يُكثر من صيام التطوع، قال زيادُ بن حُدير -رحمه الله-: رأيتُ عمر بن الخطاب أكثر الناس صياماً، وأكثرهم سواكاً[(٢)].

يقول ابن عمر ﭭ: ما رأيت أحداً قطُّ بعد رسول الله ﷺ من حين قُبض أَجَدَّ ولا أجود مِن عمر[(٣)].

يقول عمر ﭬ أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر؛ إن سبقتُه يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك ؟»، قلتُ: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك»؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً[(٤)].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﭬ إلى السوق، فلحقتْ عمر امرأة شابة. فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي، وترك صبية

---

(١) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٤٥)، و«صحيح ابن حبان» (٦/ ١٩٩)، و«المستدرك على الصحيحين» (١/ ٤٤٢)، و«سنن أبي داود» (١٤٣٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

(٢) «أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٠) بسند صحيح.

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٤).

(٤) تقدم تخريجه.

صغاراً، والله ما ينضجون كُراعاً -وهو ما دون كعب الشاة- ولا لهم زرعٌ ولا ضرعُ، وخشيتُ أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خُفافِ بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله ﷺ، فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحباً بنسبٍ قريبٍ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه.

ثم قال: اقتادِيه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخيرٍ، فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أُمك! والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاهُ، ثم أصبحنا نستفيءُ سهمانَهما فيه[1]. هؤلاء هم الرجال الذين فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ونشروا فيها الإسلام.

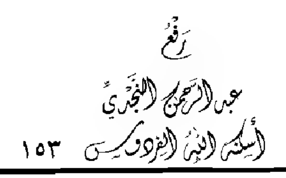
عباد الله! كان عمر الفاروق دائماً يقول: في كل يوم نقول: مات فلان وسيأتي اليوم الذي يقال فيه مات عمر. فتحت هذا العنوان «مات عمر» تكون الخطبة القادمة -إن شاء الله تعالى-.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٢٨).





الخطبة العاشرة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خامساً: موت الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عباد الله! ما زلنا في صدد الحديث عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر»[١]. عمر بن الخطاب الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[٢].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة:١٨][٣].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال: «لو نادى منادي من السماء؛ أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون هو، ولو نادى منادٍ: أيها الناسُ، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً، لرجوت أن أكون هو»[٤]، خوفٌ ورجاء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣١٢)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣)، و«موارد الضمآن» (ص٥٣٦)، و«سنن الترمذي» (٣٦٨٢)، و«سنن ابن ماجه» (١٠٨)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٥٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وابن ماجه»، و«المشكاة» (٦٠٣٤).

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (ص١٤٩).

(٤) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٧٣).

عمر بن الخطاب ﷺ الذي قال: «كل يوم يقال: مات فلانٌ وفلان، ولا بدَّ من يوم يقال فيه: مات عمر»[١]. وصدق عمر فإن الله كتب الموت على جميع الخلائق.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء:٣٤].

وكان الفاروق عمر يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُه ... يبقى الإله ويفنى المالُ والولدُ

لم تغن عن هرمزٍ يوماً خزائِنُه ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا

ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ

أين الملوكُ التي كانت لعزتِها ... من كل أوبٍ إليها وافدٌ يفِد

حوضٌ هنالك موردٌ بلا كذبٍ ... لا بد من وروده يوماً كما وردوا[٢]

عباد الله! وموعدنا هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع اللقاء الأخير من سيرة الفاروق عمر ﷺ وهو بعنوان: موت الفاروق عمر.

عباد الله! كان عمر بن الخطاب ﷺ يعلم يقيناً أنه سيقتل ويلقى الله شهيداً، فقد بشره النبي ﷺ بالشهادة في حياته.

---

(١) «حاشية رسالة المسترشدين» (ص١١١).

(٢) «ابن عساكر» (٥٢/ ٢٦٩).

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ صعدَ أُحُداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف، فضربه برجله، وقال: «اثبت أُحدُ فما عليك إلا نبيٌّ، وصديقٌ، وشهيدان»[1].

وعن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ رأى على عمر قميصاً أبيض، فقال: «ثوبك هذا غسيلٌ أمْ جديدٌ؟». قال عمر: لا. بل غسيل. قال ﷺ: «أَلْبسْ جديداً، وعش حميداً، ومُتْ شهيداً»[2].

عباد الله! الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ يطلب من ربه الشهادة، فعن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر ﷺ قال: «اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ»[3].

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: بينما نحن جلوسٌ عند عمر إذ قال: أيُّكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تُكفِّرُها الصلاةُ والصدقةُ والأمر بالمعروف، والنهيُ عن المنكر.

قال -أي: عمر-: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر؟ فقال: ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٢٠)، و«موارد الظمآن» (ص٥٣٦)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٥٥٨)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على ابن ماجه وهو في «السلسلة الصحيحة» (٣٥٢).

(٣) رواه البخاري (١٧٩١).

قال عمر: أَيُكسَرُ الباب أم يُفتح؟ قال: بل يُكسَرُ. قال عمر: إذن لا يغلق أبداً! قلت: أجَلْ.

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلمُ الباب؟ قال: نعم، كما أعلمُ أن دون غدٍ ليلةً، وذلك أنِّي حدَّثتهُ حديثاً ليس بالأغاليط -أي: ليس بالكذب- فهبنا أن نسأله مَنِ الباب؛ فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: مَن البابُ، قال: عمر[1].

عباد الله! إشارات لاقتراب أجل الفاروق عمر:

ويظهر ذلك:

أولاً: من دعائه ﷺ في آخر حجة له:

عن سعيد بن المسيب: أن عمر ﷺ لما نفر من منى؛ أناخ بالأبطح فكوم كومة من بطحاء، فألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كَبُرتْ سني، وضعفتْ قوتي، وانتشرتْ رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط. ثم قدم المدينة، فخطب في الناس..

يقول سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتِلَ عمر[2].

ثانياً: من الرؤيا التي رآها ﷺ:

عباد الله! قام عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر يوم الجمعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلي؛

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٨)، ومسلم (١٤٤).

(٢) «التمهيد» لابن عبدالبر (٢٣/ ٩٢)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٣٥).

رأيت كأنَّ ديكاً نقرني نقرتين، قال: وذُكِرَ لي أنه ديكٌ أحمر، فقصصتُها على أسماء بنت عُمَيس امرأة أبي بكر رضي الله عنهما فقالت: يقتلُك رجلٌ من العجم.

قال: وإن الناس يأمُرونني أن أستخلف؛ وإنّ الله لم يكن ليُضيع دينه، وخلافته التي بعث بها نبيه ﷺ وإن يَعْجَلْ بي أمرٌ فإنَّ الشورى في هؤلاء الستة الذين مات نبيُّ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمن بايعتم منهم، فاسمعوا له وأطيعوا .. إلى آخر خطبته رضي الله عنه.

قال: فخطب الناس يوم الجمعة، وأُصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة[1].

عباد الله! الكلب يقتُل الفاروق عمر رضي الله عنه.

عباد الله! الكلب هو أبو لؤلؤة المجوسيّ، وكان عبداً للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه. قال عمرو بن ميمون رضي الله عنه: إني لقائمٌ -أي: في الصف- ما بيني وبينه -أي: عمر- إلا عبدُ الله بن عباس، غداة أُصيب، وكان -أي: عمرُ- إذا مرّ بين الصفين، قال: استووا، فإذا استووا تقدم فكبّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناسُ فما هو إلا أن كبَّر، فسمعتُه يقول: قتلني -أو أكلني- الكلبُ! حين طعنهُ فطار العلجُ -هو الرجل من كفار

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٩)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٢)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٤٨)، والحديث إسناده صحيح على شرط مسلم.

العجم- بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنهُ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرْنساً، فلما ظنّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عُمرُ يدَ عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه -للصلاة بالناس- فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاةً خفيفة، فلما انصرفوا قال عمر: يا ابن عباس! انظر من قتلني؟ فجال ساعة، ثم جاء فقال: غلام المغيرة.

قال: -أي عمر-: الصَّنَع؟ -الذي يعمل في الصناعة-. قال ابن عباس: نعم.

قال: قاتله الله لقد أمرتُ به معروفاً! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجلٍ يدّعي الإسلام! ..

فاحتُملَ إلى بيته فانطلقنا معه، كأن الناس لم تُصبْهم مصيبة قبل يومئذ، فقائلٌ يقول: لا بأس، وقائلٌ يقول: أخافُ عليه، فأُتي بنبيذ -أي: تمرات نبذت في الماء، أي نقعت فيه- فشربه فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبنٍ فشربه فخرج من جُرْحه، فعلموا أنهُ ميتٌ فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه[1].

عباد الله! يقول ابن عباس رضي الله عنهما: دخلت على عمر حين طُعِن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين، أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري (٣٤٩٧).

حين خذلهُ الناس، وقُبضَ رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقُتِلتَ شهيداً. فقال عمر: أعد عليَّ. فأعدتُ عليه.

فقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديتُ به مِن هَولِ المطلع[1].

وجاء في رواية البخاري، أما ما ذكرتَ من صحبةِ رسولِ الله ﷺ ورضاه فإن ذلك مِنَ الله جل ذكره، مَنَّ به عليَّ.

وأما ما ترى مِنْ جزعي فهو من أَجْلِكَ وأَجل أصحابِك، والله لو أن لي طِلاع الأرض ذهباً لافتديتُ به من عذاب الله عز وجل قَبل أن أراهُ[2].

عباد الله! وجاء رجل شابٌّ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببُشرى الله لك، من صحبة رسول الله ﷺ، وقدمٍ في الإسلام ما قد علمتَ، ثم وليت فعدّلت، ثم شهادةً. قال عمر: وددت أن ذلك كفافٌ، لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض.

قال عمر: رُدُّوا عليَّ الغلام. قال: ابن أخي، ارفع ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربِّك. -رضي الله عنك يا عمر تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأنت في أنفاسك الأخيرة!- ثم قال عمر: يا عبد الله بن عمر! انظر ماذا عليَّ مِن الدَّين، فحسَبُوهُ، فوجدوهُ ستةً وثمانين ألفاً أو نحوه.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٩).

قال: إن وفى لهُ مالُ آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالُهم فسل في قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال. ثم قال عمر: انطلق إلى عائشة أمِّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام -ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً-، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فسلمَ واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي.

فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه.

فقالت: كنت أُريده لنفسي، ولأوثرنَّهُ به اليوم على نفسي. فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء.

قال عمر: ارفعوني، فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحبُّ يا أمير المؤمنين، أذِنتْ.

قال عمر: الحمد لله، ما كان من شيءٍ أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلمْ فقلْ: يستأذن عمر بن الخطاب، فإذا أذنت فأدخلوني، وإن ردتني رُدُّوني إلى مقابر المسلمين[1].

عباد الله! وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قُمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذنَ الرجالُ، فولجتْ داخلاً -أي: مدخلاً لأهلها- لهم، فسمعنا بكاءها مِن الداخل[1].

(١) رواه البخاري (٣٤٩٧).

عباد الله! وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: «أنا آخركم عهداً بعمر ﷺ دخلتُ عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله، فقال له: «ضع رأسي على الأرض». قال ابن عمر: «فهل فخذي والأرض إلا سواء»؟

فقال له عمر: «ضع رأسي بالأرض لا أم لك» في الثانية أو في الثالثة وسمعتُه يقول «ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي». حتى فاضتْ -أي: روحه-[١].

رضي الله عنك يا عمر. وسبحانك يا من خلقت عمر واخترته لصحبة نبيك! ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم معهم في جنات النعيم.

عباد الله! قال: فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسَلَّم عبد الله بن عمر، وقال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت عائشة ﷺ أدخلوه، فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه[٢].

عباد الله! مات الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ الذي كان يقول: كل يوم يُقال: مات فلان وفلانٌ، ولا بدَّ من يوم يُقال فيه: مات عمر. فيا عبد الله! يا أيها الغني! يا أيها التقي! يا أيها الفقير! يا أيها العاص! هل تذكرت الموت؟ هل قلت لنفسك يوماً لا بد أن يأتي اليوم الذي يقال فيه مات فلان، تريد بذلك نفسك؟ هل صليت يوماً على جنازة فتذكرت أنه سيأتي اليوم الذي يصلي عليك فيه!

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٠)، وابن أبي شيبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ق١٨٣) من طريق ابن سعد، وابن الجوزي في «المناقب» (ص٢٣١)، «مسند ابن الجعد» (ص١٣٦)، و«التاريخ الأسلامي» (١٩/ ٤٤-٤٥).

(٢) تكملة حديث البخاري (٣٤٩٧).

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً ... كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

عباد الله! وتألم الصحابة جميعاً على موت عمر، وعلى فراقه.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لواقفٌ في قومٍ، فدعوا الله لعمر بن الخطاب -وقد وضع على سريره- إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مرفقهُ على منكبي يقول: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كنت كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر؛ فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[(١)].

عباد الله! الصحابة رضي الله عنهم يثنون على الفاروق عمر:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: لو أن عِلْمَ عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان، ووضع علم الأرض في كفة لرجح علم عمر[(٢)].

ويقول أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه: والله! ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقصٌ في دينهم وفي دنياهم[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٤).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٢)، و«التمهيد» لابن عبدالبر (٣/ ١٩٨) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢/ ٣٢) والحديث إسناده صحيح.

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣/ ٣٧٤).

ويقول حذيفة بن اليمان ﷺ: إنما كان مثلُ الإسلام أيام عمر مثل مُقبل لم يزلْ في إقبالٍ، فلما قُتِلَ أدبر فلم يزل في إدبار[١].

رضي الله عنك يا عمر وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.

(١) «الطبقات» (٣/ ٣٧٣) إسناده صحيح.



الخطبة الحادية عشرة

عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في عثمان بن عفان رضي الله عنه

عباد الله! قال الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان؛ من سلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا والله! أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

عباد الله! وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هو عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

أتعرفونه ..؟ إنه الخليفة الثالث للمسلمين، وأحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة، صحِبَ رسول الله ﷺ فأحسن صحبته، وتُوفي وهو عنه راضٍ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته، وتُوفي وهو عنه راضٍ، وصحب الفاروق فأحسن صحبته، وتُوفي وهو عنه راضٍ. ذو النورين، الذي قتل مظلوماً رضي الله عنه.

خرج عليه البغاة الخوارج -وهي فرقة ضالة- يكفِّرون المسلمين، خرجوا عليه واستحلوا دمه، ولقي الله مظلوماً شهيداً.

عباد الله! وحديثنا عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون فقط عن..

عقيدة أهل السنة والجماعة في أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

عباد الله! عقيدة أهل السنة والجماعة: أن أفضل الناس بعد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

قال إسحاق بن راهويه -رحمه الله تعالى-: (لم يكن بعد رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعده أفضل من عثمان، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خيرٌ ولا أفضل من علي)[1].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٢٦).

عباد الله! وقد وردت الأدلة الكثيرة على فضله ﷺ، وبعضها دلّ على أنه أفضل الخلق بعد الشيخين ﷺ ومن تلك الأدلة:

١- يقول عبد الله بن عمر ﷺ (كُنا في زمن النبي ﷺ لا نُعدلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)[١].

وهذا الحديث دلّ على أن عثمان ﷺ أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ﷺ.

٢- وقال النبي ﷺ لأصحابه ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟». فقال رجلٌ: أنا، رأيت كأن ميزاناً أُنزل من السماء، فَوزِنْتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنتَ بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رُفِعَ الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[٢].

عباد الله! تضمن هذا الحديث الإشارة إلى ترتيب الخلفاء الثلاثة في الفضل، كما تضمن الإشارة إلى أن ترتيبهم في الخلافة يكون على حسب ترتيبهم في الفضل، وإلى حقية خلافتهم جميعاً ﷺ.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: «أن النبي ﷺ دخل حائطاً وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة» فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة» فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه» فإذا عثمان بن عفان[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٤٠٣).

قال ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة..»(١). وهذا الحديث تضمن فضيلة هؤلاء المذكورين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وأنهم من أهل الجنة، وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى(٢).

وعن أبي عبد الرحمن ﷺ أنَّ عثمان ﷺ حين حُصِرَ؛ أشرف عليهم وقال: (أنشدكم الله، ولا أنشُدُ إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفر رومة -وهي عينٌ في المدينة اشتراها عثمان ووسعها- فله الجنة» فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «مَن جهَّز جيش العسرة فله الجنة» فجهزتُه؟ قال: فصدَّقوه بما قال)(٣).

عباد الله! وهذا الحديث تضمن منقبتين عظيمتين لذي النورين عثمان ﷺ؛ شراؤه ﷺ بئر رومة، وتجهيزه جيش العسرة الذي خرج لغزوة تبوك، وقد أخبر الذي لا ينطق عن الهوى أن جزاءه على ذلك أن يكون من أصحاب الجنة، وهاتان المنقبتان مِن أعلى مناقبه ﷺ(٤).

وعن ثمامة بن حزنٍ القُشيري قال: شهدتُ الدار، حين أشرف عليه عثمان، فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين أَلَّبَاكُم عليَّ؟ قال: فجيء بهما كأنهما جملان، أو كأنهما حماران.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٧٠-١٧١).

(٣) رواه البخاري (٢٦٢٦).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة الكرام» (١/ ٢٦٥).

قال: فأشرف عليهم عثمان فقال: أنشدُكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قَدِم المدينة وليس بها ماءٌ يُستعذب غير بئر رومة. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دِلاء المسلمين بخير له منها في الجنة».

فاشتريتُها مِن صُلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها، حتى أشرب من ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: أنشُدُكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة» فاشتريتُها مِن صُلب مالي، وأنتم اليوم تمنعوني أن أُصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: أنشدكُم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر، وعمر، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض. قال: فركضه برجله، فقال: «اسكن ثبيرُ فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان؟» قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة: أني شهيدٌ ثلاثاً»[1] ومع ذلك خرج البغاة عليه!

• وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان ﷺ إلى النبيِّ ﷺ بألف دينار -حين جهز جيش العُسرة- فنثرها في حِجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حِجره، ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين[2].

---

(١) رواه الترمذي «٣٧٠٣»، والنسائي في «المجتبى» (٣٦٠٨)، و«سنن الدارقطني» (٤/ ١٩٦)، والحديث علق عليه الألباني في «سنن الترمذي» وقال عنه: حسن، وفي النسائي قال عنه: صحيح دون قصة ثبير.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠١)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٦٣)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وأيضاً في «المشكاة» (٦٠٦٤).

ولما حُصِرَ عثمان وأحيط بداره؛ أشرف على الناس فقال: نشدُتكم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة -وهي غزوة تبوك-: «مَنْ يُنفق نفقة متقبَّلةً ؟» والناس مجهدون معسِرون، فجهزتُ ثُلثَ ذلك الجيش مِن مالي؟! فقالوا: اللهم! نعم[1].

عباد الله! فشهادة النبي ﷺ له بالجنة في شرائه بئر رومة، وحبسها على المسلمين غنيهم وفقيرهم، وزيادته في المسجد، وتجهيزه جيش العُسرة مع قوله ﷺ: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» وهذا كقوله ﷺ: «وما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

كلُ هذه الخصال المذكورة من أعظم مناقبه ﷺ، وقد ذكرها يوم كان محصوراً في داره مِن قِبل الزائغين الذين خرجوا عليه بغية الفساد في الأرض، وَصَدَّقَهُ بها كبار الصحابة، وفضلاؤهم، وهم الذين سمعوها من النبي ﷺ مثل سعد بن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة -رضي الله عنهم أجمعين[2].

تقول عائشة ﷺ: كان رسول الله مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذِنَ له، وهو على تلك الحال. فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى

---

(١) «الأحاديث المختارة» (١/ ٤٨٣)، و«سنن الترمذي» (٣٦٩٩)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢/ ٣٩)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (١/ ٢٦٨).

ثيابه. تقول: فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة»[١]. وقال ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمرُ، وأشدُّهم حياءً عثمان..»[٢] الحديث.

وقد أخبر النبي ﷺ أنه إذا نزلت الفتنة، فالذي على الهدى هو عثمان بن عفان، وهذا يدل على أن الذين خرجوا عليه من الخوارج، كانوا هم على الباطل. فالذين قتلوا عثمان، وجاء أميرهم وصلى بالناس في المسجد النبوي؛ فرقة ضالة ما زال في المسلمين حتى اليوم من يحمل أفكار تكفير المجتمعات، ويستحل دمائهم، فكونوا منهم على حذر.

وقد أمر النبي ﷺ الصحابة والمسلمين إذا نزلت الفتنة أن يلتفوا حول عثمان.

عن كعب بن عُجرة؛ قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجلٌ مقنعٌ رأسهُ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا يومئذ على الهدى» فوثبتُ فأخذتُ بضبعي عثمان، ثم استقبلتُ رسول الله ﷺ فقلت: هذا؟ قال: «هذا»[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١)

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٧٧)، و«الأحاديث المختارة» (٦/ ٢٢٦)، و«موارد الظمآن» (ص٥٤٨)، والترمذي (٣٧٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٢١٠)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي وابن ماجه، وهو أيضاً في «الصحيحة» برقم (١٢٢٤).

(٣) «مصباح الزجاجة» (١/ ١٨)، و«سنن ابن ماجه» (١١١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن ابن ماجه» وفي «المشكاة» برقم (٦٠٦٧).

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وددتُ أن عندي بعض أصحابي» قلنا: يا رسول الله! ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «نعم». فجاء، فخلا به، فجعل النبي ﷺ يُكلِّمه، ووجه عثمان يتغير.

قال قيس: فحدَّثني أبو سهلة، مولى عثمان: أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً؛ فأنا صائرٌ إليه، وقال عليٌّ في حديثه: وأنا صابرٌ عليه.

قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم(١).

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) «مصباح الزجاجة» (١/ ١٩)، و«سنن ابن ماجه»، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن ابن ماجه» وهو أيضاً في «المشكاة» (٦٠٧٠)، و«الظلال» (١١٧٥ و١١٧٦).

الخطبة الثانية عشرة

عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثانياً: عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل إسلامه وبعد إسلامه:

عباد الله! عثمان رضي الله عنه هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

عباد الله! وحديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قبل إسلامه وبعد إسلامه.

أولاً: اسمه ونسبته وكنيتُه وألقابُه..

اسمه: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يجتمع مع النبي ﷺ في عبد منافٍ[1].

كنيته: كان يُكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ سماهُ عبد الله، واكتنى به فكناهُ المسلمون أبا عبد الله[2].

لقبُه: كان عثمان رضي الله عنه يُلقّبُ بذي النورين.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٢)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٧٩)، باب نسب عثمان بن عفان رضي الله عنه، و«الآحاد والمثاني» (١/ ١٢١).

(٢) «التمهيد والبيان» (ص١٩).

ثانياً: مكانته في الجاهلية:

عباد الله! كان عثمان ﷺ في أيام الجاهلية من أفضل النـاس في قومـه، ولقـد كان عريضُ الجاه، ثريٌّ، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبونـه أشـد الحب ويوقرونه، لم يسجد في الجاهلية لـصنم قـطُّ، ولم يقـترف فاحـشة قـطُّ، ولم يشرب خمراً قبل الإسلام. يقول ﷺ: (ما تغنيتُ ولا تمنيتُ، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمـراً في جاهليـة ولا إسـلام، ولا زنيتُ في جاهلية ولا في إسلام)[1].

ثالثاً: إسلامه:

عباد الله! عثمان بن عفان ﷺ من السابقين الأولين إلى الإسلام. كان ﷺ قـد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاهُ أبو بكر الصديق ﷺ إلى الإسـلام، ولم يُعرف عنه تلكؤ أو تلعثم بل كان سباقاً، أجاب على الفور دعـوة الـصديق، فكـان بذلك من السابقين الأولين حتى قال أبو إسحاق: كان أول الناس إسلاماً بعـد أبي بكر وعليٍّ وزيد بن حارثة؛ عثمان[2]. فكان بذلك رابع من أسلم من الرجال.

عباد الله! فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحاً شـديداً، وتوثقـت بينـه وبيـنهم عُرى المحبة وأخوة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزواج مـن بنـت رسـول الله ﷺ رقية ﷺ.

---

(١) ورد ذكر هذا الخبر في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٨٦)، وفيه: «تعنيت» بدل «تغنيت»، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٩٢)، والصلابي (ص١٨)والخبر صحيح.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٨٧، ٢٨٨).

رابعاً: هجرته:

عباد الله! تعرض عثمان بن عفان ﷺ بعد إسلامه للإيذاء والتعذيب من كفار مكة؛ فدفعه ذلك إلى الهجرتين؛ هجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، يقول ﷺ: (..أما بعدُ فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بُعث به وهاجرتُ الهجرتين -وهذا هو الشاهد- وصحبت رسول الله ﷺ وبايعتهُ، فوالله ما عصيتُهُ ولا غششتُه حتى توفاهُ الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفتُ..»[1].

خامساً: عفافُهُ:

عباد الله! كان عثمان ﷺ من أعف الناس، فلم يعرف طريق الفحشاء في الجاهلية ولا في الإسلام.

قال ﷺ عندما حاصره البغاة ليقتلوه: (وَلِمَ يقتلونني؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:«لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس» فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط -وهذا هو الشاهد على عفافه- ولا أحببتُ أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفساً، فَبِمَ تقتلونني؟)[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٣).

(٢) رواه أبي داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، والنسائي في «المجتبى» (٤٠١٩)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «السنن الأربعة» وهو أيضاً في «الإرواء» (٧/ ٢٥٤).

وقال ﷺ: (ما تغنيتُ -من الغناء-، ولا تمنيتُ -من التمني-، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا في إسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام)[1]. وهذا دليل على عفافه ﷺ.

سادساً: خوفه من الله وبكاؤه، ومحاسبتهُ لنفسه:

عن هاني مولى عثمان قال: (كان عثمانَ إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكرُ الجنة والنار فلا تبكي! وتبكي مِن هذا؟ قال ﷺ: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدُّ منه».

وقال رسول الله ﷺ: «والله ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه»، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ثم قال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت فإنه الآن يُسأل»[2]. هذا الذي جعل عثمان ﷺ يبكي بكاءً شديداً حتى تبتل لحيته.

زوروا القبور؛ فإنها تدمع العين، وترقق القلب، وتذكر بالآخرة.

سابعاً: عبادتهُ وحياتهُ مع القرآن الكريم:

عباد الله! جمع عثمان بن عفان ﷺ بين العلم والعمل، فكان ﷺ من المجتهدين في العبادة.

(١) «صحيح التوثيق» (ص٤٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٦)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٦٣)، والحديث حسّنه الألباني كما في تعليقه على «سنن الترمذي»، وابن ماجه، وفي «المشكاة» (١٣٢)، و«تخريج الأحاديث المختارة» (٣٦٦-٣٦٧).

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٦]. قال هو: عثمان ابن عفان[١].

وكان ﷺ حافظاً لكتاب الله، وكان المصحف لا يكاد يفارق حجره فقيل له في ذلك، فقال: إنه مبارك جاء به مبارك[٢]. وقال ﷺ: «لو طهرت قلوبكم لما شبعتم من كلام ربكم»[٣]. صدق والله. وقال ﷺ: «حُبب إليّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن»[٤].

روى عثمان ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[٥].

ثامناً: علمُه، وقدرتُهُ على التوجيه والتعليم:

عباد الله! عثمان بن عفان ﷺ يعتبر من كبار علماء الصحابة في القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ لأنه لازم النبي ﷺ فاستفاد من علمه وهديه. وكان ﷺ قادراً على تعليم غيره ما تعلمه من رسول الله ﷺ، فهذا أبو عبد الرحمن السُّلمي يُحدثنا عن حديث سمعه من عثمان ﷺ فعمل به، فعن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[٦].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٩).

(٢) «البيان والتبيان» (٣/ ١٧٧).

(٣) «كتاب الزهد» لابن أبي عاصم (ص١٢٨).

(٤) «إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد» (ص٨٨).

(٥) رواه البخاري (٤٧٣٩).

(٦) المصدر السابق.

قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وكان يُعلم الناس القرآن منذ أربعين سنة[١].

فإذا أردت أن تكون من خير الناس، فكن من أهل القرآن تعلماً وتعليماً. وها هو ﷺ دعا يوماً فتوضأ أمام الناس، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدّث نفسه فيهما، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[٢].

وفي يوم آخر ومجلس آخر، دعا بماء فتوضأ أمام الناس، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: «ومن توضأ وضوئي هذا، ثم قام فصلى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينهما وبين الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما بينهما وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر له ما بينهما وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر له ما بينهما وبين صلاة المغرب، ثم لعلَّه أن يبيت يتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غُفِرَ له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يُذهبن السيئات» قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[٣].

وكان ﷺ يحذر الناس من الكذب على رسول الله ﷺ فيقول: قال رسول الله ﷺ: «من تعمد عليَّ كذباً، فليتبوأ بيتاً في النار»[٤].

---

(١) «الخلافة الراشدة» (ص٤٢).

(٢) رواه البخاري (١٥٨)، ومسلم (٢٢٦).

(٣) «الأحاديث المختارة» (١/ ٤٥٠)، و«مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٧)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٧١)، والحديث: إسناده حسن.

(٤) «مجمع الزوائد» (١/ ١٤٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٧٠)، وروي هذا الحديث عن كثير من الصحابة، والحديث إسناده حسن.

تاسعاً: أنفاقه في سبيل الله:

عباد الله! كان عثمان ﷺ من الأغنياء الذين أغناهم الله عز وجل، وكان صاحب تجارة وأموالٍ طائلة؛ واستخدم هذه الأموال في طاعة الله عزَّ وجل، وابتغاء مرضاته. وصار ﷺ سباقاً لكل خير ينفق، ولا يخشى الفقر، ومن نفقاته الكثيرة على سبيل المثال:

١- بئر رومة:

عندما قدم النبي ﷺ المدينة وجد أن الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة. فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دِلاء المسلمين بخيرٍ له منها في الجنة»[1]. فاشتراها عثمان ﷺ بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[2].

٢- توسعة المسجد النبوي:

عباد الله! لما ضاق المسجد النبوي بالمصلين، رَغَّبَ النبي ﷺ بعض أصحابه أن يشتري بقعةً بجانب المسجد، لكي تُزاد في المسجد حتى يتسع لأهله، فقال ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٦٨)، و«سنن الدارقطني» (٤/ ١٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٩٧)، وفي «المجتبى» (٣٦٠٨)، والحديث علق عليه الألباني وقال عنه في الترمذي: حسن، وفي «المجتبى» للنسائي: صحيح دون قصة (ثبير).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٤٠٨).

«من يشتري بقعة آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟». فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه من صلب ماله ثم أضيفت للمسجد(١).

٣- تجهيز جيش العسرة:

عباد الله! عندما أراد رسول الله ﷺ الخروج إلى غزوة تبوك، حثَّ أغنياء الصحابة على البذل لتجهيز جيش العُسرة، الذي أعده رسول الله ﷺ لغزو الروم. قال ﷺ: «من جهز جيش العُسرة فله الجنة». فجهزه عثمان رضي الله عنه(٢).

وقال ﷺ: «من جهز هؤلاء غفر الله له؟» -يعني: جيش العسرة- يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطاماً(٣). وجاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار - حين جهز جيش العسرة - فنثرها في حجره، فأخذ النبي ﷺ يقلبها في حِجره ويقول: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين(٤). رضي الله عن عثمان، وسبحان من خلق عثمان!

---

(١) تقدم تخريجه هامش (٣٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٢٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٦٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٣/ ٣١)، وفي «المجتبى» (٣١٨٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي «المجتبى».

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٠)، والترمذي (٣٧٠١)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٦٠٦٤).

عاشراً: عثمان بن عفان ﷺ في ميادين الجهاد مع رسول الله ﷺ:

عباد الله! كان عثمان بن عفان ﷺ من أعمدة الدولة الإسلامية، فلم يبخل بمشورة، أو مالٍ أو رأي، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة بدر، فقد تخلف عنها بأمرٍ من رسول الله ﷺ؛ ليبقى بجوار زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ التي اشتد بها المرض عند الخروج لغزوة بدرٍ الكبرى.

عباد الله! وفي صلح الحديبية ضرب عثمان بن عفان مثلاً عظيماً في الشجاعة؛ وذلك عندما نزل رسول الله ﷺ الحديبية رأى من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم فيها نواياه السليمة بعدم الرغبة في القتال، وبحرصه على احترام البيت، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار في النهاية على عثمان ﷺ.

فدعا رسول الله ﷺ عثمان ﷺ فقال له: اذهب إلى قريش فأخبرهم أنّا لم نأت لِقتال أحدٍ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف. فخرج عثمان ﷺ حتى أتى بلدح -مكان قريب من مكة- فوجد قريشاً هناك فقالوا له: أين تريد؟

قال لهم: بعثني رسول الله ﷺ إليكم؛ يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام. فقالوا له: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك، فأخبره أنه لا يصل إلينا، فقام إليهم أبان بن سعيد بن العاص فرحب به وأجاره، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل

عثمان عليه وردفه وراءه»، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً، فقالوا له: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً.

وعرض المشركون على عثمان رضي الله عنه أن يطوف بالبيت فأبى، وقام عثمان رضي الله عنه بتبليغ رسالة رسول الله ﷺ إلى المستضعفين بمكة، وبشرهم بقرب الفرج والمخرج، وتسربت شائعة إلى المسلمين؛ مفادها أن عثمان قُتل؛ فدعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت[١].

وقال النبي ﷺ: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده، وكان في وقت البيعة في مكة، ولم يتمكن من الخروج منها[٢].

عباد الله! وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه أنه قد رضي عن أصحاب هذه البيعة قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. وقال جابر رضي الله عنه قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خيرُ أهل الأرض». وكُنّا ألفاً وأربعمائة، ولو كنتُ أُبصر لأريتكم موضع الشجرة[٣].

حادي عشر: مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن عثمان رضي الله عنه:

عباد الله! لما طُعِن عمر رضي الله عنه وعلم الصحابة أنه ميت قالوا له: أوصي يا أمير المؤمنين، استخلف قال: ما أجدُ أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط-

---

(١) ورد ذكر هذا الخبر كاملاً كما في «التمهيد» لابن عبد البر (١٢/ ١٤٨)، و«صحيح السيرة النبوية» (ص٤٠٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٩٥).

(٣) رواه البخاري (٣٩٢٣)، ومسلم (١٨٥٦).

الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن..»[١].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا وإياكم مع رسول الله ﷺ ومع عثمان والصحابة أجمعين في جنات النعيم.

(١) تقدم تخريجه.



الخطبة الثالثة عشرة

عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثالثاً: مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه. حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! وأفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. أتعرفونه يا عباد الله!؟.. إنه ذو النورين أحد السابقين الأولين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي لم يسجد في الجاهلية لصنم قط، والذي لم يشرب الخمر في الجاهلية ولا في الإسلام، والذي لم يقترف فاحشة الزنا في الجاهلية ولا في الإسلام.

عباد الله! وحديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الذي قُتل مظلوماً شهيداً.

عباد الله! وكلامنا عن مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه سيكون حول هذه العناصر التالية:

العنصر الأول: من معجزات النبي ﷺ:

العنصر الثاني: الشبهات التي تمسك بها البغاة الظلمة، فاستحلوا بها دم عثمان ﷺ والرد عليها.

العنصر الثالث: قتلوه قتلهم الله.

العنصر الأول: من معجزات النبي ﷺ.

عباد الله! أخبر النبي ﷺ في حياته عن أمور غيبية ستقع في أمته، ووقعت كما أخبر ﷺ وهذا من معجزاته. ومن الأمور التي أخبر عنها النبي ﷺ؛ فتنة مقتل عثمان ﷺ وأنه على الحق، وأنه سيقتل ظلماً، وأمر ﷺ المسلمين بإتباعه، ووصف ﷺ الذين أرادوا خلعه بالنفاق.

عباد الله! يقول أبو موسى الأشعري ﷺ: كنتُ مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له، وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو أبو بكر .. ثم جاء رجل فاستفتح؛ فقال النبي ﷺ: «افتح له، وبشره بالجنة» ففتحت له فإذا هو عمر .. ثم استفتح رجل، فقال ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فإذا هو عثمان -هذا هو الشاهد-. فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان[1].

---

(١) تقدم تخريجه..

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: ذكر النبي ﷺ فتنة، فمر رجلٌ فقال ﷺ: «يُقتلُ فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً». قال: فنظرتُ فإذا هو عثمان بن عفان(١).

ويقول كعب بن عجرة: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجل مقنع رأسه، فقال ﷺ: «هذا يومئذ على الهدى» فوثبت فأخذت بضبعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلتُ: هذا؟ قال: «هذا»(٢).

وقال ﷺ لأصحابه: «كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر -أي: قرونها-؟». قالوا: نصنع ماذا يا نبيَّ الله؟!

قال: «عليكم بهذا وأصحابه». قال رجل: فأسرعتُ حتى عطفت إلى الرجل؛ قلتُ: هذا يا نبيَّ الله؟! قال ﷺ: «هذا»، فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه(٣).

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً أو قال: اختلافاً وفتنة»، فقال له قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «عليكم بالأمين وأصحابه». وهو يشير إلى عثمان بذلك(٤).

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١١٥)، و«تهذيب الكمال» (١٢/ ١٥٧)، «فضائل الصحابة لابن حنبل» (١/ ٤٥١) بإسناد حسن.

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٩)، و«سنن الترمذي» (٣٧٠٤)، وابن ماجه (١١١)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي، وابن ماجه وهو أيضاً في «المشكاة» (٦٠٦٧).

(٣) «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٤١)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٣)، والحديث صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٨١٤).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ٣٤٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٠)، «فضائل الصحابة لابن حنبل» (١/ ٤٥٠) بإسناد صحيح.

وتقول عائشة ﵂: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان، فاقبل عليه رسول الله ﷺ: فكان مِن آخر كلامه كلمة أن ضرب بين منكبيه، وقال: «يا عثمان! إن الله عز وجل عسى أن يُلبسك قميصاً -وهي الخلافة- فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، ثلاثاً»[١].

وتقول عائشة ﵂: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي بعض أصحابي» قلتُ: أبو بكر؟ قال: «لا». قلتُ: عثمان؟ قال: «نعم». فلما جاء قال: «تنحي» فجعل يُسارّه ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحُصِرَ، قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تُقاتل قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني صابر نفسي عليه[٢].

عباد الله! أخبر النبي ﷺ على فتنة مقتل عثمان ﵁؛ وهذه من معجزاته ﷺ؛ فكان عثمان بن عفان ﵁ يعلم أنه سيُقتل مظلوماً، وأنه ومن معه على الحق، وأن الذين خرجوا عليه واستحلوا دمه من المنافقين.

العنصر الثاني: الشُبهات التي تمسك بها البغاة والظلمة فاستحلُّوا قتل عثمان ﵁:

أولاً: ما نُسب إلى عثمان ﵁ مِن إيثار أقربائه بإسناد الولايات إليهم وعزل كبار الصحابة منها، وتولية الأحداث منهم ومنحهم الأموال.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٦/ ٨٦)، «فضائل الصحابة لأبن حنبل» (١/ ٥٠٠) بإسناد صحيح.

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٦)، و«مصباح الزجاجة» (١/ ١٩)، و«سنن ابن ماجه» (١١٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٦/ ٥١)، والحديث صححه الألباني في «سنن ابن ماجه» وهو أيضاً في «المشكاة» (٦٠٧٠)، وفي «الظلال» (١١٧٥، ١١٧٦).

أما قولهم: كان يعزل كبار الصحابة، ويولي مكانهم من هو أدنى منهم مرتبة وفضلاً من أقاربه؛ مثل سعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، وابن أبي سرح، ومعاوية. فالردُّ على ذلك مِنْ سيرة رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر ﵄.

ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ ولّى عمرو بن العاص ﵁ قيادة الجيش في غزوة ذات السلاسل، وكان في جند ذلك الجيش أبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب ﵄ فسأل عمرو النبيَّ ﷺ: من أحبُّ الناس إليك؟ قال: «عائشة» قال: من الرجال؟ قال: «أبوها». قال: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، حتى عدّ رجالاً لم يذكر فيهم عمرو بن العاص[1].

وقد ثبت أن النبي ﷺ ردَّ أبا ذر ﵁ ولم يرغب أن يوليه؛ لعلمه أنه لا يستطيع أن يتحمل أعباء الإمارة، وقال له: «يا أبا ذر، أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمّرنَّ على اثنين، ولا تولينّ مال يتيم»[2]. ورفض النبي ﷺ أن يعطي الإمارة أبا ذر وله من الفضل ما له، وقد قال رسول الله ﷺ في حقه: «ما أقلّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء مِن رجل أصدق من أبي ذر»[3].

وقد أبى الصديق ﵁ أن يعزل خالد بن الوليد، مع إلحاح عمر بن الخطاب عليه بذلك، وكان يحتج لعدم عزله بقوته ومقدرته على إدارة الجيوش ويقول:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٧٦)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٨٥)، والترمذي (٣٨٠١)، وابن ماجه (١٥٦)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على الترمذي وابن ماجه وهو أيضاً في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٣٤٣)، وفي «المشكاة» (٦٢٢٩ و٦٢٣٠).

«لا أشيم سيفاً سلّه الله على المشركين» وهو يرى أنَّ في أصحاب رسول الله ﷺ من هو أفضل من خالدٍ؛ ولكن ليست لهم كفاءته وقوته في قيادة الحروب.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يولّي الرجل، ويترك مَن هو أفضل منه من أهل السابقة والفضل في أصحاب رسول الله ﷺ؛ نظراً إلى القوة في العمل والتبصر بالتدبير والسياسة، وكان يُقالُ له: مالك لا تولي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، فيقول: «إني لأتحرج أن أستعمل الرجل، وأنا أجد أقوى منه»[١].

عباد الله! وكان الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده أول من أخذ بمبدأ: التقي الضعيف له تقاه، وللخليفة ضَعْفُهُ، والقوي الفاجر للخليفة قوته، وفجوره على نفسه؛ لأن التقي الضعيف تقواه لنفسه، وضعفه للمسلمين، والقوي الفاجر فجوره لنفسه، وقوته للمسلمين[٢].

وفي ظل هذه السيرة سار عثمان ﷺ؛ وإذا كانت هذه سياسة الرسول ﷺ والشيخين من بعده، وقد اتفقت الأمة على أنها أحكم سياسة وأقومها، فأيّ عيبٍ يلحق عثمان ﷺ في أن يسير على نهجها! أليس له أسوة في رسول الله ﷺ وصاحبيه؟! وهو القائل في مستهل خلافته: «أما بعد، إني متبع ولستُ بمبتدع»[٣].

أوليس له من حقوق الخلافة والإمامة العظمى مثل ما كان لصاحبيه أبي بكر وعمر؟! وما الذي يبقى له من معنى السلطان إذا حُجر عليه عزلُ أمير، وتوليه آخر؛ مراعاة للمصلحة التي يجتهد فيها الخليفة ولا يفقهها الدهماء من الناس!

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣٠٥).

(٢) «السياسة الشرعية» ابن تيمية (ص١٨-٢٤).

(٣) الطبري: «تاريخ الرسل» ٤/ ٤٢٢).

عباد الله! إذا كان كذلك ظهرت حجة عثمان، فعثمان يقول: إن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته، واستعملهم بعده من لا يُتهم فيهم، أبو بكر الصديق ﷺ وعمر ﷺ، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش: فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس -بنو أمية- لأنهم كانوا كثيرين وكان فيهم شرف[1].

عباد الله! أمّا استعمال الأحداث وتركُ الكبار، فكان لعثمان ﷺ في رسول الله ﷺ أسوة حسنةٌ؛ فقد جهّز رسول الله ﷺ جيشاً لغزو الروم في آخر حياته، واستعمل عليه أسامة بن زيد ﷺ، وسِنه دون العشرين، وكان في جنده كبارُ الصحابة، ومنهم أبو بكر وعمر ﷺ[2].

وعندما تُوفي رسول الله ﷺ تمسّك الصديق ﷺ بإنفاذ هذا الجيش، لكن بعض الصحابة رغبوا في تغيير أسامة بقائد أسن منه، فكلموا عمر في ذلك ليُكلم أبا بكر، فغضب أبو بكر لما سمع هذه المقالة، وقال لعمر: يا عمرُ استعملَه رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أعزله![3].

ويقول علي ﷺ: «ولم يولِّ -أي: عثمان- إلا رجلاً سوياً عدلاً، وقد ولّى رسول الله ﷺ عتّابَ بن أُسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة»[4].

---

(١) ابن تيمية «المنهاج» (٣/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٣٨).

(٣) الطبري: «تاريخ الرسل» (٣/ ٢٦٦).

(٤) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٧).

وخلاصةُ القول: إن أقارب عثمان ﷺ قد تقلَّد أغلبُهم مهام الولاية في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمرَ، وكانوا أهل نجدةٍ وكفايةٍ، وبصرٍ بالإمارةِ، وقدرةٍ عليها. فلا يعتدُّ بكلام أهل الأهواء فيهم، إذ الكلام في الناس ينبغي أن يقوم على موازين التثبت والعدل والإنصاف.

وأما قولهم بأنَّ عثمان كان يمنح أقاربه المالَ، فيمكن القول بأن سيرته ﷺ في أقاربه وذويه تمثل جانباً من جوانب الإسلام الكريمة الرحيمة؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. كما أنها تمثل جانباً عملياً من سيرة المصطفى ﷺ، فقد أعطى النبي ﷺ عمّه العباس ما لم يعطُ أحداً عندما ورد عليه مالٌ من البحرين[1]. وولّى علياً وهو ابن عمه وصهره، ولعثمان وسائر المؤمنين في رسول الله ﷺ أعظم القدوة.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: «وقد كان عثمان ﷺ كريم الأخلاق ذا حياءٍ كثيرٍ، وكرمٍ غزيرٍ، يؤثر أهله وأقاربه في الله تأليفاً لقلوبهم من متاع الدنيا الفاني؛ لعلّه يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النبي ﷺ يُعطي أقواماً ويدعُ آخرين إلى ما جُعل في قلوبهم من الهدى والإيمان. وقد تعنّت عليه ﷺ بسبب هذه الخصلة أقوامٌ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الإيثار»[2].

---

(١) رواه البخاري (٤١١).

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠١).

عباد الله! وكان عثمان ﷺ قبل أن يلي الخلافة شديد البر بقرابته كثير البذل لهم وللمسلمين، حتى قال: «ولقد كنتُ أعطي العطية الكبيرة الرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ وأنا يومئذ شحيح حريصٌ، أَفَحِينَ أتيت على أسنان أهل بيتي، وفنى عمري، وودعت الذي لي من أهلي، قال الملحدون ما قالوا!»[١].

ثانياً: ما نُسِبَ إليه مِن أشياء استحدثها وخالف بها من سبقه في زعمهم كجمعه القرآن في مصحف واحد، وإتمامه الصلاة بمنى، وزيادة الأذان الثاني يوم الجمعة وغيرها.

فأما إحراقه المصاحف وجمع الناس على مصحف واحدٍ فيعتبره العلماءُ العارفون منقبة لعثمان ﷺ؛ لأنه حَسَم مادة الخلاف بين المسلمين، وجمعهم على مصحف واحدٍ. يقول ابن العربي: «وأما جمع القرآن فتلك حسنتُهُ العظمى، وخصلتُه الكبرى .. وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه، حسبما بيّناه في كتب القرآن وغيرها»[٢]. وهذا أبو هريرة ﷺ يدخل على عثمان بعد نسخ المصاحف فيقول له: «أصبتَ ووفقت..»[٣].

---

(١) الطبري: «تاريخ الرسل» (٤/ ٣٤٨).

(٢) ابن العربي: «العواصم» (ص٦٦).

(٣) ابن عساكر: «تاريخ دمشق» (ص٢٣٧).

وأما إتمام عثمان رضي الله عنه الصلاة بمنى فهو أمرٌ ثابتٌ: أخرج الإمام البخاري من طريق ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين وأبي بكرٍ وعمر، ومع عثمان صدراً من إمارته ثم أتمها»(١).

ويجيب عثمان رضي الله عنه عن ذلك: «ألا وإني قدمتُ بلداً فيه أهلي، فأتممت هذين الأمرين: الإقامة واتخاذ الأهل»(٢). ونقل الحافظ ابن حجر عن الزهري قال: إنما صلى عثمان بمنى أربعاً لأنّ الأعراب كانوا كثروا في ذلك العام: فأحبَّ عثمان أن يُعلمهم أن الصلاة أربع(٣).

وأما قولهم أنه زاد الأذان الثاني يوم الجمعة وهو بدعةٌ، فيجاب على ذلك بأن سنة الخلفاء الراشدين من سنة النبيّ ﷺ، وروى الإمام البخاري من طريق السائب بن يزيد أن عثمان رضي الله عنه زاد الأذان الثاني في خلافته لّما كثر النّاسُ بالمدينة(٤). وفي رواية ابن ماجة والنسائي: «فَأَذَّنَ بالزوراء -دار بالسوق- قبل خروجه؛ ليُعلم الناس أن الجمعة قد حضرت»(٥).

فَعُلِمَ بذلك أن المصلحة اقتضت زيادة الأذان الثاني ليعمَّ الإخبار، نظراً لاتساع المدينة وكثرة من فيها، وإلا لو كان الأمر خلاف السنة؛ لأنكر عليه كبارُ

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٢)، ومسلم (٦٩٤).

(٢) الطبري: «تاريخ الرسل» (٤/ ٤٤٦).

(٣) ابن حجر: «الفتح» (٢/ ٥٧١).

(٤) رواه البخاري (٨٧٠).

(٥) رواه ابن ماجة (١١٣٥)، والنسائي في «المجتبى» (١٣٩٢) والحديث صححه الألباني في تعليقه عليها.

الصحابة وهم موجودون في المدينة. كما أن علياً ﷺ لم يأمر بإزالة هذا الأذان لمّا صار خليفة، على أن ما فعله عثمان من النداء الثاني اتفق عليه أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم من العلماء، كما اتفقوا على ما سنه أيضاً عمر ﷺ مِن جمع الناس في رمضان على إمام واحد[1].

ثالثاً: ما اعتُرِضَ عليه في أحواله الشخصية:

مثل تغيبه يوم بدر، وفراره في أُحُدٍ، وعدم شهوده بيعة الرضوان.

عباد الله! وقد ردّ على هذه الاعتراضات عبد الله بن عمر ﷺ في نصٍ صحيح رواه الإمام البخاري من طريق عثمان بن موهب.

قال: جاء رجل من أهل مصر حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً. فقال: من هؤلاء القوم؟ قال: هؤلاء قريشٌ، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أُحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بدرٍ ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم. قال الرجل: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبينُ لك: أما فِرارهُ يوم أُحد؛ فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، يشير إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. وأما تغيّبه عن بدر؛ فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله

---

(١) ابن تيمية: «المنهاج» (٣/ ٢٠٤).

ﷺ: «إنّ لك أجر رجلٍ ممن شهد بدراً وسهمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعثه رسول الله ﷺ. وكانت بيعة الرضوان؛ بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان». فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

العنصر الثالث: قتلوه قتلهم الله:

عباد الله! مع أن هذه الشبهات التي تمسك بها البغاة الظلمة باطلةٌ؛ فقد جاءوا من كل مكانٍ، وحاصروا أمير المؤمنين في داره بالمدينة، وطلبوا منه أن يخلع نفسه من الخلافة، أو القتل. فدخل عبد الله بن عمر على أمير المؤمنين عثمان ﷺ يدعم موقفه لئلا يتنازل عن الخلافة، ويخلع نفسه تحت ضغط الحصار؛ وذلك مخافة أن يكون أسوة لمن سيأتي بعده، كلما كره ناس أميرهم أو إمامهم خلعوه، يقول نافع مولى ابن عمر: «دخل ابن عمر على عثمان وعنده المغيرة بن الأخنس -له صحبة- فقال: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك. فقال ابن عمر: إذا خلعتها، أمخلدٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا، قال: فإن لم تخلعها، هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: فهل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا. قال: فلا أرى أن تخلع قميصاً قمصكه الله فتكون سنة، كلما كره قومٌ خليفتهم أو إمامهم قتلوه»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٨٩-٩٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٥)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (١/ ٤٧٣)، بإسناده صحيح.

ولذلك رأى عثمان ﷺ أن الخير في الصبر والثبات، وأن يبيع نفسه بصلاح دينه، فجاد بنفسه لله. ولذلك لما حُصِرَ، قال الصحابةُ: «يا أمير المؤمنين ألا تُقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً وإني صابرٌ نفسي عليه»[١].
والنبي ﷺ قال لعثمان ﷺ: «يا عثمان! عسى الله أن يقمصك قميصاً من بعدي، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه» يقول له ذلك ثلاث[٢].

عباد الله! وفي الحديث دلالةٌ واضحة على أن هؤلاء الخوارج لم يكونوا طلاب عدلٍ وحقٍّ؛ وإنما هم قومٌ مردوا على النفاق، يستترون تحت شعار الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يُعرف في عصرٍ من عصور الإسلام جماعة، أو طائفة أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من المنافقين.

عباد الله! واستمر الحصار الظالم من البغاة الظلمة، ومنعوا عنه الماء، ومنعوه من أن يصلي في المسجد النبوي، وأشرف عثمان ﷺ على الذين حصروه، فقال لهم: ولم تقتلونني؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفرٌ بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٦)، و«مسند الإمام أحمد» (٦/ ٥١)، و«مسند أبي يعلى» (٨/ ٢٣٤)، و«فضائل الصحابة لابن حنبل» (١/ ١٩١)، بإسناده صحيح.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٤٦)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٦)، و«موارد الظمآن» (ص٥٣٩)، والترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢)، و«مسند الإمام أحمد» (٦/ ٧٥)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي وابن ماجه وهو أيضاً في «المشكاة» (٦٠٦٨)، و«الظلال» (١١٧٢).

نفسٍ»، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا أحببتُ أن لي بديني بدلاً منذُ هداني الله، ولا قتلت نفساً، فبم تقتلونني؟[1].

عباد الله! وطالما كان عثمان ﷺ يطل على المحاصرين؛ يخاطبهم ويذكرهم بمواقفه مع رسول الله ﷺ؛ لعلهم يلينون، لكنهم لم يفعلوا.

عن أبي عبد الرحمن السُلمي قال: لما حُصِرَ عثمان وأُحيط بداره؛ أشرف على الناس فقال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ حين انتفضَ بنا حِراءُ قال: «اثبت حِراء! فما عليك إلا نبيٌّ، أو صديقٌ أو شهيدٌ»؟! قالوا: اللهم نعم. قال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في غزوة العسرة: «من ينفق نفقة متقبلةً ؟» والناس يومئذ معسرون مجهودون، فجهزّتُ ثلث ذلك الجيش من مالي؟!

فقالوا: اللهم! نعم. ثم قال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن رُومة لم يكن يُشربُ منها إلا بثمنٍ، فابتعتها بمالي، فجعلتها للغنيِّ والفقير وابن السبيل؟! قالوا: اللهم! نعم[1].

عباد الله! وقُبيل مقتله رأى عثمان ﷺ في المنام اقتراب أجله، فاستسلم لأمر الله.

روى الحاكم بإسنادٍ صحيح إلى ابن عمر ﷺ أن عثمان أصبح يُحدث الناس قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام فقال: «يا عثمان أفطر عندنا» فأصبح ﷺ صائماً، وقتل من يومه[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الحاكم في المستدرك» (٣/ ١١٠)، و«مجمع الزوائد (٧/ ٢٣٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٨١)، و«طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٢٩٩)، و«فضائل الصحابة » لابن حنبل (١/ ٤٧٢) بإسناده حسن.

عباد الله! ويتسور الخوارجُ عليه داره، وتتوزع سيوفهم دماءه الطاهرة، وهو يقرأ كتاب الله، فكانت أول قطرةٍ قطرتْ من دمه على هذه الآية ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. فما مات منهم رجلٌ سويا[1]. والله ما اشترك أحد في قتل عثمان إلا دمره الله؛ فإن الله عز وجل لم يهمل الظالمين، بل أذلهم، وأخزاهم، وانتقم منهم، فلم ينج منهم أحد. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

وبعد أن قتلوه قتلهم الله تبين للناس مقصدهم. «نادى بعضُهم على بعضٍ بعد قتل عثمان بالسطو على بيت المال، فسمعهم خزنة البيت فقالوا: يا قوم! النجا! النجا! فإن هؤلاء القوم لم يَصْدُقُوا فيما قالوا؛ -من أنّ قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما ادعوا أنهم قاموا لأجله- وكذبوا، إنما قصدهم الدنيا[2].

فهذا رجل يطوف حول الكعبة بعد مقتل عثمان من هؤلاء البغاة فيقول: اللهم اغفر لي، ولا أظن أنك تغفر لي، فقال له رجل: ما هذا الدعاء يا عبد الله. فقال له: لقد نذرت إن قدرت على عثمان أن أَلْطُمَه بيدي، فلما قتل عثمان ودخل الناس يصلون عليه وهو على سريره، فالتمست خلوة فكشفت عن وجه عثمان

---

(١) «كتاب الزهد لابن أبي عاصم» (ص١٢٨)، و«التقييد» (ص٢٣٤)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (١/ ٤٧٢ - ٤٧٣) بإسناده صحيح.

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٩).

بعد موته ولطمته على وجهه فيبست يدي -أي: شلت-. فهذا رجل شل الله يده لأنه لطم عثمان بعد موته، فما ظنكم بمن سل سيفه وقتل عثمان.

قتلوه قتلهم الله. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

الخطبة الرابعة عشرة

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أولاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عباد الله! يقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[1].

وقال ابن مسعود أيضاً: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمدٍ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبِ محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتلون على دينه»[2].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٦٠)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٠٦).

(٢) «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٧)، و«مسند البزار» (٥/ ٢١٢)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٣٧٩)، الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٥٨)، وفي «الكبير» (٩/ ١١٢) والحديث إسناده حسن.

فأصحاب محمد ﷺ، هم أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ حبُهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الخليفة الرابع أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﷺ .. أتعرفونه؟ هو ابن عمِّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة ﷺ وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وهو أول من أسلم من الغلمان، ولقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وحديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﷺ

عباد الله! مِن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم أجمعين- هو عليٌّ بن أبي طالب ﷺ.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: «وأجمع الصحابة وأتباعُهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي-رضي الله عنهم أجمعين-»[(١)].

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وأفضل الصحابة بل أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام؛ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رضي الله عنهم أجمعين-»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق عامةُ أهل السنة من العلماء والعُبّادِ والأمراء والأجنادِ على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ»[(٣)].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ١٧).

(٢) «الباعث الحثيث» (ص١٨٣).

(٣) «الوصية الكبرى» (ص٣٣).

عباد الله! ولقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة التي دلت على فضل علي بن أبي طالبٍ ﷺ ومنها:

١- قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويُحبُّهُ الله ورسولُهُ. قال: فبات الناسُ يدوكون ليلتهم أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناسُ غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاهُ الراية.

فقال عليٌّ: يا رسول الله! أُقاتلهمُ حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «انفذ على رِسلكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله فِيه؛ فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»(١).

عباد الله! هذا الحديث تضمن منقبة ظاهرة لأمير المؤمنين عليٍّ ﷺ وهي قوله ﷺ: «يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه اللهُ ورسولُه».

٢- خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: -أي: عليٌّ ﷺ- أتُخلِّفُني في الصبيان والنساء؟ قال ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلةِ هارون من موسى؛ إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٨)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (٢٤٠٤).

عباد الله! وهذا الحديث فيه فضيلة عظمى لعلي رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؛ إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي، حيث بَيَّنَ عليه الصلاة والسلام منزلة عليٍّ منه، ومكانته العظيمة عنده عليه الصلاة والسلام.

عباد الله! وهذا الحديث مما تعلقت به بعض فرق الضلال في أن الخلافة كانت حقاً لعليٍّ رضي الله عنه وأنه ﷺ وصى له بها، والحديث لا حجة فيه بل فيه إثبات فضيلة لعليٍّ. وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعليٍّ حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وموسى استخلف هارون حين ذهب لميقات ربه للمناجاة.

٣- وجاء رسول الله ﷺ إلى بيت فاطمة فلم يجدْ علياً في البيت فقال: «أين ابنُ عمك؟». قالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني فخرج فلم يقل عندي.

فقال رسول الله ﷺ لإنسانٍ: «انظرْ أينَ هو؟». فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقدٌ. فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجعٌ وقد سقط رداؤه عن شقه وأصابه ترابٌ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا ترابٍ، قم أبا ترابٍ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٠)، ومسلم (٢٤٠٩).

عباد الله! في هذا الحديث منقبة ظاهرةٌ لأمير المؤمنين علـيٍّ ﷺ، وبيـان علـو منزلته عند النبي ﷺ؛ وذلك أنـه عليـه الـصلاة والـسلام مـشى إلى عـليٍّ ﷺ، ودخل المسجد، ومسح التراب عن ظهره، واسترضاه تلطفاً به؛ لأنـه كـان وقـع بينه وبين فاطمة شيءٌ فخرج إلى المسجد واضطجع فيـه، وكنّـاه النبـيُّ ﷺ بـأبي ترابٍ، وكانت هذه التسمية أحب شيء إليه ﷺ.

٤- ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ جعلَ محبتـه مـن علامـة الإيـمان، وجعـل بغضه من علامة النفاق. قال عليٌّ ﷺ: «والذي فلق الحبة وبرأ النَّسمة إنه لعهـد النبيِّ الأميِّ ﷺ إليّ: «أن لا يُحبُني إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضني إلا منافقٌ»[(١)].

عباد الله! ففي هذا الحديث منقبة ظاهرةٌ لعـليٍّ ﷺ وهـذا جـارٍ في الـصحابة جميعاً، فمحبتهم دينٌ وإيمانٌ وإحـسان، وبغـضهم كفـرٌ ونفـاقٌ وطغيـان. وأمـا الحروب الواقعة بينهم، فإن وقع من بعضهم بغضٌ لبعضٍ، فذاك من غـير هـذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفـة، ولـذلك لم يحكـم بعـضهم عـلى بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكـام؛ للمـصيب أجران، وللمخطئ أجرٌ واحد[(٢)].

٥- ومن مناقبه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَـن سـبَّ علياً فقـد سـبني»[(٣)]. وقال ﷺ: «مَن آذى علياً فقد آذاني»[(٤)]. وقام رجلٌ فقال: يـا رسـول الله! ألم تَـرَ أنَّ

---

(١) رواه مسلم (٧٨).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٦٣).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٠)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٠)، و«مـسند الإمـام أحمـد» (٦/ ٣٢٣)، «فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٥٩٤) بإسناد صحيح.

(٤) «صحيح ابـن حبـان» (١٥/ ٣٦٥)، و«الحـاكم في المـستدرك» (٣/ ١٣١)، و«مـوارد الظمـآن» (ص٥٤٣)، و«مـسند الإمـام أحمـد» (٣/ ٤٨٣)، والحـديث صـححه الألبـاني في «السلـسلة الصحيحة» برقم (٢٢٩٥).

علياً صنع كذا وكذا؟! فأقبل إليه رسول الله - والغضب يُعرفُ في وجهه - فقال: «ما تريدون مِن عليٍّ (ثلاثاً)؟! إنَّ علياً مني، وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدي»(١).

وقال ﷺ: «مَن كنتُ وليهُ؛ فعليٌّ وليه»(٢). قال عليٌّ ﷺ أُنشدُ الله كلَّ امرئ سمعَ رسول الله ﷺ يقول يوم غدير (خُمٍّ) -هو موضع بين مكة والمدينة- لَّما قام! فقام أناسٌ فشهدوا أنهم سمعوه يقول: «ألستم تعلمون أني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى يا رسول الله!، فقال ﷺ: «من كنتُ مولاه؛ فإنَّ هذا مولاه، اللهمّ والِ مَن والاهُ وعادِ مَن عاداهُ»(٣).

٦- ومن مناقبه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ بشره بالجنة ودعا له. قال رسول الله ﷺ: «النبيُّ في الجنة، وأبو بكرٍ في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة .. الحديث»(٤).

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٧٣)، والترمذي (٣٧١٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٧٣-٣٧٤)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ٤٣٧)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن الترمذي»، و«السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٤١)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٠٧)، و«مسند البزار» (٤/ ٤١)، و«مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٦٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٥٠)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٥٠).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٥/ ٣٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٢٦)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٠٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٧٢)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٧٥)، وفي «الكبير (٥/ ١٩٤)، و«مسند البزار» (٢/ ١٣٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ٢٨١)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٧٥٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيد»[1]. وقال عليٌّ ﷺ: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله! إنك تبعثُني إلى قوم هم أسنُّ مني لأقضِي بينهم. قال ﷺ: «اذهب فإن الله تعالى سيثبِّتُ لِسانك، ويهدي قلبك»[2].

٧- ومِن مناقبه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «أنت مني وأنا منك»[3].

عباد الله! والناسُ مع أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب ﷺ طرفان ووسط. طرفٌ أفرطوا في حبه وغلوا فيه، حتى أنهم رفعوه إلى منزلة الربوبية، فدعوه من دون الله وحلفوا به .. وهذا ضلال مبين. وطرفٌ آخر فرّطوا فيه، بل عادوهُ وكفّروه، وهذا أيضاً ضلال مبين. والوسط هم أهل السنة والجماعة فقد وضعوه في مكانه الذي وضعه الشرع فيه. فهو ابن عم رسول الله ﷺ، وهو أول من أسلم من الغلمان، وهو الخليفة الرابع للمسلمين بعد أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو الذي مات الرسول ﷺ وهو عنه راضٍ.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرط في حب أحدٍ منهم -وهذا ردٌّ على الطرف الأول-. ولا نتبرأ مِن أحد منهم

(١) رواه مسلم (٢٤١٧).

(٢) «سنن البيهقي» (١٠/ ٨٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ١١٧)، ومسند أبي يعلى (١/ ٢٥٢)، و«الطبقات الكبرى لابن سعد» (٢/ ٣٣٧)، «فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٧٠٢) بإسناد صحيح.

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٢).

-وهذا رد على الطرف الثاني- ونبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبتُ الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلاً له، وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعلي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون)[١].

عباد الله! وقد جاء الشرع يحذر من الغلو في محبة الصالحين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾.

والغلو: هو الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد. أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله، فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله، والخطاب -وإن كان لأهل الكتاب- فإنه عامٌ يتناول جميع الأمة؛ تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في عُزير، كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «لا تُطرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسوله»[٢].

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦١).

حذَّر النبي ﷺ من أن نرفعه من منزلة العبودية إلى منزلة الربوبية والألوهية؛ كما فعل النصارى في عيسى ابن مريم. فكل من دعا نبياً أو ولياً من دون الله فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى في شركهم، وضاهى اليهود في تفريطهم، فإن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، واليهود عادوه وسبُّوه وتنقصوه، فالنصارى أفرطوا واليهود فرَّطوا. قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾. ففي هذه الآية وأمثالها الردُّ على اليهود والنصارى.

وقال ﷺ: «إياكم والغلوَ؛ فإنما أَهْلَكَ من كان قبلكم الغلو»[1]. أما سمعتم من يقول من جهلة المسلمين: يا محمد أمطر علينا المطر! يا عليّ أنزل علينا الرحمة! فماذا تركوا لرب العالمين!

فإن الذي يُنزل المطر، والذي يرحم العباد هو الله تبارك وتعالى وحده.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٩/ ١٨٣)، و«موارد الظمآن» (ص٢٤٩)، و«البيهقي في السنن» (٥/ ١٢٧)، والنسائي في «المجتبى» (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن النسائي وابن ماجه» وهو أيضاً في «ظلال الجنة» برقم (٩٨)، وفي «الصحيحة» (١٢٨٣).



الخطبة الخامسة عشرة

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ثانياً: مواقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع .. مواقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حياة النبي ﷺ:

الموقف الأول: إسلامه رضي الله عنه:

عباد الله! كان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتربى في حجر رسول الله ﷺ، فلما بُعث رسول الله ﷺ دعا علياً إلى الإسلام؛ فأسلم فكان رضي الله عنه أول من أسلم من الغلمان، وأبو بكر أول من أسلم من الرجال .

عن زيد بن أرقم قال: «أول من أسلم مع رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب، قال: فذكرت ذلك للنخعي فأنكره، وقال: أول من أسلم أبو بكر مع رسول الله ﷺ»[(١)].

الموقف الثاني: عندما تُوفي والده أبو طالب على الشرك:

عباد الله! أبو طالب عم النبيِّ ﷺ، ووالدُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه. حرص النبيّ ﷺ أن يموت عمه على الإسلام، فقال له عند الموت: يا عم! قل: لا إله إلا

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٦٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ٣٧١)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٥٩٠) بإسناده صحيح.

الله، فقال له أبو جهل: أترغب عن ملة عبد المطلب، فمات أبو طالب على الشرك. يقول عليّ بن أبي طالب ﷺ قلتُ للنبيِّ ﷺ: إن عمك الشيخ الضال قد مات. فقال ﷺ: «اذهب فوار أباكَ، ثم لا تُحدِثنّ شيئاً حتى تأتيني» فذهبتُ فواريتُهُ، وجئتَهُ، فأمرني فاغتسلتُ، ودعا لي[1].

الموقف الثالث: عند هجرة النبيِّ ﷺ:

لما قررت قريش قتل رسول الله ﷺ أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة، ذهب رسول الله ﷺ إلى أبي بكر يخبره أن الله أذن له بالهجرة، فقام النبي مع أبو بكر بالإعداد الدقيق للهجرة المباركة، وأمر النبي ﷺ علياً أن ينام في فراشه تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار، ووقف شباب قريش أمام دار النبي ﷺ ليقتلوه.

وفي الصباح كانت المفاجأة أن خرج عليهم عليّ بن أبي طالب ﷺ، فجن جنونهم، وطارت عقولهم، وأخذوا يبحثون هنا وهناك عن رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق، حتى أنهم وصلوا إلى الغار الذي بداخله رسول الله ﷺ وأبو بكر، وحتى أن أبا بكر قال: يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له النبي ﷺ: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، وقال له: يا أبا بكر لا تحزن؛ إن الله معنا.

---

(١) رواه أبي داود (٣٢١٤)، والنسائي في «المجتبى» (٢٠٠٦)، و«مصنف عبدالرزاق» (٦/ ٣٩)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن أبي داود والنسائي».

الموقف الرابع: في غزوة بدرٍ الكبرى:

١ - في الطريق إلى بدر لم يكن معهم من الخيل إلا فرسان،

فرسٌ للمقداد بن الأسود، وفرسٌ للزبير بن العوام، وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، حتى رسول الله ﷺ كان له زميلان يعتقبان معه بعيراً.

يقول ابن مسعود ﷺ: كنا يوم بدرٍ كل ثلاثةٍ على بعير، وكان أبو لبابة، وعلي بن أبي طالب زميلي، رسول الله ﷺ، قال: وكانت عُقْبَةُ رسول الله ﷺ -أي: دوره ليمش- فقالا: نحن نمشي عنك يا رسول الله -ليظلَّ راكباً-. فقال ﷺ: «ما أنتما بأقوى -أي: على المشي- منّي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكُما»[1].

٢- في أرض المعركة:

التقى الجمعان جيش الكفر وجيش الإسلام.

يقول عليٌّ ﷺ: تقدم عُتبةُ بنُ ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة بنُ ربيعة، فنادى مَن يُبارز؟ فانتُدب له شباب من الأنصار فقال: مَنْ أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قُمْ يا حمزةُ، قم يا عليُّ، قم يا عبيدة بن الحارث». فقام حمزة إلى عتبة، وقمتُ إلى شيبة، وقام عبيدة إلى الوليد، فقتل حمزةُ عتبة، وقتلتُ

(١) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٦٨)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٥٨)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٤١١)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ٢٤٢)، والحديث: إسناده حسن.

شيبة، وأما الوليد وعبيدةُ فاختلفا ضربتين فأثخن كُلٌّ منهم صاحبه، ثم مِلنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة»[١].

عن قيس بن عباد قال: «سمعتُ أبا ذرٍ يُقسم قسماً؛ إن هـذه الآيـة ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدرٍ: حمزةُ وعليٌّ وعبيدةُ ابن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة». قال الحافظ ابنُ حجر في الفتح (٧/ ٢٩٨): (فيه فضيلة ظاهرةٌ لحمزة وعليٍّ وعبيدة بن الحارث ﷺ)[٢].

الموقف الخامس: في صلح الحديبية:

عن البراء ﷺ قال: لما اعتمر النبيُّ ﷺ في ذي القعدة فأبى أهلُ مكة أن يَـدَعُوهُ يدخلُ مكة، حتى قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيامٍ، فلمّا كتبـوا الكتـاب، كتبـوا: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسول الله. قالوا: لا نُقرُّ بهذا لو نعلم أنك رسـول الله ﷺ ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبدالله، فقال: «أنا رسول الله، وأنا محمـدُ بـن عبد الله» ثـم قـال لعـليٍّ: «امحُ رسـول الله» -أي: امـح هـذه الكلمـة المكتوبـة في الكتاب- قال عليٌّ: لا والله لا أمحُوكَ أبداً. فأخـذ رسـول الله ﷺ الكتـاب ولـيس يُحسِنُ يكتبَ، فكتب: «هذا ما قاضى محمد بنُ عبد الله: لا يدخل مكـة السلاح إلا

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢١٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ٢٧٦)، أبي داود (٢٦٦٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٥٦)، و«مسند البزار» (٢/ ٢٩٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) وراه البخاري (٣٧٥١)، ومسلم (٣٠٣٣).

السيف في القِرابِ، وأن لا يخرج مِن أهلها بأحدٍ إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها»، فلمَّا دخلها ومضى الأجلُ، أَتَوْا علياً فقالوا: قُل لِصاحِبكَ اخرج عنا؛ فقد مضى الأَجَلُ، فخرج النبي ﷺ..» الحديث[1].

وللنسائي من طريق علقمة بن قيس عن عليٍّ ﷺ قال: «كنتُ كاتبَ النبيِّ ﷺ يوم الحديبية، فكتبتُ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو علمنا أنه رسول الله ما قاتلناهُ، امحها. فقلتُ: هو واللهِ رسولُ الله ﷺ وإن رَغِمَ أنفك، لا والله لا أمحوها»[2].

الموقف السادس: في غزوة خيبر:

عباد الله! قال رسولُ الله ﷺ يوم خيبر: «لأُعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ». قال: فبات الناسُ يدوكون ليلتهم؛ أيهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناسُ غدوا على رسول الله ﷺ؛ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال ﷺ: «أين عليُّ بنُ أبي طالبٍ ؟». فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الراية.

فقال عليٌّ: يا رسول الله! أُقاتِلُهم حتى يكونوا مِثلنا؟ فقال: «انفُذ على رِسلِك حتى تنزل بساحتهم -أي: يحذره من غدر وخيانة اليهود- ثم ادعهم إلى

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٦٣٠).

الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من أن يكون لك حُمُر النعم»[1].

عباد الله! وخرج عليُّ بنُ أبي طالبٍ إلى حصون خيبر ليفتحها، فلما وصل إلى أول حصن؛ خرج إليه مرحبُ وهو مَلِك اليهود والذي يُعدُ فيهم بالألف، وأخذ يَخطِرُ بسيفه -أي يرفعه مرة ويضعه أخرى- ويقول:

قد علمتْ خيبرُ أني مرحبُ

شاكي السلاح -أي تام السلاح- بطلٌ مجرَّب -أي مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان- إذا الحروبُ أقبلت تلهَّبُ

فخرج له عليُّ بن أبي طالب فقال: -وهذا هو الشاهد-

أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرة -وحيدرةُ اسمٌ للأسد- كليث غابات كريه المنظرة، أوفيهمُ بالصاع كيلَ السندرة -أي: اقتل الأعداءَ قتلاً واسعاً ذريعاً-

قال: فضرب عليٌّ رأس مرحبٍ فقتله. ثم كان الفتحُ على يديه، فدب الرعب في قلوب اليهود[2].

الموقف السابع: في فتح مكة:

عباد الله! لما عزمَ رسول الله ﷺ على غزو قريشٍ ودخولِ مكة وتجهز لذلك، وأمر أصحابه فتجهزوا، بادر حاطبُ بن أبي بلتعة رضي الله عنه بالكتابة إلى قريش

(١) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٨٠٧).

يخبرهم ببعض خبر رسول الله ﷺ، إلا أنَّ الوحيَ من السماء كان إلى رسول الله ﷺ أسبق من الكتاب إلى قريش، فبعث رسول الله ﷺ من أصحابه من أتاهُ بهذا الكتاب الذي بُعث إلى قريش.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى عليٍّ بن أبي طالب ﷺ وهو يخبرنا الخبر لأنه هو الذي قام بهذه المهمة الصعبة مع بعض الصحابة.

يقول عليٌّ ﷺ بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال ﷺ: «انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» -مكان بين مكة والمدينة وهو من المدينة أقرب- فإن بها ظعينة معها كتابٌ من حاطب فأتوني به. قال عليٌّ: فانطلقنا تتعادى بنا خيلُنا حتى أتينا روضة خاخٍ، فإذا نحن بالظعينة؛ فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي مِن كتابٍ. فقلنا: لتُخرجنَّ الكتاب أو لنُلقينَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى نفرٍ من قريش يخبرهم فيه ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا حاطب»؟

فقال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ! ما فعلتُه كفراً بعد الإسلام ولا ردَّةً عن الدين بعد إذ هداني الله إليه، ولكني كنتُ امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وما من أحدٍ من أصحابك إلا له أهلٌ من قريش يحمون ماله وأهله، فأردتُ إن فاتني ذلك من النسب؛ أن أتخذ بهذا الكتاب عندهم يداً يحمون بها أهلي ومالي، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدقكم» فقال عمرُ ﷺ: يا رسول

الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «يا عمر أوليس قد شهد بدراً؟ وما يدريك لعلَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»(١).

الموقف الثامن: في غزوة تبوك:

عباد الله! في يوم الخميس من شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة خرج رسول الله ﷺ من المدينة قاصداً غزو الروم، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة رضي الله عنه، وخلف علياً رضي الله عنه على أهله فناله المنافقون بألسنتهم، قالوا: ما خلَّفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فسمعها عليٌّ فأخذ سلاحه وانطلق يعدو خلف رسول الله ﷺ حتى أتاهُ. فقال: يا رسول الله! قال المنافقون: إنك خلَّفتني استثقالاً لي، وتخففاً مني، فقال ﷺ: «كذبوا كذبوا، ارجع فَاخْلُفْني في أهلي وأهلِكَ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي»(٢).

وفي رواية البخاري: قال يا رسول الله! تخلفني في الصبيان والنساء، فقال له: يا عليّ! أما ترى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؛ إلا أنه لا نبيّ بعدي.

اللهم رد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٥)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) تقدم تخريجه.

الخطبة السادسة عشرة

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ثالثاً: فتنة الخوارج ومقتل عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحابُ محمد ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدة أهل السنة والجماعة: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرطُ في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونبغض مَن يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبتُ الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون)[1].

عباد الله! حديثنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- سيكون عن فتنة الخوارج، ومقتل أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

عباد الله! وكلامنا في هذا الموضوع سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: موقف المؤمن مِن الفتن عامة، ومما وقع بين الصحابة خاصةً.

العنصر الثاني: الخوارج والشبهات التي تعلقوا بها، والردُّ عليها.

العنصر الثالث: قتلوه قتلهم الله.

العنصر الأول: موقف المؤمن مِن الفتن عامة ومما وقع بين الصحابة خاصةً:

عباد الله! أخبر النبيُّ ﷺ عن فتن ستقع بعده، كقطع الليل المظلم، تموج بالناس موج البحر، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا، يمر الرجل على قبر الرجل يتمنى أن يكون مكانه.

قال ﷺ: «تكونُ بين يدي الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوامٌ دينهم بعرض من الدنيا»[1].

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٥)، والترمذي (٢١٩٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٤٨)، و«السنن الواردة في الفتن» (١/ ٢٥٨)، والحديث قال عنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي»: حسن صحيح، وأيضاً في «السلسلة الصحيحة» (٧٥٨، ٨١٠).

«أنـــا النبــــي لا كــــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب»

ثم استنصر الله عز وجل، فقال: «اللهم أنزل نصرك» ثم نظر إلى الجيش وقد التحم بعضُه ببعض، فقال: «الآن حَمِيَ الوطيس»، ثم قبض قبضةً من تراب الأرض ورمى بها القوم، وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله فيهم إنساناً إلا ودخل عينيه من هذا التراب، قال العباس بن عبد المطلب: فوالله ما هو إلا أن رماهم حتى رأيتُ حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً[1].

عباد الله! أما موقفه قبل إسلامه فيظهر جلياً في بيعة العقبة: روى ابن إسحاق وعنه أحمد وغيره من حديث كعب بن مالك في قصة العقبة الثانية قال: «..فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسللُ تسلّلَ القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعبِ عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب؛ أمُّ عمارة إحدى نساءِ بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة، وهي أمُّ منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومهِ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيهِ ويتوثق له، فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج -قال: وكانت العربُ يُسمُّون هذا الحيّ من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسَهَا-: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناهُ من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه

(١) هذا السياق مجموع من عِدة روايات رواها البخاري (٤٣٣٧/ ٥٣ و ٥٤/ ٨).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده ليأتينَّ على الناس زمانٌ، لا يدري القاتل في أي شيءٍ قَتَلَ، ولا يدري المقتول في أي شيء قُتِلَ»[١].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبر، فيتمرَّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين، إلا البلاء»[٢]. أي من شدة البلاء والفتن.

عباد الله! يُبينُ لنا رسول الله ﷺ ما يجب على المسلم إذا نزلت الفتن، وماجت بالناس موج البحر. المطلوب من المؤمن إذا نزلت الفتن أن لا يكون رأساً فيها، وأن لا يشارك فيها بسلاح أو بلسان أو بيد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، مَنْ تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعُذْ به»[٣].

قال الحافظ ابن حجر: «ففي الحديث تحذيرٌ من الفتنةِ والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها»[٤].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّها ستكونُ فتنٌ، ألا ثمَّ تكونُ فتنةٌ القاعدُ فيها خيْر من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ مَنَ الساعي إليها، ألا فإذا

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠٨).

(٢) رواه مسلم (١٥٧).

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ١٣).

نزلت أو وقعت، فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومن كانت له غنمٌ فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه».

فقال رجلٌ: يا رسول الله! أرأيت من لم يكنْ له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ، قال ﷺ: «يعمدُ إلى سيفهِ فيدُقُه على حدِّه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء»(١). وقال ﷺ في الفتنة: «كَسِّروا فيها قِسِيَّكُم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابْن آدم»(٢) -أي هابيل- المقتول. فالواجب على المسلم أن يعتزل الفتن، وأن لا يشارك فيها، وأن لا يكون رأساً فيها.

عباد الله! وأما ما يجبُّ على المسلم اتجاه ما وقع بين الصحابة -رضي الله عنهم: فعليه أن يمسك لسانه، لأن الصحابة ﷺ في ذلك بين مجتهدٍ مصيب فله أجران، ومجتهد مخطئ فله أجرٌ واحد، ونقولُ ﷺ جميعاً. فإن ذكر أمام المسلم عليّ فليقل ﷺ وإذا ذكر له أبو بكر فليقل ﷺ وإذا ذكر معاوية فليقل ﷺ جميعاً. ولما سُئل عليٌّ ﷺ عن قتلى يوم صفين قال: قتلانا وقتلاهم في الجنة(٣).

وقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: إني لأرجو أن أكون وطلحة والزبير من الذين قال الله -عز وجل- فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٧).

(٢) رواه أبوداود (٤٢٥٦)، والحديث قال عنه الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه أبوعثمان الخراساني في كتاب «السنن» (١/ ٣٩٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٥٢).

(٤) «الطبقات الكبرى» (٣/ ١١٣)، و«البيهقي في الاعتقاد» (ص١٩٥).

عباد الله! فالواجب على المسلم أن يسلكُ في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام ﷺ مسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم ﷺ، ولا يخوضُ فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، ومن أقوال أهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة من الحروب.

١- سُئل عمر بن عبدالعزيز عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: (تلك دماءٌ طهَّر الله يدي منها، أفلا أُطهر منها لساني، مثل أصحاب رسول الله ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها)[1].

٢- وقيل للإمام أحمد: ما تقولُ فيما كان بين عليٍّ ومعاوية ﷺ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[2].

٣- وسأل رجلٌ الإمام أحمد بن حنبل عما جرى بين عليٍّ ومعاوية ﷺ فقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[3] [البقرة:١٣٤].

٤- وقال الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عند قوله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»: واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة ﷺ

---

(١) «مناقب الشافعي» للرازي (ص١٣٦)، و«الإنصاف» للباقلاني (ص٦٩)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٥/ ٣٩٤).

(٢) «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي (ص١٦٤).

(٣) «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي (ص ١٢٦).

ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسانُ الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون؛ لم يقصدوا معصية، ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريقٌ أنه المحقُّ ومخالفه باغٍ، توجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً، وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذبٌ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[٢].

٦-وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- حاكياً للإجماع على وجوب المنع من الطعن على واحدٍ من الصحابة بسبب ما حصل بينهم، ولو عُرف المحِقَ منهم حيث قال: «واتفق أهل السنة على وجوب منعِ الطعن على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عُرِف المحقُّ منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين»[٣].

---

(١) «شرح النووي» (١٨/ ١١).

(٢) «العقيدة الواسطية مع شرح لمحمد خليل هراس» (ص١٧٣).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤).

عباد الله! فالواجب على المسلم نحو ما وقع بين الصحابة أن يسلك سبيل أهل السنة والجماعة الذي بينه الله في كتابه. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ -أي: من بعد الصحابة رضي الله عنهم- ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر:١٠].

عباد الله! وقد جاءت الأدلةُ تحرم سب الصحابة ﷺ منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ووجه دلالة الآية على تحريم سبهم؛ أن الله تعالى رضي عنهم مطلقاً .. والرضى من الله صفةٌ قديمةٌ فلا يرضى إلا عن عبدٍ علم أنه يوافيه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨].

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة ﷺ لأنهم في صدارة المؤمنين، فإنهم المواجهون بالخطاب، فمن سبهم أو كفّرهم فقد توعده الله بالعذاب المهين.

وقد دلت السنة النبوية المطهرة على تحريم سبِّ الصحابة، أو التعرض لهم بما فيه نقصٌ.

١ - قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[١]. وقال ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي..»[٢].

٢ - وقال ﷺ: «مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٣]. فأبشروا يا من تسبون أصحاب رسول الله ﷺ بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم القيامة.

٣- وقال ﷺ: «لعن الله مَن سبَّ أصحابي»[٤].

٤ - وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٥].

٥ - وقال ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٥٤١).

(٣) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ١٤٢)، و«السنة للخلال» (٣/ ٥١٥)، و«السنة لابن أبي عاصم» (٢/ ٤٨٣)، والحديث صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٠).

(٤) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١)، و«المعجم الأوسط للطبراني» (٥/ ٩٤)، وفي «الكبير» (١٢/ ٤٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ١٣٣)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١١١).

(٥) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٦) «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٩٦)، و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٢٦)، و«التمهيد لابن عبد البر» (٦/ ٦٨)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٥)، وفي «الصحيحة» (٣٤).

عباد الله! فهذه أدلة تبين أن سبّ الصحابة من أكبر الكبائر وأفجر الفجور، وأن من ابتلي بذلك فهو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

العنصر الثاني: الخوارج والشبهات التي تعلقوا بها، والردُّ عليها:

عباد الله! الخوارج فرقةٌ ضالةٌ أخبرنا عنها رسول الله ﷺ وحذرنا منها ووصفهم لنا:

١-يقولُ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، وهو يقسم قسمة، إذ أتاه ذو الخويصرة -وهو رجل من بني تميم- فقال يا رسول الله! اعدل، فقال ﷺ: «ويلك، ومَنْ يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمرُ: يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه. فقال ﷺ: «دعه فإن له أصحاباً يحقرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ..» الحديث[1].

وقال ﷺ: «يخرجُ في هذه الأمة -ولم يقل منها- قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم -أو حناجرهم-، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

عباد الله! فهذه أدلةٌ فيها ذمٌ واضحٌ لفرقة الخوارج، وقد وصفهم ﷺ بأنهم طائفةٌ مارقةٌ، وأنهم يتشددون في الدين في غير موضع التشديد، وأنهم يبالغون في الصلاة وقراءة القرآن لكنهم لا يقومون بحقوق الإسلام، وهم يقاتلون أهل الحق، وأهل الحق يقاتلونهم.

عباد الله! ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها رسول الله ﷺ؛ أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقولٍ رديئةٍ وضعيفةٍ، وأنهم عندما يقرءون القرآن يظنون -لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم- أنه لهم، وهو عليهم.

يقول عليٌّ رضي الله عنه سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سيخرجُ قومٌ في آخر الزمان؛ أحداثُ الأسنان -في الفتح لابن حجر (صغار السن شباب)- سفهاء الأحلام - أي ضعفاء العقول- يقولون مِنْ خير قول البرية -أي: من القرآن وكان أولُ كلمةٍ خرجوا بها قولهم لا حكم إلا لله، وانتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محملها- ، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1].

عباد الله! ومن صفات الخوارج الذميمة أن رسول الله ﷺ أخبر أنهم من شر الخلق والخليقة.

قال ﷺ: «إنّ ناساً من أمتي سيماهم التحليق يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شرُ الخلق والخليقة»[2].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٧).

عباد الله! ومن صفات الخوارج القبيحة، التي كانت ذماً وعاراً مشيناً للخوارج، أن الرسول ﷺ حرص على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل، إبادة عادٍ وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجرٌ عند الله تعالى يوم القيامة.

قال ﷺ: «إن مِن ضئضيء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ»[1].

قال ﷺ: «يأتي في آخر الزمان قومٌ حدثاءُ الأسنان، سفهاءُ الأحلام، يقولون من خير قول أهل البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»[2].

عباد الله! ووصفهم النبي ﷺ بأنهم كلاب النار؛ قال ﷺ: «الخوارج كلاب النار»[3].

عباد الله! بعد قضية التحكيم التي كانت بين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، تعلق الخوارج ببعض الشبهات الباطلة، فذهب إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وردّها عليهم فرجع من رجع منهم وبقي من بقي منهم في ضلالة.

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٦)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (١٠٦٦).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ١٦٣)، (٣/ ٦٦٠)، والترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٣)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي وابن ماجه وفي المشكاة (٣٥٥٤).

عباد الله! تعالوا إلى ابن عباس ﵄ يخبرنا الخبر.

يقول ابن عباس ﵄: لما خرجت الحرورية -وهم الخوارج- اعتزلوا في دارهم وكانوا ستة آلافٍ. فقلت لعليٍّ ﵁: يا أمير المؤمنين أبردْ بالظهر لَعلي آتي هؤلاء القوم فأُكلمُهم، قال: إني أخافُ عليك، قلتُ: كلا.

قال: فقمتُ وخرجتُ ودخلتُ عليهم في نصف النهار، وهم قائلون فسلمتُ عليهم، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباسٍ فما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكم مِن عند أصحاب رسول الله ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلمُ بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأبلغكم ما يقولون وتخبروني بما تقولون.

قلت: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه؟

قالوا: ثلاث. قلتُ: وما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهنَّ فإنه حكَّمَ الرجال في أمر الله، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، ما شأن الرجال والحكم؟ فقلتُ هذه واحدةٌ.

قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسبِ ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً سلبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم، قلتُ: هذه اثنان فما الثالثة؟

قالوا: إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلتُ: هل عندكم شيءٌ غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلتُ: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ ما يردُّ قولكم أترضون؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولكم حكَّم الرجالَ في أمرِ الله، فأنا أقرأُ عليكم في كتاب الله؛ أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، فأنشدتكم بالله تعالى أحكمُ الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل، أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولم يُصير ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ فأنشدتكم بالله، حُكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأةٍ؟ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبُون أمكم عائشة، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكُم؟! فإن قلتم إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم، ولئن قلتم ليست بأمنا؛ فقد كفرتم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾. فأنتم تدُورون بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج.

قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم محى اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبيَّ ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليٍّ ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله ﷺ.

فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك فاكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: امح يا علي رسول الله، اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا عليّ واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله ﷺ خيرٌ من عليٍّ، وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة.

خرجت من هذا؟ قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم -أي: على عليّ بن أبي طالب- فقُتِلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار[1].

العنصر الثالث: قتلوه قتلهم الله:

عباد الله! ومن الملاحظ أن التحكيم كان سبباً مباشراً في الخلاف بين عليٍّ ﷺ والخوارج، وقد انتهى أمرهم إلى أن قاتلهم فهزمهم في موقعة النَّهروان، وهزمهم هزيمة نكراء، فبيتوا أن يقتلوه، فما أمكنهم إلا أن اغتالوه، فاستشهد ﷺ في

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤)، والنسائي في «الخصائص» (حديث ١٨٥)،وفي «الكبرى» (٥/ ١٦٥-١٦٦)، وقال صاحب كتاب «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»: إسناده حسن.

صلاة الفجر من يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان، حين طعنه -أشقى الآخرين- عبد الرحمن بن مُلجم الخارجي، وكلف الخوارج مَنْ يقتلُ معاوية وعمرو بن العاص فأخطأهما[1].

---

(١) «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٣٥).



الخطبة السابعة عشرة

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

رابعاً: مواعظ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه

عباد الله! قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وقال ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي ..» الحديث[1]. وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1].

وقال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدة أهل السنة والجماعة: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحدٍ منهم ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم

(١) تقدم تخريجه.

دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب ﷺ، ثم لعثمان ﷺ، ثم لعليٍّ بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون)[(١)].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع: مواعظ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ.

عباد الله! حبُّ الدنيا ونسيان الآخرة سببٌ لكل شر؛ ولذلك كان أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يحذِّر الناسَ في مواعظه من حب الدنيا، والركون إليها، ومن نسيان الآخرة.

أولاً: مواعظه ﷺ في التحذير من فتنة الدنيا:

قيل لعليٍّ ﷺ: صف لنا الدنيا؟ قال: ما أصفُ مِن دارٍ أولها عناءٌ، وآخِرُها فناءٌ. حلالُها حسابٌ، وحرامها عقابٌ. مَن استغنى بها فُتن، ومن افتقر فيها حزن[(٢)].

وسئل ﷺ عن الدنيا فقال: أطيلُ أم أقصر؟ فقيل: أقصر، فقال: حلالُها حساب، وحرامها عذاب، فدعوا الحلال لطول الحساب، ودعوا الحرام لطول العذاب[(٣)].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

(٢) «العقد الفريد» (٣/ ١٣٠).

(٣) «كنز العمال» رقم (٨٥٦٦).

وصدق والله! فقد قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنة، فكان عامة مَنْ دخلها المساكين» -أي: الفقراء- «وأصحاب الجدِّ» أي: الحظ والغنى -«محبوسون»- أي: للحساب «غير أن أصحاب النار قدْ أُمِرَ بهم إلى النار»[1].

وقال ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عامٍ».[2] وذلك لأن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن أربع: منها: «وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه»[3].

وقال عليٌّ ﷺ: (الدنيا جيفةٌ، من أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب)[4]. وصدق ﷺ! فإن النبي ﷺ قال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً ومتعلماً»[5].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٥٣)، وابن ماجه (٤١٢٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٨٦)، والمعجم الأوسط للطبراني (٧/ ٣١٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٤٥١)، والحديث قال عنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وابن ماجه حديث: حسن صحيح.

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (١/ ١٤٥)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٢٥)، و«مسند البزار» (٧/ ٨٨)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٥/ ٧٤)، وفي «الكبير» (٢٠/ ٦٠)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٣٠٠)، وفي «الصحيحة» (٩٤٦).

(٤) «كنز العمال» رقم (٨٥٦٤).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٤/ ٢٣٦)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ١٠٧)، والحديث حسّنه الألباني كما في تعليقه على «سنن ابن ماجه» والترمذي وهو أيضاً في «المشكاة» (٥١٧٦)، و«الصحيحة» (٢٧٩٧).

ومرَّ رسول الله ﷺ بالسوق والناس كنفتيه -أي: جانبيه-، فمرَّ بجدي أسكَّ ميِّتٍ فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيكم يُحب أن يكون هذا له بدرهم»؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنعُ به؟ ثم قال: «أتحبون أنه لكم»؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً. إنّه أسكُ، فكيف وهو ميتٌ! فقال ﷺ: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[1].

عباد الله! وخطب أمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ فقال: ألا أيها الناسُ، إنما الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرُّ والفاجرُ، وإن الآخرة وعدٌ صادقٌ، يحكمُ فيها مَلِكٌ قادرٌ. ألا إن الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾.

أيها الناس! أحسنوا في أعماركم، تُحفظوا في أعقابكم، فإنَّ الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاهُ، إنها نارٌ لا يهدأ زفيرها، ولا يُفكُّ أسيرها، ولا يُجبرُ كسيرُها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخافُ عليكم إتباع الهوى وطول الأمل؛ فإن إتباع الهوى يصدُّ عن الحق؛ وإن طول الأمل يُنسي الآخرة[2].

وقال ﷺ: إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، ألا مَن اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٨).

رجع عن المحرمات، ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب[1].

ثانياً: مواعظه ﷺ في الموت وما بعد الموت:

عباد الله! ها هو أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ يُذكِّرُ الناسَ بالموت وما بعد الموت.

قال عليٌّ ﷺ: أيها اللاهي الغار بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسولُ ربك، لا يقرعُ لك باباً، ولا يهابُ لك حجاباً ولا يقبلُ منك بدلاً، ولا يأخذُ منك كفيلاً، ولا يرحم لك صغيراً، ولا يوقر لك كبيراً حتى يُؤْدِيكَ إلى قعر مظلمة، أرجاؤها موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية.

أين مَن سعى واجتهد، وجمع وعدَّد، وبنى وشيَّد، وزخرف ونجَّدْ، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتاً تحت الثرى أمواتاً، وأنتم لِكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون[2]. وصدق ﷺ فإن الله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، وجبريل عليه السلام يقول لمحمد ﷺ: «يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت»[3]، وكان عمر ﷺ يقول:

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٧).

(٢) «العقد الفريد» (٤/ ٦٤).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠)، والهيثمي في «الزوائد» (٢/ ٢٥٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠٦)، و«مسند الطيالسي» (ص٢٤٢).

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالك مورود بلا كذبٍ	لا بد من ورده يوماً كما وردوا

عباد الله! وقال عليٌّ ﷺ: اعلموا أنكم ميتون، ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها. فلا تغرنكم الحياة الدنيا، فإنها دارٌ بالبلاء محفوفةٌ، وبالفناء معروفةٌ، وبالغدر موصوفةٌ، وكلُّ ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دولٌ وسجالٌ، لا تدوم أهوالها، ولن يسلمَ مِن شرها نزّالُها، بينما أهلُها منها في رخاءٍ وسرور إذا هم منها في بلاءٍ وغرور.

ثم قال ﷺ: واعلموا -عباد الله- أنكم وما أنتم فيه مِن زهرة الدنيا على سبيل من قد مضى، ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشاً وأعمّر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أمواهم هامدةً من بعد نقلتهم، وأجسادهم باليةً، وديارهم خاليةً، وآثارهم عافيةً -أي: محت وزالت- فاستبدلوا بالقصور المشيدة، والنمارق الممهدة؛ الصخور والأحجار في القبور..

فُجِعَ بهم الأحبابُ، وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات! هيهات: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وكأن قدْ صرتم إلى ما صاروا إليه مِن البِلى، والوحدة في دار المثوى، وارتهنتم في ذلك

المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبعثرت القبور، وحُصِلَ ما في الصدور، وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملكِ الجليل، فطارت القلوب؛ لإشفاقها من سالف الذنوب، وهُتكت عنكم الحجب والأستار، وظهرت منكم العيوب والأسوار، هنالك ﴿تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾.

إن الله -عز وجل- يقول: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾. جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متبعين لأوليائه، حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله، إنه حميد مجيد[1].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا

والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبد على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ١٦٩-١٧٠).

عباد الله! وخطب عليٌّ ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الموت فقال: عباد الله! الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجا النجا، والوحا الوحا -أي: الإسراع والعجلة- إن وراءكم طالبٌ حثيثٌ: القبر، فاحذروا ضغطته، وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا وإن يتكلم كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة. ألا وإن وراء ذلك يومٌ يشيبُ فيه الصغير، ويُسكَرُ فيه الكبير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾، ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نارٌ حرُّها شديد، وقعرها بعيد، وحُليها ومقامعها من حديد، وماؤها صديد، وخازنها مالك، ليس لله فيه رحمة، ثم بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنةٌ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وأجارنا الله وإياكم من العذاب الأليم[1].

أما والله لو علم الأنامُ ... لما خلقوا لَما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات، ثم قبر، ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلّوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا أُمرنا أو نُهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٨).

عباد الله! ودخل عليٌّ ﷺ المقابر فقال:

يا أهل القبور، يا أهل البلى، يا أهل الوحشة! ما الخبر عندكم؟ فإن الخبر عندنا: أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسّمت، وأما الأزواج فقد نكحت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

ثم قال: والذي نفسي بيده! لو أُذِنَ لهم في الكلام لأَخبروا إنَّ خير الزاد التقوى[١].

عباد الله! خطب علي ﷺ بالكوفة فقال: أيها الناس، إن أخوف ما أخاف عليكم: طول الأمل وإتباع الهوى، فأما طول الأملِ فينسي الآخرة، وأما إتباعُ الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل[٢].

قال علي ﷺ: ليس الخير أن يكثر مالُك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملُك، وأن يعظم حلمُك، وأن تبادر في عبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٌ أذنب ذنباً، فهو يتدارك ذلك بالتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات[٣].

---

(١) «كنز العمال» (٣/ ٦٩٧).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٨٢)، و«الزهد الكبير» برقم (٤٦٣).

(٣) «الزهد الكبير» برقم (٧٠٨)، و«الحلية» (١/ ٧٥).

وقال عليٌّ رضي الله عنه من جمع ست خصالٍ، لم يدعْ للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً.

من عرف الله فأطاعهُ، وعرف الشيطان فعصاهُ، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها[1].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) «تنبيه الغافلين» (ص١٨٣).

الخطبة الثامنة عشرة

عبد الرحمن بن عوف ﷺ

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه.

قال ابن مسعود ﷺ: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم؛ وزراء نبيِّه يُقاتلون عن دينه)[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع رجل من هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه. مع الصحابي الجليل: **عبد الرحمن بن عوف ﷺ**.

وهو من كبار الصحابة ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو من الذين هاجروا الهجرتين. كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، أو عبد الكعبة؛ فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن.

---

(١) تقديم تخريجه.

عباد الله! وحديثنا عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: مناقبه ﷺ.

العنصر الثاني: مواقفه ﷺ في الإسلام.

العنصر الثالث: مواعِظهُ ﷺ.

العنصر الأول: مناقبهُ ﷺ:

أولاً: هو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة في الحديث الذي يرويه هو ﷺ.

يقول عبد الرحمن بن عوف ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١).

ثانياً: ومِنْ مناقبه ﷺ أن النبيَّ ﷺ دعا الله له أن يَسْقِيَهُ من سلسبيل الجنة. تقول أمُ سلمة ﷺ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: «إنَّ الذي يحنو عليكم بعدي هو الصادقُ البارُ، اللهم أسق عبد الرحمن بن عوف مِن سلسبيل الجنة»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ٥٦)، وفي «الكبير» (٢٣/ ٣٧٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٠٣)، و«مسند إسحاق بن راهويه» (٣/ ١٠١٢)، و«السنة لابن أبي عاصم» (٢/ ٦١٥)، والحاكم في «مستدركه على الصحيحين» (٣/ ٣٥١)، وقال: فقد صح الحديث عن عائشة وأم سلمة ووافقه الذهبي.

وتقول عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أمرَكُنَّ لَمِا يُهِمُّني بعدي، ولن يصبر عليكُنَّ إلا الصابرون». ثم قالت: ﵂ لأبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ﵄: فسقي الله إباك من سلسبيل الجنة، تُريد عبدالرحمن بن عوف، وقد كان وصل أزواج النبي ﷺ بمالٍ بيعت بأربعين ألفاً[1].

ثالثاً: ومن مناقبه ﵁ أنه أحدُ الستةِ أصحاب الشورى الذين أخبر عمرُ ﵁ أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ. قال الصحابة لعمر ﵁ وهو في فراش الموت: أوصِ يا أميرَ المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن[2].

رابعاً: ومن مناقبه ﵁ أنّ النبيَّ ﷺ دافع عنه بنفسه.

عن أبي سعيد ﵁ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ. فسبَّهُ خالدٌ، فلما بلغ ذلك إلى النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإنَّ أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفهُ»[3].

خامساً: ومن مناقبه ﵁ اخبارُ النبي ﷺ بأنه شهيد:

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٥٦)، والحاكم في «مستدركه» (٣/ ٣٥٢)، وموارد الظمآن (ص٥٤٧)، والترمذي (٣٧٤٩)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وهو أيضاً في «المشكاة» (٦١٢١، ٦١٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢٥٤١).

عن سعيد بن زيد ﷺ قال: أشهدُ على رسول الله ﷺ أني سمعتهُ يقول: «أثبت حِراء! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد» وعدَّهُم: رسول الله ﷺ، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وطلحة، والزبير، وسعدٌ، وابنُ عوفٍ، وسعيدُ بن زيد[1].

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أن النبيَّ ﷺ صلى خلفه ركعةً من صلاة الفجر في غزوة تبوك.

يقول المغيرةُ بنُ شعبة ﷺ: غزوت مع رسول الله ﷺ بتبوك. قال: فتبرَّز رسول الله ﷺ قبل الغائط، فحملتُ معه إداوةً قبل صلاة الفجر، فلما رجع رسول الله ﷺ إليَّ أخذتُ أُهريق على يده من الإداوة، وغسل يديه ثلاث مرات، ثم غسل وجهه، ثم ذهب يُخرجُ جبَّته عن ذراعيه فضاق كُمَّا جُبّتهِ، فأدخل يديه في الجُبَّة، حتى أخرج ذراعيه من أسفل الجبَّةِ، وغسل ذراعيه إلى المرفقين، ثم توضأ على خُفّيه، ثم أقبل.

قال المغيرةُ: فأقبلتُ معه حتى نجدُ الناس قد قدَّموا عبد الرحمن بن عوفٍ فصلَّى لهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الرَّكعتين، فصلى مع الناس الرَّكعةِ الآخرة، فلمَّا سلّمَ عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يُتمُّ صلاتَهُ، فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح، فلمَّا قضى النبيُّ ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم» أو قال: «أصبتُم» يُغبطُهم أن صلَّوا الصلاة لِوقتها»[2].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٥٨)، والترمذي (٣٧٥٧)، وأبي ذر (٤٦٤٨)، وابن ماجه (١٣٤)، والحديث صححه الألباني كما في تعليقه على «سنن ابن ماجه» وهو في «الصحيحة» (٨٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤).

العنصر الثاني: مواقفه ﷺ في الإسلام:

أولاً: موقفه ﷺ عندما قَدِمَ المدينة مهاجراً من مكة. يقول أنسٌ ﷺ: قدم علينا عبدُ الرحمن بن عوفٍ -أي المدينة- فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأنصاري -وكان كثير المال- فقال سعدٌ: قد علمت الأنصارُ أني مِن أكثرها مالاً، سأقسِمُ مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك؛ فأطلقُها حتى إذا حلَّتْ تزوجتها.

فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك اللهُ لك في أهلك ومالك، أين سُوقكُمْ؟ فدلوه على السوق، فلم يرجع يومئذ حتى أفضلَ شيئاً من سمنٍ وأقط، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وضرٌ من صُفرةٍ -أي: به أثرُ صفرةٍ- فقال له رسول الله ﷺ: «مهيم؟» -يعني ما هذا- فقال: تزوجت امرأة من الأنصار.

فقال: «ما سُقت فيها؟» قال: وزن نواةٍ من ذهب. فقال ﷺ: «أَوْلِمْ ولو بشاةٍ»[1]. ففي الحديث دليل على أن:

١- الزوج هو الذي يحدد المهر (كم سقت فيها).

٢- مشروعية الوليمة.

ثانياً: موقفه ﷺ في غزوة بدرٍ الكبرى، وقد كان في الصفوف الأولى في أرض المعركة:

---

(١) رواه البخاري (١٩٤٤).

يقول عبد الرحمن بن عوفٍ ﷺ: إني لواقفٌ يوم بدرٍ في الصف، نظرت عن يميني، وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثةٍ أسنانُهُما، تمنيتُ لو كنتُ بين أضلعَ منهما. فغمزني أحدُهما، فقال: يا عمِّ، هل تعرف أبا جهلٍ؟ قلتُ: نعم، وما حاجتُكَ يا ابن أخي؟ قال: بلغني أنه سَبَّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لو رأيتُهُ لم يفارق سوادي سوادَهُ حتى يموت الأعجلُ منّا. قال: فغمزني الآخر، فقال لي مثلها.

قال: فتعجبتُ لذلك، قال: فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ يزولُ في الناس، فقلتُ لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبُكُما الذي تسألان عنه، فابتدراهُ، فاستقبلهما، فضرباهُ حتى قتلاهُ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتلهُ؟» فقال كُلُّ واحد منهما: أنا قتلتهُ قال ﷺ: «هل مسحتما سيفيكما ؟» قالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ في السيفين فقال: «كِلاكما قتله»[1].

ثالثاً: موقفه ﷺ عندما خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشام:

عن عبد الله بن عباس؛ أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام. حتى إذا كان بِسَرْغٍ -هي قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز- لقيه أهل الأجناد -المراد بالأجناد هنا، مدن الشام الخمس- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه. فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين الأولين فدعوتُهُم، فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام. فاختلفوا.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٧٢)، ومسلم (١٧٥٢).

فقال بعضُهُم: قد خرجتَ لأمرٍ، ولا نرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ. ولا نرى أن تُقْدِمهم على هذا الوباء.

فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعُ لِي الأنصار فدعوتُهُم له، فاستشارهم. فسلكوا سبيل المهاجرين. واختلفوا كاختلافهم.

فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادعُ لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مُهاجرة الفتح، فدعوتُهم فلم يختلف عليه رجلان. فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تُقدِمهم على هذا الوباء. فنادى عمر في الناس: إني مُصبحٌ -أي: راجع- على ظهرٍ. فأصبحوا عليه.

فقال أبو عبيدة بنُ الجراحِ: أفراراً من قدرِ الله؟ فقال عمر: لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة (وكان عمر يكرهُ خلافهُ) نعم: نَفِرُّ مِن قدر الله إلى قدرِ الله ... قال فجاء عبد الرحمن بن عوفٍ، وكان متغيباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتُم به بأرضٍ، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بِها، فلا تخرجوا فِراراً منه قال: فحمد الله عمرُ ثم انصرف»[1].

رابعاً: موقفه ﷺ في الإنفاق في سبيل الله:

وعن أبي سلمة، أن عبد الرحمن بن عوفٍ أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألفٍ[2].

---

(١) رواه البخاري مختصراً (٥٣٩٨)، ومسلم (٢٢١٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٥٠)، وقال عنه الألباني: حديث حسن الإسناد صحيح بما قبله وهو في «المشكاة» (٦١٢١، ٦١٢٢).

وعن أم بكرٍ أنَّ عبد الرحمن بن عوفٍ باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينارٍ، فقسم في فقراء بني زُهرة، وفي ذي الحاجة من الناس، وفي أمهات المؤمنين[1].

العنصر الثالث: مواعظه رضي الله عنه:

محاسبته لنفسه رضي الله عنه دائماً.

عباد الله! كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مع كثرة ماله وإنفاقه في سبيل الله يحاسب نفسه دائماً. قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتُلينا بالسراء بعده فلم نصبر)[2].

عباد الله! الإنسان يُبتلى في هذه الدنيا بالسراء والضراء، ابتلى اللهُ سليمان عليه السلام بالسراء فشكر، فقال الله عنه: (نعم العبد). وابتلى أيوب بالضراء فصبر، فقال الله عنه: (نعم العبد) والرسول ﷺ يقول: «عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[3].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٦/ ١٠٣)، (٦/ ١٣٥)، و«مسند إسحاق بن راهوية» (٣/ ١٠١١)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ١٣٢)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٧٢٩) بإسناده صحيح.

(٢) «الأحاديث المختارة» (٣/ ١٢١)، والترمذي (٢٤٦٤)، و«مسند الشاشي» (١/ ٢٨٠)، و«الزهد لابن المبارك» (ص١٨٢) وقال عنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي»: حديث صحيح الإسناد.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

أُتي عبدُ الرحمن بن عوف ﷺ يوماً بطعامه -وكان صائماً-، فقال: قُتل مصعبُ بن عُمير -وكان خيراً مني-، فلم يُوجد له ما يُكفن فيه إلا بُردَةٌ. وقتل حمزة -وهو خير مني-، فلم يوجد له ما يكفَّنُ فيه إلا بُردَةٌ. لقد خشيت أن تكون قد عُجّلتْ لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي -حتى ترك الطعام-[1].

فيا أيها الغني الذي تتقلب في نعم الله! احذر أن تكون قد عُجّلت لك الطيبات في الدنيا فتحرم منها في جنات النعيم. واتق الله في مال الله، وانفق على الفقراء والمساكين، واعرف حق الله في هذا المال؛ لتكون كما كان الصحابة؛ المال في أيديهم وليس في قلوبهم، وكانوا يقولون به هكذا وهكذا في سبيل الله.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المحبين لصحابة رسول الله ﷺ، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم.

---

(١) رواه البخاري (١٢١٥).



الخطبة التاسعة عشرة

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحابُ محمدٍ ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان، من سلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ﷺ: «..وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنةُ، أولئك أصحاب محمدٍ ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه. فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (١).

---

(١) تقدم تخريجه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، مع صحابيٍّ من الصحب الكرام رضي الله عنهم..

أتدرون من هو يا عباد الله؟! .. إنه: **سعد بن أبي وقاصٍ. أبو إسحاق القرشي**، من كبار الصحابة، ومن السابقين الأولين للإسلام، أسلم وكان عمره سبع عشرة سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله.

عباد الله! وحديثنا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: مناقبه رضي الله عنه.

العنصر الثاني: مواقفه رضي الله عنه في الإسلام.

العنصر الثالث: مواعظه رضي الله عنه.

العنصر الأول: مناقبه رضي الله عنه:

أولاً: أنهُ أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة. قال ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة..» إلى أن قال ﷺ: «وسعدُ بن أبي وقاص في الجنة»[١].

(١) تقدم تخريجه.

ثانياً: ومن مناقبه ﭬ أنه أحدُ الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر ﭬ أن رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ.

قال الصحابة ﭬ لعمر بن الخطاب ﭬ وهو في فراش الموت: أَوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف. قال ﭬ ما أجدُ أحق بهذا الأمر مِن هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين تُوفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً وعثمان، والزبير وطلحة، وسعداً وعبد الرحمن[1].

ثالثاً: ومن مناقبه ﭬ إخبارُ النبيِّ ﷺ بأنه شهيد، عن سعيد بن زيد ﭬ قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «اثبتْ حراء! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد» وعدَّهم رسول الله ﷺ، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ وطلحةُ، والزبير وسعدٌ، وابن عوف، وسعيد بن زيد[2].

رابعاً: وِمن مناقبه ﭬ أنه أول من رمى بسهمه في سبيل الله؛ لمجاهدة أعداء الله وإعلاء كلمة الله.

يقول سعد بن أبي وقاصٍ ﭬ: «إني لأولُ العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبيِّ ﷺ وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع - أي: عند قضاء الحاجة- كما يضعُ البعير أو الشاة ما له خِلْطٌ -أي: لا يختلطُ بعضه ببعض لجفافه-..» الحديث[3].

---

(١) رواه البخاري (١٣٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٣٥٢٢).

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أنه من السابقين الأولين للإسلام.

يقول سعدُ بن أبي وقاص ﷺ: «لقد رأيتني وأنا ثُلثُ الإسلام» أي: هو الرجل الثالث في الإسلام بعد أبي بكر وخديجة ﷺ[١].

ويقول سعد بن أبي وقاص ﷺ: «ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيامٍ وإني لثلث الإسلام»[٢].

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أن الله تعالى أثنى عليه في كتابه، وأخبر أنه من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

يقولُ سعدُ بن أبي وقاص ﷺ: «كُنَّا مع النبيِّ ﷺ سِتةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرُدْ هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعودٍ، ورجل مِن هُذيل، وبلالٌ، ورجلان لستُ أسمِّيهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقعَ. فحدَّث نفسهُ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢][٣].

وقال سعدٌ ﷺ: فِيَّ نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:٥٢][٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢٠).

(٢) رواه البخاري (٣٥٢١).

(٣) رواه مسلم (٢٤١٣).

سابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان مُجاب الدعاء مشهوراً بذلك، وسبب ذلك أنَّ النبي ﷺ دعا الله له بأن يكون مجاب الدعوة، فقال ﷺ: «اللهمَّ! استجب له إذا دعاك» -يعني سعداً-[1]. وقال ﷺ: «اللهم! استجب لِسَعْدٍ إذا دعاك»[2].

عباد الله! ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: دعا سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه على رجلٍ ظلمه فاستجاب الله له.

«شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسنُ يُصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق! إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسنْ تُصلي. قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنتُ أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي العشاء فأركد في الأوليين -أي أُطيل- وأخفُّ في الأخريين.

قال عمر: ذاك الظنّ بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً -أو رجالاً- إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدعْ مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبسٍ، فقام رجلٌ منهم يُقال له أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة، فقال: أما إذ نشدتنا فإنَّ سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدلُ في القضية.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٤٥٠)، والحديث صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٨٥٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه على الصحيحين» (٣/ ٢٨)، والترمذي (٣٧٥١)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٣٥)، وفي «الكبير» (١/ ١٤٣)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٣)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي».

قال سعدٌ: أما والله لأدعونَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدُك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. وكان بعدُ إذا سُئِلَ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ؛ أصابتني دعوة سعدٍ.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيهِ من الكبر، وأنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهُنَّ[1].

فاستجاب الله لسعد.. كيف لا؟! والرسول ﷺ قال: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك» كيف لا؟! وهي دعوة مظلوم على ظالمه.

العنصر الثاني: مواقفه ﷺ في الإسلام:

أولاً: موقفه ﷺ في الولاء والبراء.

عباد الله! سعدُ بن أبي وقاص ﷺ كما قُلنا من السابقين الأولين للإسلام وكان باراً بأمه. قالت له أمه عندما أسلم: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشربُ حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموتَ؛ فتُعَيَّرُ بذلك أبد الدهر، يُقال: يا قاتل أمِّه. وقالت له أيضاً: أليس اللهُ يأمرك بصلة الرَّحم، وبرِّ الوالدين؟ واللهِ لا آكلُ طعاماً، ولا أشربُ شراباً، حتى تكفرُ بمحمد، وقالت له أيضاً: زَعَمْتَ أنَّ الله وصَّاك، بوالديك، وأنا أُمُك وأنا آمُرُك بهذا.

عباد الله! ومكثتْ أمُه على ذلك ثلاثاً حتى غُشيَ عليها مِنَ الجهد، فقام ابنٌ لها يُقَالُ له عُمارةُ، فسقاها، فجعلت تدعو على سعدٍ، وسعدٌ ﷺ ثابتٌ على دينه

---

(١) رواه البخاري (٧٢٢).

لا يستجيب لها، ولا يطيعُ لها. فأنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة يؤيد موقف سعد في عدم طاعته لأمه في الكفر بالله، ويأمر الله عز وجل الولد أن يصاحب والديه في الدنيا بالمعروف مع عدم الطاعة لهم في الكفر أو الشرك أو المعصية، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [لقمان:١٤-١٥][1].

ثانياً: موقفه ﷺ في الإنفاق في سبيل الله:

يقول سعد بن أبي وقاصٍ ﷺ: جاءني النبي ﷺ يعودُني عام حجّة الوداع من وجع اشتدَّ بي، فقلتُ: يا رسول الله! إني قدْ بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مالٍ ولا يرثُني إلا ابنةٌ لي، أفأتصدقُ بثلثيْ مالي؟

قال: «لا». قلتُ: فالشطرُ -أي: النصف- يا رسول الله؟ فقال: «لا». قلتُ: فالثلث يا رسول الله؟ قال: «الثلثُ والثلث كثيرٌ -أو كبيرٌ- إنك إن تذرَ ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً -أي: فقراء- يتكففون الناس، وإنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك»[2].

الشاهد موقفه وهو يريد أن يخرج ماله في سبيل الله.

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٤)، وانظر «تفسير البغوي»، و«أسباب النزول» للواقدي.

(٢) رواه البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).

ثالثاً: موقفه رضي الله عنه في حِراستِهِ للنبيِّ ﷺ، قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

تقول عائشة رضي الله عنها: سَهِرَ رسولُ الله ﷺ مقدمَهُ المدينة ليلةً -وكان ذلك بسبب التهديدات التي تصل إلى المسلمين من كفار مكة بعد الهجرة-، فقال ﷺ: «ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة». قالت: فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح -أي: صوت سلاح- فقال ﷺ: «مَن هذا؟». قال: سعدُ بن أبي وقاص. فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ؛ فجئت أحرسُهُ، فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام[1].

عباد الله! وهذا الحديث منقبةٌ عظيمة لسعد رضي الله عنه، وأنه من الصالحين. وأكرم بها مِن منقبةٍ؛ إذ الصالحون يتولاهم ربُّ العالمين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ولقد حظي رضي الله عنه بمفخرةٍ عظيمة وهي حراسته للنبي ﷺ ودعاؤه عليه الصلاة والسلام له.

رابعاً: موقفه رضي الله عنه في الدفاع عن رسول الله ﷺ في غزوة أُحُد:

عباد الله! في غزوة أُحُد حاول المشركون أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ، فقام الصحابة الكرام حول رسول الله ﷺ؛ يدافعون عنه بكل ما عندهم من قوةٍ، ومن هؤلاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٠٤).

عباد الله! قام سعدُ بن أبي وقاص بين يديَّ رسول الله ﷺ يردُ المشركين عنه، ونثل رسول ﷺ له كِنانتهُ، وجمع له أبويه ولم يجمعهما لغيره، وقال ﷺ: «ارم سعد فداك أبي وأمي»[١].

وقال سعدٌ ﷺ: (لقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أُحُد)[٢].

وكان رجلٌ من المشركين قد أحرق المسلمين -أي: أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار- فقال له -أي لسعد- النبي ﷺ: «ارم. فداك أبي وأمي». قال سعد: فنزعتُ له بسهم -أي: رميتُه بسهم- ليس فيه نصلٌ فأصبت جنبه فسقط، فانكشفت عورته. فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه[٣] -أي: ضحك رسول الله ﷺ لقتله عدوه، لا لانكشافه-..».

العنصر الثالث: مواعظه ﷺ:

عباد الله! من مواعظه لأولاده:

قال سعدٌ ﷺ لابنه: يا بني! إياك أن تلقى بعدي أحداً هو أنصح لك مني. إذا أردت أن تُصلي فأحسن الوضوء، وصلِّ صلاةً ترى أنك لا تُصلي بعدها أبداً. وإياك والطمع؛ فإنه حاضر الفقر، وعليك بالإياس -أي: مما في أيد الناس-؛ فإنه الغنى، وإياك وما يُعتذر منه من القول والعمل، وافعل ما بدا لك[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٤٩)، ومسلم (٢٤١١).

(٢) رواه البخاري (٣٥١٩)، ومسلم (٢٤١٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤١٢).

(٤) «الزهد للإمام أحمد» (ص٢٢٧).

وقال سعدٌ ﷺ أيضاً لابنه: يا بني! إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصيرُ، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرحم التي منها قذفت، والغذاء الذي به غذيت[1].

وسمع ﷺ ابناً له يدعو؛ وهو يقول: اللهمَّ إني أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها ونحواً من هذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها. فقال سعدٌ لابنه: لقد سألت الله خيراً كثيراً، وتعوذت بالله من شرٍّ كثير، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكونُ قومٌ يعتدون في الدعاء»، وقرأ هذه الآية: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝﴾، وإنَّ بحسبك أن تقول: اللهمَّ إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل[2].

عباد الله! هؤلاء قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه -رضي الله عنهم أجمعين-، وجمعنا الله وإياكم معهم ومع نبينا في جنات النعيم.

---

(١) «العقد الفريد» (٢/ ١٨٥).

(٢) رواه أبي داود (١٤٨٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» مختصراً (٦/ ٥٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٧٢)، و«مسند سعد» (ص١٥٤)، و«مسند الطيالسي» (ص٢٨)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٧١)، والحديث علق عليه الألباني في «سنن أبي داود» وقال: حديث حسن صحيح.

الخطبة العشرون

أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

الصحابة رضي الله عنهم قومٌ اختارهم اللهُ لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان، أثنى الله عليهم في كتابه فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أصحاب محمدٍ اصطفاهم الله لنبيه» . وأثنى النبيُّ ﷺ في سنته على أصحابه، فقال ﷺ: «النجوم أمنةٌ للسماء؛ فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «خير أمتي القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم». قال أبو هريرة: والله أعلم أذكر الثالث أم لا[١].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «قال حمادُ بن سلمة عن أيوب السختياني أنه قال: مَنْ أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق»[٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، مع صحابيٍّ جليل من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله!؟ إنه: **أبو عبيدة بن الجراح ﷺ**. من كبار الصحابة، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام.

عباد الله! وحديثنا عن أبي عبيدة ﷺ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: مناقبه ﷺ.

العنصر الثاني: مواقفه ﷺ في الإسلام.

العنصر الثالث: مواعظه ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

عباد الله! العنصر الأول: مناقبه ﷺ:

أولاً: من مناقبه ﷺ أنه أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنة؛ قال ﷺ: «أبـو بكـر في الجنة، وعمر في الجنة، وعـثمان في الجنـة، وعـليٌّ في الجنـة..» إلى أن قـال ﷺ: «وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ قرنه في المدح بالشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -. قال ﷺ: «نِعم الرجل أبو بكر، نعم الرجلُ عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح(٢)».

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أنه أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ بعد الشيخين:

عن عبد الله بن شقيق قال: قلتُ لعائشة ﷺ أيُّ أصـحاب النبـي ﷺ كـان أحبَّ إليه؟ قالت: أبو بكر، قلتُ: ثم من؟ قالت: عمر، قلتُ، ثـم مَـنْ؟ قالـت: أبو عبيدة بن الجراح. قلت: ثم مَنْ؟ فسكتت(٣).

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه صالح للخلافة، وأهل لها:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٥٩)، والحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٥٩)، و«موارد الظمآن» (ص٥٤٧)، والترمذي (٣٧٩٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٥٠)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٤١٩)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي».

(٣) رواه الترمذي (٣٦٥٧)، وابن ماجه (١٠٢)، و«معتصر المختصر» (٢/ ٣٥٤)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي وابن ماجه».

عن أبي مليكة قال: سمعتُ عائشة ﷺ سُئلت: مَنْ كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بنُ الجراح ثم انتهت إلى هذا[1].

ولذلك لما كان يوم السقيفة، قال أبو بكر: «بايعوا عمر أو أبا عبيدة، فقال عمرُ: بل نبايعك أنت، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»[2].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ حين احتُضِرَ: لو كان أبو عبيدة حياً لبايعته[3]. ولما ولي عمرُ ﷺ إمرة المؤمنين، عزل خالد بن الوليد عن إمرة الشام وولاها أبا عبيدة[4].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن الفاروق عمر ﷺ كان يكره مخالفته فيما يراه، وأنه كان جليل القدر عنده:

يقول ابن عباس ﷺ: لما خرج عمر بن الخطاب ﷺ إلى الشام وأُخبر أن الوباء قد وقع بها؛ فجمع أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم فاختلفوا، فرأى عمر رأي مَن رأى الرجوع فرجع، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟

فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة. وكان عمر يكره خلافه -أي: كان يكره أن يخالف أبا عبيدة في أمر من الأمور- نعم نَفِرُ من قدر الله إلى قدر الله.. الحديث[5].

قال الحافظ -رحمه الله تعالى- «وذلك دالٌّ على جلالة أبي عبيدة عند عمر»[6].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٧).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩١)، و«السنة للخلال» (١/ ٢٧٩)، و«الطبقات الكبرى لابن سعد» (٣/ ٣٤٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٥٨٠).

(٤) انظر: «الموسوعة الحديثية»، «مسند الإمام أحمد» (٣/ ٢٢ الهامش).

(٥) رواه البخاري (٥٣٩٧)، ومسلم (٢٢١٩).

(٦) «الإصابة» (٢/ ٢٤٤).

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أنه أمين هذه الأمة:

قال ﷺ: «لكل أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بنُ الجراح»(١). وقال ﷺ: «إن لكل أُمةٍ أميناً، وإن أمينَنا أيتُّها الأمة؛ أبو عبيدة بن الجرّاح»(٢). وفي رواية أخرى: عن أنس ﷺ أن أهل اليمن قدِموا على رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلاً يُعلِمنا السنة والإسلام. قال: فأخذ بيدِ أبي عبيدة، فقال: «هذا أمينُ هذه الأمة».

وعن حذيفة ﷺ قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! ابعث إلينا رجلاً أميناً. فقال: «لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين». قال: فاستشرف -أي: تطلع إلى الولاية ورغب فيها كل واحد، حرصاً على أن يكون هو الأمين الموعود في الحديث، لا حرصاً على الولاية من حيث هي- لها الناس. قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح»(٣).

سابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن وفاته كانت شهادة في سبيل الله؛ فقد مات في الطاعون الذي حصل بأرض الشام زمن الفاروق ﷺ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن من كانت وفاته بسبب هذا الداء فإنه شهيدٌ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، وقد جمع الله لأبي عبيدة بين هذين الوصفين.

---

(١) رواه البخاري (٤١٢١).

(٢) رواه مسلم (٢٤١٩).

(٣) رواه مسلم (٢٤٢٠).

قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! مَنْ قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد، قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد»[١]. «وقد اتفق العلماء على أن أبا عبيدة مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثماني عشرة»[٢].

العنصر الثاني: مواقفه ﷺ:

الموقف الأول: في الولاء والبراء..

قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه في غزوة بدر الكبرى، لأنه كان على الشرك. قال ابن كثير: قال سعيد بن عبد العزيز وغيره، أُنزلت هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الآية في أبي عبيدة عامر بن الجراح، حين قتل أباه يوم بدر[٣].

الموقف الثاني:

في غزوة «أُحُدٍ» حين هُزِم المسلمون وطَفِقَ صائحُ المشركين يُنادي: دلوني على محمد .. دُلوني على محمد .. فكان أبو عبيدة أحد النَّفر العشرة الذين أحاطوا

(١) رواه مسلم (١٩١٥).

(٢) «الإصابة»(٢/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٢٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٥٤)، وابن كثير في «التفسير» (٤/ ٣٣٠).

بالرسول ﷺ ليَذُودوا عنه -أي: ليدفعوا عنه- بصُدُورهم رماح المشركين، فلما انتهت المعركة، كان الرسول ﷺ قد كُسِرت رباعيته وشج جبينُهُ، وغارتْ في وجنتِهِ حلقتانِ من حلق درعِهِ، فأقبل عليه الصدّيق يُريد انتزاعُها من وجنتيه.

فقال له أبو عبيدة: أُقسِم عليك أن تترك ذلك لي. فتركهُ، فخشي أبو عبيدة إن اقتلعها بيده أن يُؤلم رسول الله ﷺ، فعض على أولاهما بثنيته عضّاً قوياً محكماً فاستخرجها، ووقعت ثنيتهُ، ثم عض على الأخرى بثنيتِهِ الثانية فاقتلعها، فسقطت ثنيتُهُ الثانية. قال أبو بكر: «فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً»(١).

نعم والله إنهم رجال اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

الموقف الثالث: عندما نزل الطاعون بأرض الشام وهو فيها:

كتب الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي عبيدة ﷺ حين وقع الطاعون: إنه قد عرضتْ لي حاجةٌ، ولا غنى بي عنك فيها فعجل إلي، فلما قرأ الكتاب قال: قد عرفتُ حاجة أمير المؤمنين، إنه يريدُ أن يستبقي من ليس بباقٍ.

وكتب إليه: إني قد عرفتُ حاجتك، فحللني مِن عزيمتك، فإني في جندٍ من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم. فلما قرأ عمر الكتاب بكى. فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأن قد؟ فتوفي أبو عبيدة وانكشف الطاعون(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٩٨)، و«مسند الطيالسي» (ص٣)، و«حلية الأولياء» (٨/ ١٧٥)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٨).

الموقف الرابع: في الإنفاق في سبيل الله:

روى مالك الدار قال: إن عمر بن الخطاب ﷺ أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صُرّةٍ، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة، ثم تَلهُ ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنعُ. قال: فذهب بها الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. قال: وصله اللهُ ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية: اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتَلهُ ساعة في البيت، حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أميرُ المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية: اذهبي إلى بيت فلانٍ بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأةُ معاذ فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يتبق في الخرقة إلا ديناران فدفع بهما -أي: رمى بهما- إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض[1].

ولذلك قال عمر بن الخطاب يوماً لمن حوله: «تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ثم قال: تمنّوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً أو جوهراً؛ فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين.

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٤٩١)، «حلية الأولياء» (١/ ٢٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٥٦).

فقال عمر: «أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان..»[١].

العنصر الثالث: مواعظه رضي الله عنه:

قال أبو عبيدة بن الجراح: ألا رُبَّ مبيِّضٍ لثيابه مدنس لدينه، ألا ربَّ مُكرم لنفسه وهو لها مهينٌ، ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات. فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تغمرَهُنَّ[٢].

وصدق والله أبو عبيدة بن الجراح؛ فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

وقال الله -عز وجل- في الحديث القدسي: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة»[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٥٢)، و«حلية الأولياء» (١/ ١٠٢)، و«صفوة الصفوة» (١/ ٣٦٧-٣٦٨)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٧٤٠).

(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٠٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، و«سنن الدارمي» (٢/ ٤١٤)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٦)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٣٨)، و«الصغير» (٢/ ٨٢)، وفي «الكبير» (١٢/ ١٩)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي» وهو في «الصحيحة» (١٢٧)، (١٢٨).

وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع بـه الـدرجات ؟» قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط»[(١)].

وقال أبو عبيدة ﷺ: التهلكة: هو أن يذنب، ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك[(٢)].

وقال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلب كل يومٍ كذا وكذا مرةٍ[(٣)].

وصدق والله! فإن القلب سُمي قلباً لكثرة تقلبه، ولذلك كان النبي ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

وقال أبو عبيدة ﷺ: وددتُ أني كبشٌ فذبحني أهلي فأكلوا لحمي، وحسوا مرقي[(٤)].

أتدرون لمَ يا عباد الله؟! خوفاً من الحساب، خوفاً من الوقوف بين يدي الله، يقول ﷺ: «ما منكم إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم: وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»[(٥)].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢١).

(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٠٠).

(٤) «الزهد للإمام أحمد» (ص٢٣٠).

(٥) رواه البخاري (٦١٧٤)، ومسلم (١٠١٦).

الخطبة الحادية والعشرون

الزبير بن العوام رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

فهم الرجال، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].
وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

وهم الصادقون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]. وقال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر:٨].

وهم المؤمنون حقاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال:٢-٤].

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدٍ ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه؛ يقاتلون على دينه»[1].

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ، من تمسك بمنهجهم وسلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]. وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ..». وقال ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة»، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي التي تكون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

(١) تقدم تخريجه.

ومن ترك منهجهم وسبيلهم واتبع سبل الشيطان، شقيَ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابي من الصحب الكرام، أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **الزبير بن العوام** ﷺ. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟! هو: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي.

-أمه: صفيةُ بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.

-وعمتهُ خديجةُ بنت خويلد ﷺ زوجة رسول الله ﷺ.

-وزوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ.

عباد الله! وحديثنا عن الزبير بن العوام ﷺ سيكون عن: مناقبه، ومواقفه، ومواعظه.

عباد الله! أما مناقبه وفضائله فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه من المشهود لهم بالجنة: قال ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة.. الحديث»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ شهد له بأنه يموت شهيداً، يقول أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال ﷺ: «اهدأ، فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيد»[1].

عباد الله! وقد حصلت له الشهادة كما أخبر النبي ﷺ، فإنه لما كان يومُ الجمل ذكَّرهُ عليٌّ بما ذكرهُ به، فرجع عن القتال وكرَ راجعاً إلى المدينة .. وفي الطريق قتلهُ ابن جَرْمُوز لعنه الله، واجتز رأسهُ، وذهب به إلى عليّ ﷺ، - ورأى أن ذلك يحصل له به حظوةٌ عندهُ- فاستأذن، فقال عليٌّ: لا تأذنوا له، وبشروه بالنار. وفي رواية: قيل لعليٍّ: إن قاتل الزبير على الباب، فقال عليٌّ: ليدخُلَنَّ قاتلُ ابنَ صفية النار[2]. الشاهد أن الزبير لقي الله شهيداً.

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان ممن استجاب لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح يوم أُحُدٍ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾.

قالت عائشة ﷺ لعروة بن الزبير ﷺ: يا ابن أخت كان أبوك منهم: الزبير وأبو بكر؛ لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا؛ فقال ﷺ: «من يذهب في إثرهم ؟» فانتُدِب منهم سبعون رجلاً قالت: كان فيهم أبو بكر والزبير»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٣٧)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٠٢، ١٠٣).

(٣) رواه البخاري (٣٨٤٩)، ومسلم (٢٤١٨).

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه حواريُّ رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «إنّ لكلّ نبيٍّ حوارياً، وإنّ حواريَّ الزبير بن العوام»[(١)].

عباد الله! والحواريُّ هو الناصر المخلص، ولذلك سمع عبد الله بن عمر ﷺ رجلاً يقول: أنا ابنُ الحواري، فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[(٢)].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن النبيّ ﷺ فداه بأبويه.

عباد الله! في غزوة الأحزاب عندما غدرت بنو قريظة، ونقضوا عهدهم، قال النبي ﷺ لأصحابه: «من يأتي بني قريظة؛ فيأتيني بخبرهم؟» فانطلق الزبير ﷺ فلما رجع، قال له النبي ﷺ: «فداك أبي وأمي»[(٣)].

و كذلك في معركة أُحد قال الزبير ﷺ «جمع ليَ النبيُّ ﷺ أبويه يوم أُحُدٍ»[(٤)].

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ شهد له بالخيرية، وأنه كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ:

لما أصاب عثمان بن عفان ﷺ رعافٌ شديدٌ، حتى حبسه عن الحج وأوصى؛ فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال:

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٢).

(٢) «رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى» (٣/ ١٠٦)، وذكره الحافظ في «الإصابة» (١/ ٥٢٧).

(٣) رواه البخاري (٣٥١٥).

(٤) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٨٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٥٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٢٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٦٤)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٣٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن ابن ماجه.

ومن؟ فسكت، فدخل رجل آخر فقال: استخلف، فقال عثمان: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت فلعلهم قالوا: إنه الزبير؟ قال: نعم. قال عثمان ﷺ: والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمتُ، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ. وفي رواية أخرى قال: «أمَّا والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثاً»[1].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ في الشجاعة والإقدام فحدث فيها ولا حرج.

أولاً: في غزوة بدرٍ الكبرى:

قال الزبير ﷺ لقيتُ يوم بدرٍ عبيدة بن سعد بن العاص وهو مُدجج -أي: بالسلاح- لا يُرى إلا عيناه، فحملت عليه بالعترة فطعنتهُ في عينيه فمات. قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه فكان الجهد أن نزعتها -يعني: الحربة- فلقد انثنى طرفها[2].

ثانياً: في غزوة الأحزاب:

يقول جابر ﷺ قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَن يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال ﷺ «مَن يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا، ثم قال ﷺ: «مَن يأتينا بخبر القوم؟» قال الزبيرُ: أنا، ثم قال ﷺ: «إن لكل نبيٍّ حوارياً وإنَّ حواريَّ الزبير»[3].

(١) رواه البخاري (٣٥١٢)، (٣٥١٣).
(٢) رواه البخاري (٣٧٧٦).
(٣) تقدم تخريجه.

ويقول الزبير ﷺ: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه، فقال: «فداك أبي وأمي»[١].

ثالثاً: أما في وقعة اليرموك:

قال أصحابُ رسول الله ﷺ للزبير يوم اليرموك: ألا تَشُدُّ؛ فنَشِدُّ معك؟ فقال: إني إن شددتُ كذبتم. فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضُربها يوم بدرٍ. قال عروة: كنتُ أُدخِلُ أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[٢]. وهذا يدل على أنه ﷺ كان شجاعاً مقداماً في تسديد الضربات لجيوش الشرك والضلال. ولقد أبلى ﷺ في يوم اليرموك، وفي جميع الغزوات التي غزاها بلاءً حسناً.

عباد الله! أما مواعظه ﷺ:

قال الزبير ﷺ لابنه: لا تجادلْ الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم، ولكن عليك بالسنة[٣].. أتدرون لما يا عباد الله؟ لأن السنة موضحة ومبينة للقرآن، فالله أمرنا فقط في كتابه ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ولكن كيف نصلي؟ جاءت السنة وبينت

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٧٥٦).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٥٩).

لنا كيف نصلي، والله أمرنا في كتابه ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ولكن كيف نزكي؟ جاءت السنة وبينت لنا كيف نزكي. والله أمرنا في كتابه بذكره وتسبيحه ولكن كيف نذكُره؟ جاءت السنة وبينت لنا كيف نذكره.

ولذلك يجب على من أصدر حكماً في دين الله أن يأتي بالأدلة من القرآن والسنة، وأن يفهم الأدلة بفهم سلف الأمة، وبعد ذلك يصدر حكمه فإنه -إن شاء الله- لا يخطئ الحق أبداً، ولكن إذا جاء بالأدلة من القرآن وحده، أو من السنة وحدها، فربما لا يصيب الحق. مثلاً إذا سأله سائل فقال: الميتة حرام؟ فقال له: نعم الميتة كلها حرام، واستدل من القرآن بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ وهذا حكم خاطئ، ولا بد أن يأتي بالسنة.

فقد جاءت السنة تبين أنه أُحِلَّ لنا ميتتان؛ السمك والجراد. فنقول: نعم الميتة حرام إلا السمك والجراد، وبذلك نصيب الحق.

وقال الزبير ﷺ: من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل[١].

ولما حضر يوم الجمل، جعل الزبير يوصي ابنه عبد الله بِدَيْنِه، ويقول: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه بمولاي.

قال عبد الله: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلتُ: يا أبت من مولاك؟ قال: الله.

قال: فوالله ما وقعتْ كربةٌ من دَينه إلا قلت: يا مولى الزبير! اقض عنه دينه، فيقضيه[٢].

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد (ص١٧٩).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦١).

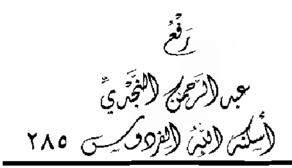
وقال له ابنه يوماً: مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما أسمع ابن مسعودٍ وفلاناً وفلاناً؟

فقال الزبير: أما إني لم أفارقْه منذ أسلمت، ولكني سمعت منه كلمة: «ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار»[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

(١) رواه البخاري (١٠٧).





الخطبة الثانية والعشرون

طلحة بنُ عُبيد الله رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قوم أختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدته: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام ... أتدرون من هو: يا عباد الله؟ هو **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه .. أتعرفونه؟

هو طلحة بنُ عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي، أبو محمد، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان يقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٢٨).

عباد الله! وحديثنا عن طلحة بن عُبيد الله ﷺ سيكون عن: مناقبه ومواقفه ومواعظه، أما مناقبه وفضائله فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أن رسول الله ﷺ شهد له بالجنة. قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة..» الحديث[١]. وفي غزوة أُحد قال ﷺ: «أوجب طلحة».

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أخبر أنه يموت شهيداً.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ كان على جبل حِراء، فقال رسول الله ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ». وعلى الجبل النبي ﷺ، وأبوبكر وعمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ»[٢]. وقال ﷺ: «من سرَّهُ أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله»[٣].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنه راضٍ:

لما نام الفاروق عمر على فراش الموت، قال له الصحابة: أوصي يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجدُ أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط -

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٤١٧).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٤)، «الأحاديث المختارة» (٣/ ٤٤)، والترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجه (١٢٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وابن ماجه» وهو في «الصحيحة» (١٢٦).

الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن..»[١].

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى-: «باب ذكر طلحة بن عبيد الله، وقال عمر: تُوفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ»[٢].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبر أن طلحة ممن قَضى نحبه ووفى لله بما نذره على نفسه من القتال في سبيله ونصرة دينه.

عن موسى بن طلحة قال: دخلتُ على معاوية فقال: ألا أُبشرك؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طلحةُ مِمَّن قضى نحبَه»[٣]. وعن طلحة قال: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيٍّ جاهلٍ: سله عمن قضى نحبه مَن هو؟ -وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه- فسأله الأعرابيُّ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه. ثم إني أطلعتُ من باب المسجد وعليَّ ثيابٌ خضرٌ، فلما رآني النبي ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى نحبهُ ؟»، قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال ﷺ: «هذا ممَّن قضى نحبه»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٦٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٠٢)، وابن ماجه (١٢٧)، و«المعجم الأوسط للطبراني» (٥/ ١٧٨)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وابن ماجه» وهو في «الصحيحة» (١٢٥).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٠٢)، و« مسند أبي يعلى» (٦٦٣)، والحديث قال عنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي»: حسن صحيح.

عباد الله! وكان طلحة بن عبيد الله ﷺ ضمن جماعة من الصحابة نذروا إذا لقوا حرباً ثبتوا حتى يستشهدوا، وقد ثبت طلحةُ يوم أُحد وبذل جهده حتى شُلت يده، ووقى بها النبي ﷺ.

خامساً: ومن مناقبه ﷺ حرصُه على معرفة الحق، والتعلم من رسول الله ﷺ:

قال طلحة ﷺ: يا رسول الله! كيف الصلاة عليك؟ قال ﷺ: «قل: اللهم صلِّ على محمدٍ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[(١)].

وقال طلحةُ ﷺ: كنا نصلي والدواب تمرُّ بين أيدينا، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «مثلُ مؤخرة الرَّحل تكون بين يدي أحدكم، ثم لا يضره ما مرَّ عليه»[(٢)].

ودخل عمر على طلحة يوماً فرآه كئيباً، فقال: مالك يا أبا محمد كئيباً، لعله ساءتك امرأةُ ابن عمِّك؟ يعني أبا بكرٍ، قال: لا، وأثنى على أبي بكر. ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كلمة لا يقولُها عبدٌ عند موتهِ إلا فرج الله عنه كُربته، وأشرق لونهُ». فما منعني أن أسأله عنها إلا القدرةُ عليها حتى مات.

فقال له عمر: إني لأعلمُها. فقال له طلحة: وما هي؟. فقال له عمر: هل تعلم كلمةً هي أعظم مِن كلمة أمر بها عمه: لا إله إلا الله؟ فقال طلحةُ: هي، والله هي[(٣)].

---

(١) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٤)، سنن النسائي «المجتبى» (١٢٩٠)، وفي «الكبرى» (١/ ٣٨٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٦٢)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي «المجتبى».

(٢) رواه مسلم (٤٩٩).

(٣) «الموسوعة الحديثية. مسند الإمام أحمد» رقم (١٣٨٦) إسناده صحيح.

عباد الله! أما مواقفه ﷺ.

أولاً: موقفه في البذل والتضحية والشجاعة والإقدام والدفاع عن رسول الله ﷺ ويظهر ذلك جلياً في غزوة أحد.

عباد الله! أبلى طلحة بنُ عبيد الله ﷺ يوم أُحُدٍ بلاءً حسناً، ولذلك كان الصحابة يقولون عن يوم أُحُدٍ: ذاك يومٌ كلُّه لطلحة[1].

قال جابرٌ ﷺ: لما كان يومُ أُحُد وولَّى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحيةٍ في اثنى عشر رجلاً، وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركهم المشركون، فالتفت رسول الله ﷺ وقال: «من للقوم ؟»، فقال طلحة: أنا، قال رسول الله ﷺ: «كما أنت».

فقال رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسول الله! فقال: «أنت» فقاتل حتى قُتِلَ ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «ومن للقوم»؟ فقال طلحة: أنا، قال: «كما أنت».

فقال رجل من الأنصار: أنا، فقال: «أنت» فقاتل حتى قُتِل. ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليهم رجلٌ من الأنصار، فيقاتل قتال من قبله حتى يُقتل، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن للقوم ؟» فقال له طلحة: أنا.

---

(١) ذكر هذا الخبر كما في«تفسيرابن كثير» (١/ ٤١٧)، وذكر الطيالسي (ص٣) عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: «كان أبوبكر ﷺ إذا ذكر يوم أُحد بكى ثم قال: ذاك كله يوم طلحة»، وأيضاً في «فتح الباري» (٧/ ٣٦١).

فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضُرِبتْ يده فقطعت أصابعه.

فقال: «حسِّ»، فقال رسول الله ﷺ: لو قلت: «بسم الله، لطارتْ بك الملائكة، والناس ينظرون إليك». ثم رد الله المشركين(١).

وعن خالد بن قيس قال: رأيتُ يدَ طلحة التي وقيَ بها النبي ﷺ يوم أُحُد شلاء(٢).

وعن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أُحُد درعان فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة. قال: فسمعتُ النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة»(٣). أي: فعل فعلاً أوجب الجنة.

وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحُد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شَجةٌ مربعةٌ، وقُطع نَساه -يعني: العرق- وشلتْ أصبعُهُ، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغشيُ، ورسول الله مكسورة رباعيتُهُ، مشجوج في وجهه، قد علاه الغشيُ، وطلحة مُحتملهُ، يرجع به القهقرى، وكلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب(٤).

---

(١) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٤٣)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٤٩)، و«المعجم الكبير للطبراني» (١/ ١١٦)، والنسائي في «المجتبى» (٣١٤٩)، والحديث حسنّه الألباني في سنن النسائي «المجتبى» وهو في «الصحيحة» (٢٧٩٦).

(٢) رواه البخاري (٣٥١٨).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨)، والترمذي (١٦٩٢)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٧٠)، و«مسند البزار» (٣/ ١٨٨)، و«مسند سعد» (ص١٥٢)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٣٣)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وهو في «المشكاة» (٦١١٢).

(٤) ذكر هذا الخبر في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢١٧)، و«كتاب السنن» (٢/ ٣٥٥)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٨).

وقال الزبيرُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يومئذ -أي يوم أُحد-: «أوجب طلحة» -أي: عمل عملاً أوجب له الجنة- حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع -يعني: حين برك له طلحة، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره-[1].

ثانياً: موقفه في الجود والكرم والإنفاق في سبيل الله، والمسارعة لفعل الخيرات:

باع طلحة بنُ عبيد الله أرضاً له بسبعمائة الف، فبات ليلة عنده ذلك المال، فبات أَرِقاً - من مخافة ذلك المال- حتى أصبح، ففرقه[2].

وجاء أعرابيٌّ إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم، فقال: إن هذه لرحمٌ ما سألني بها أحدٌ قبلك، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف، فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعتُ إليك الثمن. فقال الثمن، فأعطاه[3].

وعن عبد الله بن شداد: أن نفراً من بني عُذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا، قال ﷺ: «مَن يَكفينيهم ؟» قال طلحة: أنا، فكانوا عند طلحة، فبعث النبي ﷺ بعثاً، فخرج فيه أحدُهم، فاستشهد. قال: ثم بعث بعثاً، فخرج فيه آخر فاستشهد، قال: ثم مات الثالث على فراشه.

قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة، فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه، ورأيت الذي استشهد أوّلهم آخرهم. قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٨٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣١).

قال: فقال ﷺ: «وما أنكرت من ذلك؟ ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يُعمّرُ في الإسلام؛ لِتسبيحِهِ وتكبيره وتهليله»[1].

ابتاع طلحة بئراً بناحية الجبل، ونحر جزوراً، فأطعم الناس، فقال رسول الله ﷺ: «أنت طلحة الفياض»[2].

عباد الله! أما مواعظه رضي الله عنه فمنها:

١ - قال طلحة رضي الله عنه: لا تُشاور بخيلاً في صلة، ولا جباناً في حرب، ولا شاباً في جارية[3].

٢ - وقال رضي الله عنه: من أراد أن يُقلَّ من معرفة الناس لعيوبه، فليجلس في بيته، فمن خالط الناس سُلِبَ دينهُ ولا يشعر، ولذلك جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما النجاة؟ قال ﷺ: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».

٣- وقال رضي الله عنه، إنا لنجدُ بأموالنا ما يجدُ البخلاء، لكننا نتصبر[4].

---

(١) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٣٣)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٤)، و«مسند أحمد» (١/ ١٦٣)، والحديث: حسن لغيره «الموسوعة الحديثية».

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه على الصحيحين» (٣/ ٤٢١)، و«الأحاديث المختارة» (٣/ ٣٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ١٤٧)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٧/ ٧)، و«السنة لابن أبي عاصم» (٢/ ٦١٤).

(٣) «كنز العمال» (٣/ ٧٩٠) برقم (٨٧٧٣).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٣).

والمعنى: أن الكريم يجد من الرغبة في الحرص على المال والتمسك به كما يجد البخيل، ولكن الكريم يلزم نفسه، ويتجاوز رغباتها، فيبذل أمواله، ويصبِّر نفسه على ذلك.

اللهم فقهنا في ديننا.



الخطبة الثالثة والعشرون

سعيد بن زيد رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! من أراد النجاة فعليه أن يسلك سبيلهم، ويفهم الإسلام بفهمهم:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ﷺ: «..وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي»[(١)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه «من كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيّ لا تُؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دنيه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى-: «قال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني، أنه قال: من أحبَّ أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق»[١].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من إنه: يا عباد الله؟ **هو سعيد ابن زيد** رضي الله عنه. **أتعرفونه يا عباد الله؟**

هو سعيدُ بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي، أبو الأعور، كان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل أحد الحنفاء الذين طلبوا دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، قبل أن يُبعث النبيُّ عليه الصلاة والسلام، وكان لا يذبح للأصنام، ولا يأكل الميتة والدم، وكان يقول لقومه: يا معشر قريش والله لا آكلُ ما ذبح لغير الله، والله ما أحدٌ على دين إبراهيم غيري[٢].

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: رأيتُ زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش! والله ما منكم على دين إبراهيم عليه السلام غيري، وكان -أي: زيد بن عمرو- يحيي الموءودة -أي: يمنع من قتلها- يقول

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في« الاستيعاب»، انظر «الإصابة» (٢/ ٤) حاشية.

للرجل -إذا أراد أن يقتل ابنته-: أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتُها إليك، وإن شئت كفيتُك مؤنتها[١].

وأخرج البخاري أن ابن عمر يُحدِّث عن رسول الله ﷺ، أنه لقي زيد بن عمرو أسفل بلدح -وادٍ قبل مكة من جهة الغرب- قبل الوحي فَقَدَّمَ إلى زيد سُفرة فيها لحمٌ، فأبى أن يأكل منها. ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون -توهم زيدٌ أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله، ومن المقطوع به أن بيت محمد ﷺ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه- على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه. وكان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء ماءً، وأنبت لها من الأرض الكلأ، وأنتم تذبحونها على غير اسم الله[٢]!

عباد الله! هذا هو زيد بن عمرو بن نفيل والد الصحابي الجليل الذي نحن في صدد الحديث عنه:

عباد الله! وحديثنا عن سعيد بن زيد ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه.

أما مناقبه وفضائله فهي كثيرة منها:

أولاً: أنه كان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

يقول سعيد بن زيد ﷺ: «والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يُسلِمَ عمر»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٤٩).

وفي هذا الحديث يظهر لنا:

١ - أن سعيد بن زيد من السابقين الأولين إلى الإسلام.

٢ - أن إسلامه كان قبل إسلام الفاروق ﷺ.

٣ - أنه عُذب في الله، وثبت على إسلامه.

قال أبو عبد الله الحاكم: «أسلم سعيد بن زيد بن عمرو قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها الناس إلى الإسلام»[١].

ثانياً: من مناقبه ﷺ، شهادة النبي ﷺ له بالجنة.

قال سعيد بن زيد ﷺ: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «عشرةٌ في الجنة، النبيُّ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة». ولو شئت لسميتُ العاشر.

قال: فقالوا: من هو؟ فسكت. قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد[٢].

وقال سعيد بن زيد ﷺ: كان رسول الله ﷺ عاشر عشرة، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة» فقيل له: من التاسع؟ قال: أنا[٣].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٩٦)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٤٠٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٨٣)، وابن ماجه (١٣٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٥٠)، «مسند الشاشي» (١/ ٢٣٧)، والحديث صححه الألباني في «سنن ابن ماجه» وهو أيضاً في «المشكاة» (٦١١٠)، و«الروض» (٤٢٥).

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أخبر بأنه من الشهداء:

يقول سعيد بن زيد ﷺ: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعتُه يقول: «اثبت حراء! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدٌ، وعدَّهم: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وطلحة والزبير، وسعد، وابن عوف، وسعيد بن زيد»[1].

رابعاً: من مناقبه ﷺ أنه كان إذا اعتُدي عليه التجأ إلى الله، واستدل بما سمع من رسول الله ﷺ.

ادَّعت أروى بنت أُويس أن سعيد بن زيد أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيدٌ ﷺ: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟! قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلما طوَّقَهُ إلى سبع أرضين».

فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا.

فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً فعمِّ بصرها، واقتُلها في أرضها، قالت: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت[2]. ولا عجب في ذلك، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٥٨)، والترمذي (٣٧٥٧)، وأبي داود (٤٦٤٨)، وابن ماجه (١٣٤)، والحديث صححه الألباني في «سنن ابن ماجه والترمذي وأبي داود» وفي «الصحيحة» (٨٧٥).

(٢) رواه مسلم (١٢٣١).

(٣) رواه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[١].

وقال ﷺ: «ثلاثٌ تستجاب دعوتهم: الوالد والمسافر والمظلوم»[٢].

ابن آدم:

لا تظلمـــن إذا مـــا كنــت مقتــدراً فـــالظلم يرجـــعُ عقبـــاه إلى النـــدم

تنـــام عينـــاكَ وَالمظلـــوم منتبـــه يـــدعو عليـــك وعـــين الله لم تـــنم

عباد الله! أما مواقفه فمنها:

موقفه في الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ:

عن رباح بن الحارث قال: كنت قاعداً عند فلانٍ في مسجد الكوفة، وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فرحَّب به وحيّاهُ، وأقعده عند رجليه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة، فاستقبله فسَبَّ وسَبَّ، فقال سعيدُ: من يسبُّ هذا الرجل؟ قال: يسبُّ علياً.

قال سعيد: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يُسَبُّون عندك ثم لا تُنكر ولا تغير، أنا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: - وإني لغنيٌّ أن أقول عليه ما لم يقل،

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٣)، والحديث أورده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٢٢٨).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١١٣)، والهيثمي في «الزوائد» (١٠/ ١٥١)، و«مسند الروياني» (١/ ١٦٠)، والحديث أورده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٢٢٢٧).

فيسألني عنه غداً إذا لقيته-: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وسعد بن مالكٍ في الجنة»، وتاسع المؤمنين في الجنة، لو شئتُ أن أسميه لسميتُه.

قال: فَضَجَّ أهل المسجد يناشدونه:يا صاحب رسول الله ﷺ! مَنْ التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله، والله عظيم، أنا تاسع المؤمنين ورسول الله ﷺ العاشر، ثم أتبع ذلك يميناً قال: والله لمشهدٌ شهدهُ رجلٌ يُغبَّرُ فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم، ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوح عليه السلام[1].

عباد الله! حب الصحابة دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فالواجب على المؤمن: إذا سمع أحداً ينالُ أو يسبُّ أصحاب رسول الله ﷺ؛ أن يدافع عنهم؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة جاءت تحرم سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ.

فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

(١) أخرجه الضياء في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٨٢-٢٨٣)، وأبي داود (٤٦٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٥٠)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٨٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

ومن السنة:

قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهَم ولا نصيفه»[١].

وقال ﷺ: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٢].

وقال ﷺ: «لعن الله من سبّ أصحابي»[٣].

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[٤].

وقال ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[٥].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٩٤)، وفي «الكبير» (١٢/ ٤٣٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ١٣٣)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١١١).

(٤) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٥) تقدم تخريجه.

الخطبة الرابعة والعشرون

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾ [النمل:٥٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الذين اصطفى هم أصحاب محمد ﷺ، اصطفاهم الله لنبيه[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ﴾. قال طائفة من السلف، هم أصحاب محمد ﷺ. ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر:٣٢-٣٥].

---

(١) «تفسير جامع البيان» (٢٠/ ٢).

فأمةُ محمد ﷺ الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم -اليهود والنصارى- وقد أخبر الله تعالى أنهم الذين اصطفى، وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «خيرُ الناس القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١]. ومحمد ﷺ وأصحابه؛ هم المصطفون من المصطفين من عباد الله[٢].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ هو: **حمزة بن عبد المطلب ﷺ**. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟! إنه حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشيُّ، الهاشمي، المكيُّ، ثم المدني، البدريُّ، الشهيد، أسد الله، وأسد رسوله، عم رسول الله ﷺ وأخوهُ من الرضاعة. قال ﷺ: «حمزة بن عبد المطلب أخي من الرَّضاعة»[٣].

عباد الله! لما أسلم حمزة بن عبد المطلب ﷺ علمت قريش أنَّ رسول الله ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنعُهُ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[٤].

عباد الله! وحديثنا عن حمزة بن عبد المطلب ﷺ سيكون عن مناقبه وعن استشهاده في غزوة أُحُد. أما مناقبه فهي كثيرة منها:

---

(١) رواه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٥٦).

(٣) رواه مسلم (١٤٤٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٠٤).

أولاً: أنّ أول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة كان لعمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

عباد الله! لما أذن الله تعالى لرسوله ﷺ في القتال؛ أخذ ﷺ يبعث سراياه إلى الجهات المختلفة؛ لمقاصد عالية، وحكم غالية، وكان أول لواء عقده الرسول ﷺ لحمزة بن عبد المطلب، بعثه في ثلاثين رجلاً من المهاجرين خاصة يعترضون عيراً لقريش، وكانت تلك العير قادمة من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجلٍ من قريش، فانتهى حمزة ومَنْ معه إلى سيف البحر من ناحية العيص، فلقي أبا جهل ومَنْ معه من الكفار واصطفوا للقتال، وسلّوا سيوفهم، إلا أن مجدي بن عمر الجهنيّ كان حليفاً للفريقين فمشى بينهما وحجزهم، فلم يحصل قتال في هذه السرية[1].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان في مقدمة المبارزين في غزوة بدرٍ الكبرى:

يقول عليٌّ ﷺ: تقدم -يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يُبارز؟ فانتُدب له شباب من الأنصار فقال: مَن أنتم؟ فأخبروه. فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة، قم يا عليُّ، قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلتُ إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن

---

(١) «الطبقات لابن سعد» (٣/ ١٨-١٩)، «صفوة الصفوة» (١/ ٣٧)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٧١-١٨٤)، و«الإصابة» (١/ ٣٥٣).

كل واحدٍ منها صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة -أي: إلى معسكر المسلمين-[١]. الشاهد أنَّ حمزة بن عبد المطلب كان في مقدمة المبارزين يوم بدر الكبرى.

عباد الله! وفي حمزة بن عبد المطلب، ومَن معه -وهم حزب الله-، وفي عتبة ابن ربيعة، ومن معه -وهم حزب الشيطان- أنزل الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

فهذا أبو ذر ﷺ يقسم بالله أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدرٍ: حمزة وعليٌّ وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة[٢].

ويقول عليٌّ ﷺ: نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ في الذين بارزوا يوم بدرٍ: حمزة بن عبد المطلب، وعليٌّ، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. قال عليٌّ: وأنا أول من يجثو للخصومة على ركبتيه بين يدي الله يوم القيامة[٣].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان في غزوة أُحُد يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ.

يقول سعدُ بن أبي وقاص ﷺ: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: أنا أسدُ الله[٤].

---

(١) تقدم تخريجه في خطبة علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٧٥١)، ومسلم (٣٠٣٣).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣١)، و«السنة للخلال» (٢/ ٤١٦)، و«الإيمان لابن منده» (١/ ٤١٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وفي غزوة أُحُد أيضاً كان من المبارزين، وأبلى بلاءً حسناً في أرض المعركة.

يقول وحشيٌّ قاتل حمزة: (.. خرجت مع الناس إلى القتال فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباعُ بن عبد العزى الخزاعيّ، فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع يا ابن أمِّ أنمار مقطعة البظور، أتُحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثمَّ شدَّ عليه، فكان كأمسِ الذاهب)(١).

عباد الله! وفي حمزة بن عبد المطلب، ومن قُتِلَ معه في غزوة أُحدٍ أنزل الله قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة؛ يقول ابن عباس - رضي الله عنهما- (نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾)(٢).

وقال ﷺ: «لمّا أُصيب إخوانكم بأُحدٍ جعل الله أرواحهم في جوف طيرٍ خُضرٍ ترد أنهار الجنة؛ تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل مِن ذهبٍ معلقةٍ في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم؛ قالوا: مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنَّا أحياءٌ في الجنة نُرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكُلُوا عند الحرب؟

فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٨٤٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤١٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٧)، (٢/ ٣٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٣)، وأبي داود (٢٥٢٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٠٤)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٦٥)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ٢١٩)، والحديث حسنّه الألباني كما في تعليقه على «سنن أبي داود».

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ، إخبار النبي ﷺ عنه بأنه سيدُ الشهداء عند الله يوم القيامة.

قال ﷺ: «سيِّدُ الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بنُ عبد المطلب»[1].

وقال ﷺ «سيدُ الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمرهُ ونهاه، فقتلهُ»[2].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ شهادة عبد الرحمن بن عوف ﷺ - وهو أحدُ العشرة المبشرين بالجنة- له بأنه خيرٌ منه.

أُتِي عبد الرحمن بن عوف بطعام -وكان صائماً-، فقال: قُتِلَ مصعب بن عمير، وهو خيرٌ مني كُفِّن في بردةٍ إن غُطِّي رأسُه بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسُه، وأراهُ قال: وقُتِلَ حمزةُ، وهو خيرٌ مني ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا؛ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٣٠)، (٣/ ٢١٩)، و«مسند أبي حنيفة» لأبي نعيم الأصبهاني (ص١٨٧)، والحديث حسنّه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٧٦)، وهو في «الصحيحة» (٣٧٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٣٨)، والحديث حسنّه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٧٥)، و«الصحيحة» (٣٧٤).

(٣) تقدم تخريجه في خطبة عبدالرحمن بن عوف ﷺ.

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه محبة النبي ﷺ له، وتأثره ﷺ عندما رأى ما فعل الكفار به.

يقول أنسٌ رضي الله عنه لما كان يومُ أُحُدٍ وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدع، ومُثِّل به، فقال: «لولا أن تجدَ صفية في نفسها، لتركته حتى يحشرهُ الله من بطون السباع والطير»(١).

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: مرَّ رسول الله ﷺ بنساءِ عبد الأشهل يبكين هلكاهن يوم أُحُد. فقال رسول الله ﷺ: «لكنَّ حمزة لا بَوَاكِي لهُ»، فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة. فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: «ويحُهنَّ! ما انقلبن بعد! مُرُوهن فلينقلبن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم»(٢).

عباد الله! أما كيفية استشهاد حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحُدٍ، فتعالوا بنا لنستمع إلى «وحشي» الذي قتله، وهو يخبرنا الخبر، يقول: «وحشيٌّ»: (كنت عبدَ جبير بن مُطعم. وكان عمه طُعيمة بن عدي قُتِلَ يوم بدرٍ -قتله حمزة-

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٩)، والترمذي (١٠١٦)، و«مجمع الزوائد» (٣/ ٢٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٤/ ١٠)، و«سنن الدارقطني» (٤/ ١١٦)، وأبي داود (٣١٣٦)، والحديث صححه الألباني تعليقه على «سنن الترمذي».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢١٥)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٠)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٤/ ٧٠)، وابن ماجه (١٥٩١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٦٣)، و«مصنف عبدالرزاق» (٣/ ٥٦١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٩٣)، والحديث علق عليه الألباني في سنن ابن ماجه وقال: حسن صحيح.

فقال لي مولاي جُبير: إن قتلت حمزة فأنت حرٌّ. يقول وحشيٌّ: وكنت صاحب حربة أرمي قلَّما أخطئ بها، فخرجت مع الناس، فلما التقوا أخذتُ حربتي وخرجت أنظرُ حمزة، حتى رأيتُه في عُرض الناس مثل الجمل الأورق، يَهُدُّ الناس بسيفه هدأ ما يُليق به شيئاً، فوالله إني لأتهيأ له إذ تَقَدَمَني إليه سباع بن عبد العُزَّى الخزاعي.

فلما رآه حمزة قال: هلُمَّ إلي يا ابن مقطعة البظور! ثم ضربه حمزة، فوالله ما أخطأ رأسه، ما رأيتُ شيئاً قط كان أسرع من سقوط رأسه، فهززتُ حربتي، حتى إذا رضيتُ عنها، دفعتها عليه، فوقعتْ في ثُنتِهِ -وهي ما بين السرة والعانة- حتى خرجت بين رجليه. فوقع، فذهب لينوء، فغُلِبَ فتركته وإياها حتى إذا مات، قمت إليه، فأخذتُ حربتي، ثم رجعت إلى المعسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لي حاجةٌ بغيره، فلما أفتتح رسول الله ﷺ مكة هربتُ إلى الطائف، فلما خرج وفدُ الطائف ليسلموا، ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت.

وقلتُ: ألحق بالشام أو اليمن أو بعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك مِنْ همِّي إذ قال رجلٌ: والله إن يقتلُ محمدٌ أحداً دخل في دينه، فخرجت حتى قدمت المدينة على رسول الله ﷺ فقال: «وحشيٌّ». قلت: نعم. قال: اجلس فحدثني كيف قتلت حمزة، فحدثته كما أحدثكما فقال ﷺ: «ويحك! غيِّبْ عني وجهك، فلا أرينك» وهذا يدل على محبة الرسول ﷺ لعمه حمزة، فكنت أتنكبُ -أي: أتجنب- رسول الله ﷺ حيث كان حتى قبض.

يقول وحشيٌّ: فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة! خرجت معهم بحربتي التي قتلتُ بها حمزة. فلما التقى الناس نظرتُ إلى مسيلمة، وفي يده السيف، فوالله ما

أعرفه، وإذا رجلٌ من الأنصار يُريده من ناحية أخرى فكلانا يتهيأُ لـه. حتـى إذا أمكنني دفعت عليه حربتي، فوقعت فيه وشدَّ الأنصاريُّ عليه، فضربه بالسيف؛ فربُك أعلمُ أينا قتله، فإن أنا قتلته فقد قتلـتُ خـيرَ النـاس بعـد رسـول الله ﷺ وقتلت شرَّ الناس. ويقول ابن عمر: سمعتُ رجلاً يقول: قتله العبـدُ الأسـود - يعني مسيلمة[1].

هذا هو حمزة بن عبد المطلب: حياته منذ أسلم إلى أن لقي الله شهيداً كانت في الجهاد في سبيل الله. أسأل الله العظيم أن يجمعنا وإياكم بحمزة مـع رسـولنا ﷺ في جنات النعيم.

---

(١) أخرجـه ابـن إسـحاق في «السـيرة» (٢/ ١٥-١٧)، و«البخـاري» (٣٨٤٤)، والبيهقـي في «الدلائل» (٣/ ٢٤١-٢٤٣).



الخطبة الخامسة والعشرون

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

هؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه، لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق. قال الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى- في عقيدته المشهورة: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير؛ وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه**.

أتعرفونه؟ هو أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشيُّ، الهاشميُّ، عمُّ رسول الله ﷺ. ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين. قيل للعباس: أنت أكبرُ أو النبيُّ ﷺ؟ قال: هو أكبر وأنا وُلدتُ قبله[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٨)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ٢٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٨٠).

العباس بن عبد المطلب من سادة قريش في الجاهلية والإسلام، وكانت إليه في الجاهلية السقاية وعمارة المسجد الحرام، وكان العباس شريفاً، مهيباً، عاقلاً، جميلاً، أبيض بضّاً، له ضفيرتان، معتدل القامة[1].

عباد الله! وحديثنا عن العباس بن عبد المطلب ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه في الإسلام وقبل الإسلام.

أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: فرح النبي ﷺ بإسلامه فرحاً شديداً، وأعتق الذي بشّره. يقول أبو رافع ﷺ: بشَّرتُ النبيَّ ﷺ بإسلام العباس فأعتقني رسول الله ﷺ[2]. وكان النبي ﷺ يقول «العباس مني وأنا منه»[3].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبيَّ ﷺ كان يُحبه، ويُجله، ويثني عليه ويدعو له.

بينما رسول الله ﷺ يُجهز بعثاً؛ إذ طلع العباسُ بن عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: «العباسُ عمُّ نبيكم، أجود قريش كفّاً وأوصلها»[4].

---

(١) «الآحاد والمثاني» (١/ ٢٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٧٩).

(٢) أورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٦٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٧)، والترمذي (٣٧٥٩)، والنسائي في «المجتبى» (٤٧٧٥)، و«معتصر المختصر» (٢/ ١١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٦)، والحديث ضعّفه الألباني في «سنن الترمذي والنسائي» وأورده في «السلسلة الضعيفة».

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٥٢٨)، والضياء في «المختارة» (٣/ ١٦٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٨)، و«السنن الكبرى للنسائي» (٥/ ٥٠)، و«مسند الشاشي» (١/ ١٩٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٦١)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٨٥، ١٧٩)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» برقم (١٨٦١).

وقال رسول الله ﷺ: «العباسُ عمُّ رسول الله ﷺ، وإن عمَّ الرجل صِنُوا أبيه -أي: مثله-»[١].

وقال ﷺ: «..يا أيها الناسُ من آذى عمِّي؛ فقد آذاني؛ فإنما عمُّ الرجل صِنُوا أبيه - أي: مثل أبيه-»[٢].

ودعا النبيُّ ﷺ للعباس وأولاده، فقال: «اللهم اغفر للعباس، وولده مغفرةً ظاهرةً وباطنةً لا تغادر ذنباً، اللهم احفظه في ولده»[٣].

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يُجل العباس إجلال الولد والده، خاصةً خصَّ الله العباس بها من بين الناس»[٤].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان سبّاقاً لأداء ما أوجب الله عليه من الفرائض، فقد طلب من النبيّ ﷺ أن يُرخص له بأداء زكاته قبل أن يحلَّ وقتها، يقول عليٌّ رضي الله عنه: سأل العباسُ رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له في ذلك[٥].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٦١)، والحديث صححه الألباني فيه، وفي «صحيح الجامع» (٤١٢٠)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٨٠٦)، وفي «المشكاة» (٦١٤٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٥١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وهو في «المشكاة» (٦١٤٧)، و«الصحيحة» (٨٠٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٦٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٢٦٥)، و«السنة للخلال» (١/ ٩٠)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٦١٤٩).

(٤) «الجامع الصغير للسيوطي» (ص٢٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٧)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه ابن الجارود في «المنتقى» (ص٩٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٧٥)، والترمذي (٦٧٨)، وأبي داود (١٦٢٤)، وابن ماجه (١٧٩٥)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه».

وكان العباس ﷺ حريصاً على معرفة الخير. يقول العباس قلتُ: يا رسول الله! علمني شيئاً أسأله الله. قال: «سل الله العافية».

يقول العباسُ: فمكثت أياماً، ثم جئتُ فقلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله؟ فقال لي: «يا عباسُ، يا عمَّ رسول الله: سل الله العافية في الدنيا والآخرة»[1].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ استسقى به في عام الرمادة.

يقول أنسٌ ﷺ: كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا؛ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون»[2].

عباد الله! والمراد بتوسل عمر ﷺ بالعباس: توسله بدعائه لا بذاته؛ إذ التوسل بدعاء أهل الصلاح، والفضل نوع من أنواع التوسل المشروع، أما التوسل بالأموات، أو بالأحياء بذواتهم فهذا من التوسل الغير مشروع.

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله تعالى-: وقد بين الزبير بنُ بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك. فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٤)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٠٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص٢٥٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وهو في «الصحيحة» (١٥٢٣).

(٢) رواه البخاري (٩٦٤).

قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب ولم يُكشف إلا بتوبةٍ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك. وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث؛ فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناسُ»(١).

عباد الله! أما مواقفه فهي عظيمة جداً في الإسلام، وقبل دخوله الإسلام. أما موقفه في الإسلام:

الموقف الأول: يوم فتح مكة:

عباد الله! نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ فعزم رسول الله ﷺ على غزو قريش ودخول مكة فخرج إليها في عشرة آلاف مقاتل من المسلمين.

عباد الله! وكان العباس بن عبد المطلب عمُّ رسول الله ﷺ مُسلماً قبل ذلك إلا أنه كان مقيماً في مكة، وكان النبي ﷺ راضياً عنه. فوقع في قلبه أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ بعياله وهو لا يدري أنَّ الرسول ﷺ قادمٌ إلى مكة، فخرج العباسُ بعياله، مهاجراً إلى الله ورسوله فلقي رسول الله ﷺ في الطريق فلزمه.

عباد الله! وكانت قريش قد خافت من غدرتها تلك، فأرسلت أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وبُديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار -أخبار رسول الله ﷺ.

ولما مرَّ رسول الله ﷺ بمرَّ الظهران -وهو مكان قُبيل مكة- نزل به والجيش وأمرهم أن يوقدوا ناراً، فأوقدت عشرة آلاف نار، فأمست الصحراء كلها

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

منيرة، فلما مرَّ ركبُ قريش بمرِّ الظهران، ورأوا تلك النار. قال أبو سفيان: كأنها نيران عرفة. فقال حكيمٌ: كأنهم بنو عمرو، فقال له أبو سفيان: بنو عمرو أقلُّ من هذا.

عباد الله! قال العباسُ: والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوةً قبل أن تستأمنه قريش، لقد هلكت فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ، وانطلق يبحث عن ذي حاجةٍ يأتي مكة، فيأمرهم أن يخرجوا إلى رسول الله ﷺ، فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم مكة.

قال العباس: فبينما أنا أسير إذ سمعتُ صوت أبي سفيان، وبُديل بن ورقاء يتحدثان، فقلت: أبا حنظلة! (كنية أبي سفيان)، قال: فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل! (كنية العباس). فقال: قلت: نعم. قال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: رسول الله والناس، قال: ويحك فما الحيلة؟

قال العباس لأبي سفيان: اركب ورائي، فركب وراءه فأتى به النبي ﷺ فأسلم، فقال العباس للنبي ﷺ: يا رسول الله! إنَّ أبا سفيان رجلٌ يحب هذا الفخر، فاجعل له منه شيئاً.

فقال النبي ﷺ: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، من أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[1]. فأراد أبو سفيان أن ينصرف فيأتي أهل

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٦٦)، وأبي داود (٣٠٢١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٠٦)، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي (٣/ ٣٢١)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

مكة فيخبرهم. فقال النبي ﷺ للعباس: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل، حتى تمرَّ به جنود الله فيراها».

قال العباس: فانطلقتُ بأبي سفيان فحبستُه حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه، فجعلت القبائل تمرُّ علينا قبيلة بعد قبيلة، كلما مرَّت قبيلة سألني أبو سفيان: مَنْ هؤلاء؟ أقول: بني سُليم، يقول: مالي ولبني سُليم، ثم تمر القبيلة، فيقول من هؤلاء؟ أقول مُزينة، يقول: مالي ولمزينة، فجعلت القبائل تمرّ قبيلة قبيلة، كلما رأى قبيلة قال: يا أبا الفضل من هؤلاء؟ أقول بني فلان، يقول مالي ولبني فلان، حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء معه الأنصار والمهاجرون، لا تُرى منهم إلا الأعين فلما رآهم أبو سفيان قال: يا أبا الفضل من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ معه المهاجرون والأنصار.

قال: يا أبا الفضل ما لأحدٍ بهؤلاء من قِبلٍ ولا طاقة، ثم قال أبو سفيان: يا أبا الفضل: لقد أصبح مُلك ابن أخيك الآن عظيماً، قال أبو الفضل: قلت: يا أبا سفيان ليس الملك ولكنها النبوة.

قال: هي إذن. قلت: ويحك! النجاة النجاة! أدرك قومك، فانطلق أبو سفيان ليأتي أهل مكة ليخبرهم بخبر رسول الله ﷺ، فلما دخل مكة صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش! إنَّ محمداً قد جاءكم بها لا قبل لكم به اليوم ولا طاقة، فأقبلت إليه هندُ بنت عتبة امرأتُه تأخذ بشاربه، وتقول: اقتلوا الأحمق، قبحَّك الله من طليعة قوم!

فقال: يا معشر قريش لا تغرَّنكم هـذه ولا فعالُهـا بـادروا، مَـنْ دخـل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تغني عنّا دارك؟ قـال: ومَـنْ أغلـق عليـه داره فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن، فتفرَّق النـاس إلى المـسجد، وأغلـق بعضهم عليه داره[1].

الموقف الثاني: في غزوة حنين:

سار النبيُّ ﷺ حتى انتهى إلى حُنين فعدَّل الجيش ونظَّمه، وفي غلس الـصبح نزلوا في الوادي، فلم يَرُعهم إلا والعدو يرميهم بالسهام، فقد نزل قبلهم في أعلى الوادي، فكانت المفاجأة، ففرَّ المسلمون، وتفرقـت صـفوفهم، وولـوا مـدبرين، وهنا التفت الرسول ﷺ، وقال: «يا معشر الأنصار»! فقـالوا: لبيـك يـا رسـول الله! لبيك! أبْشِرْ أبشر! ثم التفت عن يساره وقال: «يا معشر الأنـصار»! فقـالوا: لبيك يا رسول لبيك! أبشِر أبشرّ! نحن معك.

فقال ﷺ للعباس وكان بين يديه هـو وأبـو سـفيان فقـال: «يـا عبـاس! نـاد أصحاب السَّمُرة»؛ وهي الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضـوان يـوم الحديبيـة، فنادى العباسُ بن عبد المطلب: أين أصحاب السمرة؟ فقالوا: لبيك لبيك، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها. فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ فصفَّهم مرةً ثانية، وقال:

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٩٠، ٢٩١)

«أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب»

ثم استنصر الله عز وجل، فقال: «اللهم أنزل نصرك» ثم نظر إلى الجيش وقد التحم بعضُه ببعض، فقال: «الآن حَمِيَ الوطيس»، ثم قبض قبضةً من تراب الأرض ورمى بها القوم، وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله فيهم إنساناً إلا ودخل عينيه من هذا التراب، قال العباس بن عبد المطلب: فوالله ما هو إلا أن رماهم حتى رأيتُ حدَّهم كليلاً، وأمرهم مدبراً[1].

عباد الله! أما موقفه قبل إسلامه فيظهر جلياً في بيعة العقبة: روى ابن إسحاق وعنه أحمد وغيره من حديث كعب بن مالك في قصة العقبة الثانية قال: «..فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ نتسللُ تسلّل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشِّعبِ عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب؛ أمُّ عمارة إحدى نساءِ بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سلمة، وهي أمُّ منيع، قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومهِ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيهِ ويتوثق له، فلما جلس كان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج -قال: وكانت العربُ يُسمُّون هذا الحيّ من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسَهَا-: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناهُ من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه

---

(١) هذا السياق مجموع من عِدة روايات رواها البخاري (٤٣٣٧/ ٥٣ و ٥٤/ ٨).

ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلُوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه؛ فإنه في عزٍّ ومنعةٍ من قومهِ وبلده. قال: فقلنا لهُ: قد سمعنا ما قلت.

فتكلّم يا رسول الله، فخذ لنفسِكَ ولربكَ ما أحببتَ.

قال: فتلكم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغّبَ في الإسلام قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكمْ؟» قال: فأخذ البراءُ بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنَعُكَ مما نمنع منهُ أُزُرَنَا - كناية عن أنفسهم ونساءهم- فبايْعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروبِ، وأهل الحلقةِ، ورثناها كابر عن كابر.

قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود-؛ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك اللهُ أن ترجع إلى قومِك وتدعنا؟ قال: فتبسّمَ رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدمُ الدمُ، والهدمُ الهدمُ، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالتُم».

قال ابن هشام: ويقال الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وهناك قامت دولة الإسلام التي فتحت الدنيا من مشرقها إلى مغربها[١].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الآنف» (٣/ ١٨٩).

الخطبة السادسة والعشرون

عبد الله بنُ عباسٍ رضي الله عنهما

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

هؤلاء الرجال الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ولنصرة دينه؛ هم أصحابُ محمد ﷺ، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق، حبهم دينٌ وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجال وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو عبد الله بنُ العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منافٍ، القرشي، الهاشمي، أبو العباس ابن عباس، الذي ملك المجد من أطرافه، فقد اجتمع لهُ مجدُ الصُّحبة؛ فهو من أصحاب رسول الله ﷺ، ومجد القرابة؛ فهو ابن عمِّ نبيِّ الله ﷺ. ومجد العلم؛ فهو حبر الأمة، وترجمان القرآن، ومجد التُّقى؛ فقد كان صوَّاماً بالنهار، قوّاماً بالليل مستغفراً بالأسحار، بكّاءً من خشية الله تعالى، ومجد الجمال، فكان وسيماً جميلاً، مديد القامة، مهيباً، كامل العقل، زكيّ النفس، من رجال الكمال.

ولد ابن عباس رضي الله عنهما قبل الهجرة بثلاث سنوات.

ولما تُوفيَّ الرسول ﷺ، كان له ثلاث عشرة سنة فقط؛ ومع ذلك فقد حفظ للمسلمين عن نبيهم ألفاً وستمائةٍ وستين حديثاً.

عباد الله! وحديثنا عن ابن عباس رضي الله عنهما سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: دعاءُ النبي ﷺ له بالعلم والحكمة والفقه في الدين:

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما-: ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: «اللهم علِّمْهُ الحكمة»[1]. وقال ﷺ: «اللهم علِّمه الكتاب»[2].

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: ضمني رسول الله ﷺ إليه وقال: «اللهم علِّمه الحكمة وتأويل الكتاب»[3].

وقال ﷺ «اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل»[4].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٥).

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٦٦)، والحديث صححه الألباني فيه، وفي «الروض» (٢٧٣)، و«مختصر الشمائل» (١٩٦).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٥)، والضياء في«المختارة» (١٠/ ١٦٩)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٦)، و«مسند الربيع» (ص٣١٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٨٣)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١١٣)، وفي «الصغير» (١/ ٣٢٧)، وفي «الكبير» (١٠/ ٢٦٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٦٦).

وقال ابن عباس ﷺ: مسح النبيُّ ﷺ رأسي ودعا لي بالحكمة[١].

وقال ابن عباس ﷺ دعا رسول الله ﷺ الله لي أن يزدني علماً وفهماً[٢].

عباد الله! ولقد استجاب اللهُ دعوة رسوله ﷺ في ابن عباسٍ ﷺ فلقد كان إماماً في العلم، وَعَلَماً من أعلام الأمة المحمدية الذين نشر اللهُ بهم أحكام دين الإسلام؛ من أوامرٍ، ونواه، وحلال، وحرام. فإذا سألت أحداً من المسلمين -صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى- مَنْ حبر الأمة؟ لقال: ابن عباس. مَنْ ترجمان القرآن؟ لقال: ابن عباس.

ثانياً: من مناقبه ﷺ كثرة ملازمته لرسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

• إذا همَّ رسول الله ﷺ أن يتوضأ كان ابن عباسٍ بجواره، يُعِدُّ له ماءَ وُضُوئِهِ.

يقول ابن عباس ﷺ دخل النبيُّ ﷺ الخلاء فوضعتُ له وَضُوءً، -وهو الماءُ الذي يتوضأ به-. فقال ﷺ: «من وضع هذا؟» فأُخبر، فقال ﷺ: «اللهمَّ فقهه في الدِّين»[٣].

ويقول ابن عباس ﷺ: كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة -خالته- فوضعتُ له وضوءاً من الليل. قالت ميمونة: يا رسول الله وضع لك هذا عبدُ الله بن عباس. فقال ﷺ: «اللهم فقهه في الدين، وعلِّمه التأويل»[٤].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢١٤)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ٣٦٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٨٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٣٣٠).

(٣) رواه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٤) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٥٣١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٧٢)، و«الصغير» (١/ ٣٢٧)، و«الكبير» (١٠/ ٢٦٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٨)،

=

• وإذا وقف النبيُّ ﷺ للصلاة في جوف الليل كان ابن عباس ﷺ هناك خلفه يُصلي.

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما-: أتيتُ رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرَّني فجعلني حذاءه -أي: بجواره- فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خَنَسْتُ -أي: تأخرت- فصلى رسول الله ﷺ، فلما انصرف قال لي: «ما شأنك؟ أجعلك حذائي فتخنس» فقلتُ: يا رسول الله أو ينبغي لأحدٍ أن يُصلِّي حذاءك وأنت رسول الله، الذي أعطاك الله؟ قال ابن عباس: فأعجبتُه؛ فدعا اللهَ لي أن يزيدني علماً وفهماً[1].

عن ابن عباس: أنه أتى خالتهُ ميمونة زوج النبي ﷺ قال: فقام رسول الله ﷺ من الليل إلى السقايةِ، فتوضأ ثم قامَ فصلَّى، قال: وقمت فتوضأتُ ثم قمتُ عن يساره. قال: فأخذ بيدي فأدارني مِن خلفِهِ حتى أقامني عن يمينه[2]. الشاهد أنَّ ابن عباس - وهو طفل- كان يصلي خلف رسول الله ﷺ، ويتعلم منه.

• وإذا عزم النبيُّ ﷺ على السفر كان ابن عباسٍ رديفه -أي: خلفه- على الدابة.

=وفي«الفضائل» (٢/ ٩٥٦)، والحاكم في «المستدرك»(٣/ ٦١٥)، وقال:حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) رواه الإمام أحمد «مسنده» (١/ ٣٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٩٨)، وأبونعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٩) بهذا اللفظ وأصله في مسلم (٧٦٣).

يقول ابن عباس ﷺ: كنت خلف النبيّ ﷺ -أي: على دابته- يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدهُ تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[١].

• وإذا شرب النبي ﷺ كان ابن عباس عن يمينه.

عن ابن عباس: شرب النبي ﷺ، وابن عباس عن يمينه، وخالد بن الوليد عن شماله، فقال له النبي ﷺ: «الشربةُ لك، وإن شئت آثرت بها خالِداً».

قال -أي: ابن عباس-: ما أُوثِرُ على سُؤرِ رسول الله ﷺ أحداً[٢].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ تقديم عمر بن الخطاب له، وثناؤه عليه:

يقول ابن عباس ﷺ: كان عمر يُدخِلُني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجَد في نفسه؛ فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مِثلُه؟ فقال عمرُ: إنهُ مِن حيث علِمتُم. فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رئيت -أي: ما ظننت- أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُريهم.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٢٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣١٦)، وفي «الكبير» (١١/ ١٢٣)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٩٣)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ٤٣٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي «المشكاة» (٥٣٠٢)، و«ظلال الجنة» (٣١٦-٣١٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٥٥)، و«مصنف عبدالرزاق» (٤/ ٥١١)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٢٠)، و«مسند الحميدي» (١/ ٢٢٥)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي»

قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، فقال بعضُهُم: أُمرنا نحمد الله ونستغفرهُ إذا نُصِرْنَا وفُتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمهُ له.

قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ وذلك علامة أجَلِكَ؛ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. فقال عمر: ما أعلمُ منها إلا ما تقول[1].

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان عمر يدعو ابن عباس ويُقربهُ ويقول: إني رأيتُ رسول الله ﷺ دعاك، فمسَحَ رأسك، وقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»[2].

ويقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أحضرُ فهماً، ولا ألب لُباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلةٌ، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدرٍ من المهاجرين والأنصار[3].

ويقول طلحة بن عبيد الله: لقد أُعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يُقدمُ عليه أحدٌ[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦).

(٢) «فتح الباري» (١/ ١٧٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٤٧)، «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٣٦٩).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٤٧)، «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٣٧٠).

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ ثناءُ الصحابة والتابعين عليه.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس[١].

وقال ابن عمر ﷺ: «ابنُ عباسٍ أعلمُ الناسِ بما أنزل الله على محمد ﷺ»[٢].

وقال محمد بنُ عليٍّ -يوم مات ابن عباس-: «اليوم مات ربانيّ هذه الأمة»[٣].

وقال مجاهد: كان ابن عباسٍ سمى البحر لكثرة علمه[٤].

وقال رافع بن خُديجُ: مات اليوم من كان يحتاج إليه مَنْ بين المشرق والمغرب[٥].

وقال مسروق: كنتُ إذا رأيت ابن عباسٍ قلتُ: أجمل الناس، فإذا نطق قلتُ: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلمُ الناس[٦].

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٨٣)، و«فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٨٤٥).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٤٤)، «البداية والنهاية» (٨/ ٣٢٣).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٨٣)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ٢٨٨)، و«فضائل الصحابة لابن حنبل» (٢/ ٩٥١).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٦)، و«الجرح والتعديل» (٥/ ١١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٠)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (٢/ ٩٧٧).

(٥) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٣٧٢).

(٨٨') «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥١)، و«الاستيعاب» (٣/ ٩٣٥)، و«الإصابة» (٤/ ١٤٩).

عباد الله! أما مواقفه فهي كثيرة جداً:

الموقف الأول: في حرصه على طلب العلم، واحترام العلماء:

يقول ابن عباسٍ ﷺ: لما تُوفي رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: يا فلان هلُمَّ فلنسأل أصحاب النبيِّ ﷺ؛ فإنهم اليومَ كثيرٌ، فقال -أي: الأنصاريُّ-: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس مِن أصحاب النبيِّ ﷺ مَن ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائلٌ -أي: في وقت القيلولة- فأتوسدُ ردائي على بابه فتسفى الريحُ على وجهي التراب -أي: تذروه وتحمله- فيخرج فيراني، فيقول: يا ابنَ عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك. فأسأله عن الحديث. قال -أي: ابن عباس-: فبقي الرجلُ -أي:الأنصاريُّ- حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ. فقال: كان هذا الفتى أعقل مني[1].

وها هو زيد بن ثابت كاتب الوحي، ورأس أهل المدينة في القضاء والفقه والقراءة والفرائض يهمُّ بِرُكوب دابّته. فيقف ابن عباس ﷺ بين يديه وقفة العبد بين يدي مولاهُ، ويمسك له رِكابَهُ، ويأخذ بزمام دابته. فقال له زيدٌ: دع عنك يا ابن عمِّ رسول الله.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٥٠)، والإمام أحمد في «الفضائل» (٢/ ٩٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨٨) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري».

فقال ابنُ عباس: هكذا أُمرنـا أن نفعـلَ بعُلمائِنـا. فقـال لـه زيـدٌ: أرني يـدك، فأخرج له ابن عباس يده، فمال عليها وقبلّها وقال: هكذا أُمِرنـا أن نفعـل بأهـل بيت نبينا(١).

الموقف الثاني: مُناقشتهُ بالحكمة للخوارج، وأثرُها الطيب في رجوع أكثرهم إلى الحق.

عباد الله! بعد قضية التحكيم التي كانت بين عليٍّ بن أبي طالـبٍ ﷺ ومعاويـة ﷺ، تعلق الخوارج ببعض الشبهات الباطلة، فذهب إلـيهم عبـد الله بـن عبـاس ﷺ وردّها عليهم – فرجع من رجع منهم– وبقي من بقي منهم في ضلاله.

عباد الله! تعالوا بنا إلى ابن عباس ﷺ يخبرنا الخبر:

يقول ابن عباس – رضي الله عنهما-: لما خرجت الحرورية -وهم الخـوارج- اعتزلوا في دارهم وكانوا سـتة آلافٍ. فقلـتُ لعـليٍّ ﷺ: يـا أمـير المـؤمنين أبـردْ بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم؛ فأُكلمهم. قال: إني أخاف عليك، قلتُ: كلا. قال: فقمتُ ودخلتُ عليهم في نصف النهار وهم قائلون، فـسلمتُ علـيهم. فقـالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟

قلتُ لهم: أتيتكُم من عند أصحاب رسـول الله ﷺ وصـهره، وعلـيهم نـزل القرآن، وهـم أعلمُ بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ؛ لأُبلغكـم مـا يقولـون

---

(١) «كنز العمال» رقم (٣٧٠٦١).

وتُخبرونِ بما تقولون. قلت: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلت: ما هنَّ؟

قالوا: أما إحداهن فإنه حكَّمَ الرجالَ في أمر الله؛ وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما شأن الرجال والحكم؟ فقلت: هذه واحدةٌ، قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل، ولم يسبِ، ولم يغنم، فإن كانوا كفاراً سَلَبَهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم؟ قلتُ: هذه اثنان، فما الثالثة.

قالوا: إنه محى نفسه عن أمير المؤمنين فهو أميرُ الكافرين. قلت: هل عندكم شيءٌ غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلتُ: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله، ومن سنة نبيه ﷺ ما يرُدُّ قولكم، أترضون؟ قالوا: نعم.

قلتُ: أما قولكم حكَّم الرجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيّر الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم؛ فأمر اللهُ الرجال أن يحكموا فيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الآية فأنشدتُكم بالله تعالى أحُكم الرجال في أرنب، ونحوهما من الصيد أفضل، أم حكمُهم في دمائهم وصلاح ذاتِ بينهم؟ وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكمَ ولم يُصير ذلك إلى الرجال. قالوا: بل هذا أفضلُ.

وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ فأنشدتكم

بالله حُكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟ أخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبُون أمكم عائشة، وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها. وهي أمكُم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها. فقد كفرتم، ولئن قلتم: ليست بأمنا. فقد كفرتم، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾. فأنتم تدُورون بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرج.

قلت: فخرجتُ من هذه؟ قالوا: نعم. وأما قولكم محى اسمه من أمير المؤمنين. فأنا آتيكم بمن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبيَّ ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعليٍّ رضي الله عنه: اكتب هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله ﷺ. فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله؛ لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك، فاكتب محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: امح يا علي رسول الله، اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا عليّ، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فوالله لرسول الله ﷺ خيرٌ من عليٍّ وقد محا نفسه؛ ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة. خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم - أي على عليٍّ بن أبي طالب - فقُتِلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار[1]. نعم إنهم رجال اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٧٩)، والنسائي في «الخصائص» (١٨٥)، وفي «الكبرى» (٥/ ١٦٥-١٦٧)، وقال صاحب كتاب «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»: إسناده حسن.

الموقف الثالث: حرصُه على التمسك بسنة رسول الله ﷺ ونشرها بين الناس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّه طاف مع معاوية رضي الله عنه بالبيت، فجعل معاوية يستلمُ الأركان كُلّها، فقال له ابن عباس: لِمَ تستلم هذين الركنين، ولم يكن رسول الله ﷺ يستلمها؟ فقال معاوية: ليس شيءٌ من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. فقال معاوية: صدقت، فذكَّره بالسنة[1].

قال عبد الله بن شقيق: «خطبنا ابن عباس بالبصرة يوماً بعد العصر حتى غربُت الشمس وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال: فجاءه رجلٌ من بني تميم لا يفترُ ولا ينثني: الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس: أتُعلمني بالسنة، لا أمّ لك؟!

ثم قال: رأيتُ رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، قال عبدُ الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيءٌ. فأتيتُ أبا هريرة فسألته، فصدَّق مقالته»[2].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢١٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١٧).

(٢) رواه مسلم (٧٠٥).

السنة سفينة المتقين، السنة سفينة النجاة، من ركبها نجـا، قـال ﷺ: «عليـكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»، وقال ﷺ: «من رغـب عـن سنتي فليس مني».

اللهم فقهنا في ديننا.



الخطبة السابعة والعشرون

بلال بن رباح ﵁

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى- في عقيدته عن الصحابة ﵃: (وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى-: «قال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني، أنه قال: مَن أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق»[1].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **بلال ابن رباح** ﵁ .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ هو: بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ. يعرفه الصغير والكبير، الذكر والأنثى من أمة الإسلام.

---

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

عباد الله! وحديثنا عن بـلال بـن ربـاح ﷺ سـيكون عـن مناقبـه، ومواقفـه في الإسلام.

أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ من السابقين إلى الإسلام:

قال عمرو بن عبسة السُّلمِيُّ: كنـتُ وأنـا في الجاهليـة أظـن أنَّ النـاس عـلى ضلالةٍ، وأنهم ليسوا على شيءٍ وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجل بمكة يُخْـبرُ أخباراً، فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليه فإذا رسول الله ﷺ مُستخفياً، جُرءاءُ عليه قومه. فتلطفتُ حتى دخلتُ عليه بمكة، فقلتُ له: ما أنـت؟ - يـسأل عـن صفته لا عن ذاته - قال: «أنـا نبـيٌّ»، فقلـت: ومـا نبـيٌّ؟ قـال: «أرسـلني اللهُ»، فقلتُ: وبأيِّ شيءٍ أرسَلَكَ؟ قال: «أرسلني بصلةِ الأرحام، وكسرِ الأوثـانِ، وأن يُوحَّدَ اللهُ لا يشركُ به شيءٌ».

قلتُ له: فمن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبدٌ» -وهـذا هـو الـشاهد- قـال ومعه يومئذٍ أبو بكر وبلالٌ ممّن آمن به. فقلتُ: إن مُتَّبِعُك ..الحديث [١].

وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيتُ في الله وما يُؤذَى أحدٌ. ولقد أُخِفتُ في الله وما يخافُ أحدٌ. ولقد أتتْ عليَّ ثالثةٌ ومالي ولبلالٍ طعام يأكُلُهُ ذو كبدٍ، إلا ما وَارَى إبط بلالٍ» [٢].

---

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه (١٥١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه عليه وهو في الصحيحة (٢٢٢٢)، و«المشكاة» (٥٢٥٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول مَنْ أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سُمية، وصهيبٌ، وبلالٌ، والمقدادٌ .. الحديث(١).

ثانياً: من مناقبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بشره أنه من أهل الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال لبلالٍ عند صلاةِ الفجر: «يا بلالُ حدثني بارجى عملٍ عملتهُ في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نعليك -أي: تحريك نعليك- بين يديَّ في الجنة».

قال بلال: ما عملتُ عملاً أرجى عندي أني لم أتطهّرْ طُهوراً في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلا صليتُ بذلك الطهور ما كُتِبَ لي أن أُصلِّ(٢).

وقال ﷺ: «رأيتني دخلتُ الجنة فإذا أنا بالرُّميصاء امرأةِ أبي طلحة، وسمعتُ خشفة -أي: حركة- فقلت من هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً بفنائهِ جاريةٌ فقلتُ: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتَك. فقال عمرُ: بأبي وأمي يا رسول الله. أعليك أغار؟»(٣).

دعا رسول الله ﷺ بلالاً فقال: «يا بلالُ بم سَبقْتَني إلى الجنة؟ إني دخلتُ الجنة البارحة، فسمعتُ خشخشتك أمامي، فأتيتُ على قصرٍ من ذهبٍ مُرْبِعٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لرجلٍ من أمةِ محمدٍ. قلتُ: فأنا محمدٌ. لمن هذا القصر؟

---

(١) رواه ابن ماجه (١٥٠)، والحديث حسّنه الألباني فيه.

(٢) رواه البخاري (١٠٩٨).

(٣) رواه البخاري (٣٤٧٦).

قالوا: لرجلٍ من العرب. قلتُ: أنا عربيٌّ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ من قريش. قلتُ: فأنا قرشيٌّ، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب».

فقال بلالٌ: يا رسول الله! ما أذنتُ قطُّ إلا صليتُ ركعتين، وما أصابني حدثٌ قطُّ إلا توضأتُ عندها، فقال رسول الله ﷺ «بهذا»(١).

ثالثاً: من مناقبه ﷺ أن النبيَّ ﷺ أمره بالأذان:

يقول ابن عمر ﷺ: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون؛ فيتحينون الصلاة، ليس يُنادي لها. فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بُوقاً مثل قرن اليهود.

فقال عمر: أولا تبعثون رجُلاً ينادي بالصلاة؟

فقال رسول الله ﷺ: «يا بلالُ! قم فنادِ بالصلاة»(٢).

ويقول انس ﷺ لما كثر الناسُ قال: ذكروا أن يُعْلِموا وقت الصلاة بشيءٍ يعرفونه، فذكروا أن يُوروا ناراً، أو يضربوا ناقوساً، فأُمِرَ بلالٌ أن يشفع الأذان، وأن يُوتِرَ الإقامة»(٣).

---

(١) أخرجه بتمامه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٦٠)، والترمذي (٣٦٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٢٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٢١٣)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي».

(٢) رواه البخاري (٥٧٩)، ومسلم (٣٧٧).

(٣) رواه البخاري (٥٧٨)، ومسلم (٣٧٨).

وقال ﷺ: «إنَّ بلالاً يؤذِّنُ بليل، فكلوا واشربوا حتى يُؤذِّن ابنُ أم مكتوم»[١].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ أخبر أن الله يغضب لغضب بلال وأصحابه.

مرَّ أبو سفيان على سلمان وصُهيبٍ وبلالٍ في نفرٍ، فقالوا: والله! ما أخذت سيوف الله من عُنُقِ عدُوِّ الله مأخذها، فقال أبو بكر -أي: لهم-: أتقولون هذا لشيخ قريشٍ وسيِّدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرهُ. فقال ﷺ: «يا أبا بكر! لعلك أغضبتَهم؟ لئن كنت أغضبتَهم، لقد أغضبت ربَّك».

فأتاهم أبا بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتُكُمْ؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أُخَيَّ![٢].

خامساً: من مناقبه رضي الله عنه أن الله أنزل فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة:

يقول سعد بنُ أبي وقاص رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ ستةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبيِّ ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعودٍ، ورجل من هذيلٍ وبلالٍ، ورجلان لستُ أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع. فحدَّث نفسه. فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢][٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٢)، ومسلم (١٠٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠٤).

(٣) رواه مسلم (٢٤١٣).

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه ثناءُ الفاروق عليه:

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان عمر يقول: أبو بكر سيِّدُنا أعتق سيِّدَنا. يعني بلالاً[1].

عباد الله! أما مواقفه فمنها:

الموقف الأول: موقفه في الثبات على الدين:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّارٌ، وأمه سُمية وصهيبٌ وبلالٌ، والمقداد رضي الله عنهم.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانتْ عليه نفسُه في الله، وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة؛ وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[2].

الموقف الثاني: في غزوة بدرٍ الكبرى:

يقول عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه: كاتبتُ أُمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي بمكة -أي: يحفظني في أهلي ومالي- وأحفظُهُ في صاغيته بالمدينة. فلما

(١) رواه البخاري (٣٥٤٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٥٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٠٩)، وابن ماجه (١٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩٦)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٤٠٤)، والحديث حسّنه الألباني في «سنن ابن ماجه».

ذكرتُ «الرحمن». قال: لا أعرف الرحمن، كاتبني باسمك الذي كـان في الجاهليـة. فكاتبتُهُ «عبد عمرو»، فلما كان في يوم بـدرٍ خرجـتُ إلى جبـلٍ لأحـرزَهُ حـين نـام الناسُ، فأبصرَهُ -أي أبصر بلالٌ أمية بن خلف- بلالٌ فخرج حتى وقفا على مجلس من الأنصار.

فقال -أي بلال-: أميةُ بنُ خلف لا نجوت إن نجا أميةُ. فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا خلَّفتُ لهم ابنهُ، لأُشغلهمُ، فقتلوهُ. ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان -أي أمية- رجلاً ثقـيلاً، فلـما أدركونـا قلـتُ لـه -أي: لأمية بن خلف-: ابرُكْ فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه، فتجللوهُ بالسيوف من تحتـي حتى قتلوه وأصاب أحدُهم رجلي بسيفه. وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمِهِ[١].

فهذا بلال بن رباح الذي كان في مكة لا يُعـرف؛ ولكـن عنـدما آمـنَ واعتـز بالإسلام أعزه الله بالإسلام حياً وميتاً.

ففي حياته: كان يضرب كمثلٍ أعلى في الجهاد في سـبيل الله؛ ولـذلك لما مـات النبي ﷺ طلب من أبي بكر أن يخرج للجهاد في سبيل الله، فطلـب منـه -أي مـن بلال- أبو بكر أن يبقى عنده؛ ليؤذن كما كان يؤذن لرسول الله ﷺ، فقال له بلال؛ إن كنت اشتريتني لنفسك، فأنت وما تريد؛ وإن كنت اشتريتني وجعلتني حراً لله،

(١) رواه البخاري (٢١٧٩).

فاتركني وعملي أعبد الله -عز وجل-. وجاهد حتى خرج من هذه الدنيا، فخرج وله الذكرى الحسنة، فما أحدٌ يقول بلال، إلا وقال مؤذن رسول الله ﷺ.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه.

الخطبة الثامنة والعشرون

أبو هريرة رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون عن دينه)[1].

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ رجالٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم وسلك سبيلهم وتمسك بمنهجهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن أبغضهم وترك منهجهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم شقِيَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **أبو هريرة** ﷺ .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ هو: أبو هريرة الإمام الفقيه المجتهدُ الحافظ، صاحبُ رسول الله ﷺ سيد الحفاظ، اشتهر بين الناس بكنيته.

عباد الله! أبو هريرة ﷺ من قبيلة دَوْسٍ:

يقول أبو هريرة ﷺ قال لِيَ رسول الله ﷺ: «مِمَّن أنت؟» قلتُ: مِن دَوْسٍ، قال: «ما كنتُ أرى أن في دَوْسٍ أحداً فيه خير»(١).

يقول أبو هريرة ﷺ جاء الطفيل بنُ عمرو الدَّوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّ دوساً قد عصتْ -أي: أمرك- وأبتْ -أي: الإيمان- فادعُ الله عليهم. فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فقال الناسُ: هلكوا. فقال ﷺ: «اللهمَّ اهد دَوْساً وائت بهم، اللهمّ اهد دَوْساً وائت بهم، اللهم اهدِ دَوْساً وائت بهم»(٢).

عباد الله! وحديثنا عن أبي هريرة ﷺ سيكون عن مناقبه، ومواقفه، ومواعظه ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٣٨)، والحديث صححه الألباني فيه، وفي «الصحيحة» (٢٩٣٦).

(٢) رواه البخاري (٢٧٧٩)، ومسلم (٢٥٢٤).

أما مناقبه ﷺ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: مُلازمتُه لرسول الله ﷺ:

يقول أبو هريرة ﷺ كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ في نخلٍ لبعض أهل المدينة، فقال ﷺ: «يا أبا هريرة! هَلِكَ المُكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا -ثلاث مراتٍ: حثى بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه- وقليل ما هم».

ثم مشى ساعةً فقال: «يا أبا هريرة، ألا أدُلُّك على كنزٍ من كنوز الجنة»؟. فقلت: بلى يا رسول الله.

فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه».

ثم مشى ساعة فقال: «يا أبا هريرة، هل تدري ما حقُّ الناس على الله، وما حقُّ الله على الناس ؟».

قلتُ: الله ورسوله أعلمُ.

قال: فإنّ حق الله على الناس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإذا فعلوا ذلك فحقٌّ عليه أن لا يُعذِّبَهم»[1].

يقول أبو هريرة ﷺ: (يقولون إنّ أبا هريرة يُكثر الحديث، والله الموعد -أي: وعند الله الموعد يحاسبني إن تعمَّدتُ كذباً، ويحاسبُ من ظنَّ بي السوء-.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٩٨)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٠)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٣٠٩)، بإسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يُحدِّثون مثل أحاديثه، وإن أخواني من المهاجرين كان يشغلُهُم الصَّفقُ بالأسواق -كناية عن البيع والشراء-، وإن إخواني من الأنصار كان يشغلُهُم عمل أموالهم -أي: كانوا أصحاب زراعة في البساتين-، وكنت امرئ مسكيناً ألزمُ رسول الله ﷺ على مِلء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون.

وقال النبي ﷺ يوماً: لن يبسُط أحدٌ منكم ثوبه -حتى أقضي مقالتي هذه- ثم يجمعهُ إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً، فبسطت نِمرةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرُها حتى قضى النبي ﷺ مقالتهُ، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثهُ بالحق ما نسيتُ من مقالته تلك إلى يومي هذا. والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئاً أبداً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾)[1].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ حرصه على معرفة الخير وفعله:

قال أبو هريرة: يا رسول الله! مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولَ منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[2].

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٣).

(٢) رواه البخاري (٩٩).

ويقول أبو هريرة ﷺ: أوصاني خليلي بثلاثٍ: صوم ثلاثة أيام من كلِّ شهرٍ، وصلاة الضحى، ولا أنام إلا على وتر[١].

وقال أبو هريرة ﷺ: قلتُ: يا رسول الله! إني إذا رأيتكَ طابت نفسي وقرَّتْ عيني، فأنبئني عن أمرٍ إذا أخذتُ به دخلت الجنة.

قال: «أفشي السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقمْ بالليلِ والناس نيامٍ، ثم أدخل الجنة بسلام»[٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذُ مِنِّي خمس خِصالٍ فيعمل بهنَّ، أو يُعلِّمهنَّ من يعمل بهنَّ؟»قال: قلت: أنا يا رسول الله.

قال: «فأخذ بيدي فعدَّهُنَّ فيها» ثم قال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكُن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكُن مؤمناً، وأحِبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسك تكنُ مسلماً، ولا تُكثِر الضحك، فإن كثرة الضحِكِ تُميتُ القلب»[٣].

---

(١) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٨)، وأصله في البخاري (١١٢٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦/ ٢٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٦)، و«موارد الظمآن» (ص١٦٨)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٢٩٥) بإسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٣) رواه الترمذي (٢٣٠٥)، و«المعجم الأوسط للطبراني» (٧/ ١٢٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٣١٠)، و«مسند أبي يعلى» (١١/ ١١٣)، والحديث حسنّه الألباني في «سنن الترمذي» وفي «الصحيحة» (٩٣٠).

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ حرصه على طلب العلم:

يقول أبو هريرة ﷺ: قلتُ: يا رسول الله! أسمعُ منك حديثاً كثيراً أنساهُ قال ﷺ: «ابسط رداءَك» فبسطته قال: فغرف بيده ثم قال: «ضمه». فضممتهُ فما نسيتُ شيئاً بعده(١).

ويقول أبو هريرة ﷺ: ما من أصحابِ النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتبُ ولا أكتب(٢).

ويقول أبو هريرة ﷺ: أتيتُ النبي ﷺ فبسطت ثوبي عنده، ثمَّ أخذه فجمعه على قلبي، قال: فما نسيتُ بعده(٣).

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

الموقف الأول: موقفه ﷺ مع أمه:

قال أبو هريرة ﷺ: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتُها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة.

---

(١) رواه البخاري (١١٩).

(٢) رواه البخاري (١١٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٣٤) وفيه قال الألباني: حديث حسن الإسناد صحيحه.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أمَّ أبي هريرة» فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ. فلما جئت فصِرْتُ إلى الباب فإذا هو مجافٍ، فَسَمِعَتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة؛ وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأتيتهُ وأنا أبكي من الفرح قال: قلتُ: يا رسول الله أبشر، قد استجاب اللهُ دعوتك، وهدى أمَّ أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً. قال: قلتُ: يا رسول الله! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب عُبيدك هذا - يعني أبي هريرة- وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين». فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمعُ بي ولا يراني إلا أحبني[1].

الموقف الثاني: موقفه ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن أبي هريرة ﷺ أنه مرَّ بقوم يتوضَّؤون فقال: أسبغوا الوضوء، فإني سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «ويلٌ للأعقاب من النارِ»[2].

عن عمارة، عن أبي زُرْعة، قال: دخلتُ مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم، فرأى فيها تصاوير، وهي تُبْنى، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله

(١) رواه مسلم (٢٤٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٤٢).

عز وجل: ومن أظلمُ ممن ذهب يخلُقُ خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذَرَّةً، أو فليخلُقـوا حبَّةً، أو ليخلِقُوا شعيرة»[١] ثم دعا بوضوءٍ، فتوضأ وغسل ذِراعيـه حتـى جـاوز المرفقين، فلما غسل رجليه، جاوز الكعبين إلى الساقين، فقلتُ: مـا هـذا؟ فقـال: هذا مبلغ الحلية»[٢].

استقبل أبو هريرة امرأةً مُتطيِّبة، فقال: أين تُريـدينَ يـا أمـةَ الجَبَّـار؟ فقالـت: المسجد. فقال: وله تطيَّبتِ؟ قالت: نعم.

قال أبو هريرة: قال ﷺ: «أيُّما امرأةٍ خرجت من بيتها متطيِّبةً تُريـد المـسجد، لم يقبل اللهُ عز وجل لها صلاةً؛ حتى ترجِعَ فتغتسِلَ منه غُسْلَها مِن الجنابة»[٣].

أما مواعظه فمنها:

كان أبو هريرة يتعوذ في سجوده أن يزني أو يسرق، أو يكفر أو يعمـل كبـيرة، فقيل له: أتخاف ذلك؟ فقال: ما يؤمنني وإبليس حيٌّ، ومصرِّف القلوب يصرِّفها كيف يشاء[٤]؟!

قال رجل لأبي هريرة ﷺ: ما التقوى؟

---

(١) رواه مسلم (٢١١١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣٢) كاملاً.

(٣) «مسند الإمـام أحمـد» (٢/ ٢٤٦)، و«مـسند الحميـدي» (٢/ ٤٢٩)، و«مـسند عبـد بـن حميـد» (ص٤٢٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٠).

قال: أخذت طريقاً ذا شوك؟

قال: نعم.

قال: فكيف صنعت؟

قال: إذا رأيت الشوك عدلتُ عنه، أو جاوزتهُ أو قصرتُ عنه.

قال: ذاك التقوى[١].

كان أبو هريرة ﷺ إذا استثقل رجلاً قال: اللهم اغفر له وأرحنا منه[٢].

بكى أبو هريرة ﷺ في مرضه. فقيل له: ما يُبكيك؟

فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكني أبكي على بُعْدِ سفري، وقلة زادي، وأني أصبحتُ في صعودٍ مهبط على جنةٍ ونارٍ، لا أدري إلى أيهما يؤخذ بي[٣].

قال أبو هريرة ﷺ: مثل علمٍ لا ينفع، كمثلِ كنزٍ لا يُنفق في سبيل الله[٤].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) «الزهد الكبير للبيهقي» برقم (٩٦٣).

(٢) «البيان والتبيين» (١/ ٤٠٣).

(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٢٥٣).

(٤) «سنن الدارمي» (١/ ١٤٨)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ١٨٤)، و«مجمع الزوائد» للهيثمي وقال: رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون، والحديث مرفوع.



الخطبة التاسعة والعشرون

معاوية بن أبي سفيان ﭬ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

عباد الله! وهؤلاء الرجال الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه. هم أصحاب محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، يقول ابن عباس ﭭ: الذين اصطفى؛ هم أصحاب محمد ﷺ.

يقول ابن مسعود ﭬ: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد؛ فاصطفاهُ لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه»[(١)].

أمة الإسلام! أصحاب محمد ﷺ لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافق.

يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله تعالى- في عقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرط في حب أحدٍ منهم، ولا

---

(١) تقدم تخريجه.

نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نـذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان)[1].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شـاء الله تعـالى- مـع رجـل مـن هـؤلاء الرجال، وصحابي من الصحب الكرام .. أتـدرون مـن هـو يـا عبـاد الله؟ إنـه: **معاوية بن أبي سفيان** - رضي الله عنهما-.

وقررنا الكلام عن معاوية ﷺ في هذا اليوم بالذات؛ لأنَّ من واجبنا الشرعي أن ندافع عن أصحاب رسول الله ﷺ خصوصاً وقد رأينا قبل أيام سفيهاً جاهلاً قد خرج على القنوات الفـضائية،و تجـرأ عـلى أصـحاب رسـول الله ﷺ، فكفـرَ معاوية، وكَفّرَ علماء الأمة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

عباد الله! ولا تتعجبـوا أن يخـرج مثـل هـذا الـسفيه الجاهـل عـبر القنـوات الفضائية، أو عبر الأعلام الذي سُخِّرَ في حرب الإسلام، فقد أخبرنـا النبـيُّ ﷺ أنه سيخرج في آخر الزمان مثل هـذا الـسفيه الجاهـل، يقـول ﷺ: «سـيأتي عـلى الناس سنوات خداعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُـؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»، قيـل: ومـا الرويبـضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[2].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

(٢) «سـنن ابـن ماجـه» (٤٠٣٦)، والحـديث صـححه الألبـاني فيـه، وفي «السلـسلة الـصحيحة» (١٨٨٧).

معاوية بن أبي سفيان .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟! هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشيُّ، الأموي، المكيُّ، أبو عبد الرحمن، أمير المؤمنين، والده أبو سفيان بنُ حرب رضي الله عنه.

وأمه هي هندُ بنتُ عتبة.

وأخته هي أمُ حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، كان معاوية رضي الله عنه طويلاً أبيض، جميلاً، إذا ضحك انقلبت شفتُه العليا، وكان رضي الله عنه أميراً عشرين سنة، وخليفة عشرين سنة.

عباد الله! وحديثنا عن معاوية رضي الله عنه سيكون عن مناقبه، ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه رضي الله عنه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه كان رضي الله عنه كاتباً لرسول الله ﷺ، يكتب الوحي وغيره:

يقول عبد الله بن عمرو: (كان معاوية يكتب لرسول الله ﷺ)[1].

ويقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما «كنت ألعبُ مع الغلمان، فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «اذهبْ فادعُ لي معاوية». قال: وكان كاتبه -وهذا هو الشاهد- فسعيت فأتيت معاوية، فقلت: أجب نبيَّ الله ﷺ فإنه على حاجة»[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٦٥).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢٩١).

ثانياً: من مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا له:

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «اللهم! علّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب»[1].

وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية رضي الله عنه «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به»[2].

عن أبي إدريس الخولاني قال: لما عزلَ عمر بن الخطاب عُمير بن سعد عن حمصٍ ولّى معاوية، فقال الناس: عزل عميراً وَوَلى معاوية!؟ فقال عُمير: لا تذكروا معاوية إلا بخير؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ اهدِ به»[3].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان كثير البكاء من خشية الله:

دخل رجلٌ على معاوية رضي الله عنه فأخبره بحديث سمعه من أبي هريرة رضي الله عنه، يقول أبو هريرة رضي الله عنه حدثني رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة،

(١) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ١٩٢)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٨/ ٢٥١)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» برقم (١٩٣٦).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٨٤٢)، و«المعجم الأوسط» (١/ ٢٠٥)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢١٦)، و«مسند الشاميين» (١/ ١٩٠)، و«الآحاد والمثاني» (٢/ ٣٥٨)، و«السنة للخلال» (٢/ ٤٥٠) والحديث صححه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي ،وفي «المشكاة» (٦٢٣)، وفي «الصحيحة» (١٩٦٩).

(٣) «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ٣٢٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٤٣)، وقال عنه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي»: صحيح بما قبله.

ينزل إلى العباد، ليقضي بينهم وكل أمةٍ جاثية، فأول مَن يُدعى به، رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثيرُ المال، فيقول الله عز وجل للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلتُ على رسولي؟

قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما علمت؟

قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار.

فيقول الله -عز وجل- له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلانٌ قارئٌ، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله -عز وجل-: ألم أُوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحدٍ؟ قال: بلى يا ربِّ. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟

قال: كنت أصل الرَّحم، وأتصدق.

فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلانٌ جواد، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قُتِلَ في سبيل الله، فيقول الله له: فبماذا قُتلت؟ فيقول: أي ربِّ! أُمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلتُ حتى قُتلت.

فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلانٌ جريءٌ، فقد قيل ذلك».

يقول أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: «يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعرُ بهم النارُ يوم القيامة».

فقال معاوية ﷺ بعدما سمع الحديث: قد فُعِل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى ﷺ بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالكٌ، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ. ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾[1] [هود: ١٥-١٦].

رابعاً: من مناقبه ﷺ أنه كان حريصاً على وعظ الناس وتذكيرهم بما سَمِعَ من رسول الله ﷺ: عن محمد بن كعب القُرظي، قال: قال معاوية على المنبر: «اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ، من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ على هذا المنبر»[2].

عن معبد الجُهني قال: كان معاوية قلما يُحدِّثُ عن النبي ﷺ قال: فكان قلَّما يكادُ أن يدع يوم الجمعة هؤلاء الكلمات أن يُحدِّث بهن عن رسول الله ﷺ يقول: «من يُرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين، وإن هذا المال حلو خضرٌ، فمن يأخذهُ بحقه يُبارك له فيه، وإياكم والتمادح فإنه الذبح»[3].

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٣٨٢)، و«صحيح ابن حبان» (٢/ ١٣٨)، و«موارد الظمآن» (ص٦١٩)، و الحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي» وفي التعليق على ابن خزيمة (٢٤٨٢).

(٢) مسند أحمد» (٤/ ٩٢)، والحديث صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٩٢) والحديث إسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

حدثنا عليُّ بن إسحاق، أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثني أبو عبد ربه قال: سمعتُ معاوية يقول على هذا المنبر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن ما بقي من الدنيا بلاءٌ وفتنةٌ، وإنما مثلُ عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاهُ، طاب أسفله، وإذا خبُث أعلاهُ، خبث أسفله»[1]. يشير إلى حسن الخاتمة، وسوء الخاتمة.

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان حريصاً على تعليم المسلمين سنة رسول الله ﷺ:

حدثنا يحيى، عن محمد بن عمرو قال: حدثني أبي، عن جدِّي، قال: كنا عند معاوية، فقال المؤذِّن: الله أكبر، الله أكبرُ، فقال معاوية: «الله أكبر الله أكبر» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال: «أشهد أن محمداً رسول الله» فقال: حيَّ على الصلاة، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقال: حيّ على الفلاح، فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقال: الله أكبر، الله أكبر. فقال: «الله أكبر، الله أكبر» فقال: لا إله إلا الله، قال: «لا إله إلا الله». قال: هكذا كان رسول الله ﷺ يقول -أو نبيكم- إذا أذن المؤذِّن[2].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٢/ ١١٨)، و«المعجم الكبير للطبراني» (١٩/ ٣٦٨)، و«مسند الشهاب» (٢/ ١٩٧)، و«مسند أحمد» (٤/ ٩٤) والحديث إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٢) «المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ٣٢٢)، و«مسند أحمد» (٤/ ٩٨) والحديث صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

حدثنا عليُّ بن بحرٍ، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا عبد الله بن العلاء عن أبي الأزهر، عن معاوية، أنه ذكرَ لهم وُضُوءَ رسول الله ﷺ، وأنه مسح رأسه بغرفةٍ من ماءٍ حتى يقطر الماء من رأسه أو كاد يقطرُ، وأنه أراهم وضوءَ رسول الله ﷺ، فلما بلغ مسح رأسه وضع كفيه على مُقدَّم رأسه، ثُم مرَّ بهما حتى بلغ القفا، ثم ردّهما حتى بلغ المكان الذي بدأ منه[1].

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزُّهري، قال: حدثني حميد بن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع معاوية يخطبُ بالمدينة، يقول: يا أهل المدينة، أين عُلماؤكم؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «هذا يوم عاشوراء، ولم يُفرض علينا صيامه، فمن شاء منكم أن يصوم فليصُم، فإني صائم». فصام الناس[2]. يبين النبي ﷺ أن صيام عاشوراء سنة مستحبة، وليس بفريضة.

حدثنا يونس، حدثنا ليث -يعني ابن سعد- عن محمدٍ -يعني ابن عجلان- عن محمد بن يوسف مولى عثمان، عن أبيه يوسف عن معاوية بن أبي سفيان: أنه صلّى أمَامَهم فقام في الصلاة وعليه جلوسٌ -أي: نسي التشهد الأوسط- فسبّح الناس، فتمّ على قيامه، ثم سجد بنا سجدتين وهو جالس بعد أن أتم الصلاة ثم قعد على المنبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نسيَ من صلاته شيئاً فليسجد مثل هاتين السجدتين»[3].

---

(١) «مسند الشاميين» (١/ ٤٥٠)، «مسند أحمد» (٤/ ٩٤) والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

(٢) «مصنف عبدالرزاق» (٤/ ٢٨٦).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥٩٤)، وفي «المجتبى» (١٢٦٠)، و«مسند أحمد» (٤/ ١٠٠)، والحديث ضعّفه الألباني في تعليقه على «سنن النسائي»، كما ذكره في ضعيف أبي داود (١٩١).

عباد الله! أما مواقفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: في نهيه ﷺ الناس أن يقوموا له:

حدثنا إسماعيل، حدثنا حبيب بن الشهيد، عن أبي مجْلَز أن معاوية دخلَ بيتاً فيه ابن عامر وابن الزبير، فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير، فقال معاوية: اجلس، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّهُ أن يمثُلَ له العباد قياماً، فليتبوأ بيتاً في النار»[1]. - نهاه عن القيام للقادم- وكان الصحابة ﷺ لا يقومون إذا دخل عليهم رسول الله؛ وهو أحب الناس إليهم، بل كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم.

ثانياً: في إنكاره ﷺ على من صلى السنة مباشرة بعد الفريضة بدون أن يفصل بينهما بذكر أو كلام.

حدثنا عبد الرزاق وابن بكر، قالا: أخبرنا ابن جُريج، قال: أخبرني عمر ابن عطاء بن أبي الخوار، أن نافع بن جبير أرسله إلى السائب بن يزيد ابن أخت نمرٍ يسأله عن شيء رآه منه معاوية في الصلاة فقال: نعم، صليتُ معه الجمعة في المقصورة، فلمَّا سلم قمتُ من مقامي، فصليت، فلما دخل أرسل إليَّ، فقال: لا تعُدْ لِمَا فعلت إذا صليت الجمعة، فلا تَصِلَها بصلاةٍ حتى تتكلم أو تخرج، فإن نبيَّ الله ﷺ أمر بذلك، لا تُوصلُ صلاةٌ بصلاة حتى تخرُجَ أو تتكلم[2].

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٩٣) بإسناد صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه مسلم (٨٨٣).

ثالثاً: في إنكاره ﷺ -على بعض الجهال- إطالة شعر الناصية:

حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهريِّ، عن حُميد بن عبد الرحمن؛ أنه رأى معاوية يخطب على المنبر، وفي يده قُصَّةٌ من شعْرٍ، قال: فسمعته يقول: أين عُلماؤكم يا أهل المدينة؟ سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه، وقال: «إنما عُذِّب بنو إسرائيل حين اتخذتْ هذه نساؤهم»[١].

عباد الله! هذا هو معاوية ﷺ. ثم بعد ذلك يأتي سفيه جاهل يسبه؟! وهو من أصحاب رسول الله ﷺ. ولقد قال الرسول ﷺ: «لا تسبوا أصحابي»[٢]. وفي رواية لمسلم «لا تسبوا أحداً من أصحابي»[٣].

ونقول أيضاً لهذا السفيه الجاهل أبشر بلعنة الله؛ فإن النبي ﷺ يقول: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٤]، وقال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا[٥] -أي: ما وقع بين معاوية وعليٍّ فأمسكوا-».

وأنت أيها الجاهل السفيه تطلق لسانك في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين؟!

عباد الله! أما نحن فعقيدتنا هي عقيدة أهل السنة والجماعة فيما وقع بين الصحابة فنقول: إن ما جاء من الأخبار فيما وقع بين معاوية وعليّ معظمها كذب

(١) رواه البخاري (٥٥٨٨)، ومسلم (٢١٢٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٣) رواه مسلم (٢٥٤١).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

وافتراء اختلقه المنافقون والضُلال، وما صح فيها وقع بين الصحابة من الأخبار فهم فيه متأولون مجتهدون مغفور لهم. فنقول -رضي الله عنهم جميعاً- وكما أننا نقول رضي الله عن أبي بكر، ورضي الله عن عمر، ورضي الله عن عثمان، ورضي الله عن علي، كذلك نقول رضي الله عن معاوية، -رضي الله عنهم أجمعين-. لأن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان والله أخبرنا في كتابه فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [الحشر:٨-١٠].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا بصحابة رسول الله مع نبينا ﷺ في جنات النعيم.



الخطبة الثلاثون

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

عباد الله! قال الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. هؤلاء الرجال هم أصحابُ محمد ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، ولنصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

أصحاب محمد ﷺ رجالٌ، من أحبهم وسلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

أصحاب محمد ﷺ رجالٌ، من أبغضهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٌ من هؤلاء الرجال، وصحابي من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ هو الإمام الحبرُ، فقيه الأمة، أبوعبد الرحمن الهُذَليُّ المكيُّ المهاجريُّ البدريُّ، كان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً، شديد الأدمة، وكان لطيفاً فطناً. وكان رضي الله عنه يعرف بأمِّه، فيقال له: ابن أُمِّ عبدٍ.

عباد الله! وحديثنا عن عبد الله بن مسعود ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبهُ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ من السابقين الأولين إلى الإسلام:

يقول ابن مسعود ﷺ: (لقد رأيتُني سادسَ ستةٍ؛ ما على الأرض مسلمٌ غيرنا)[1].

ثانياً: من مناقبه ﷺ قربه من رسول الله ﷺ ومجاورتُه له:

يقول أبو موسى الأشعري ﷺ: (قدمْتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينا ما نرى إلا أنَّ عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ؛ لِمَا نرى من دُخولهِ ودخول أمِّهِ على النبي ﷺ)[2].

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قلنا لحذيفة بن اليمان: أنبئنا برجلٍ قريب الهدي والسمت من رسول الله ﷺ؛ نأخذ عنه؟ فقال: ما أعرفُ أقربَ سمتاً وهدياً ودَلاً برسول الله ﷺ؛ من ابن أُمِّ عبدٍ حتى يواريه جدارُ بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أنَّ ابن أُمِّ عبدٍ من أقربهم إلى الله وسيلة[3].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٣٧)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٥٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ١٨٧)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ٦٥)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩٠١).

(٢) رواه البخاري (٣٥٥٢)، ومسلم (٢٤٦٠).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٣٨)، و«مسند أحمد» (٥/ ٣٩٥)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩٠٢).

ويقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «إِذْنُكَ علَيَّ -أي: في الدخول عليَّ- أن يُرفع الحجابُ وأنْ تستمع سِوادي -أي سري- حتى أنهاكَ»[١].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «أقرأ عليَّ» فقلتُ يا رسول الله أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟ قال ﷺ: «نعم، إني أُحبُّ أن أسمعه من غيري». فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال: «حَسْبُكَ الآن»، فإذا عيناه تذرفان[٢].

ولما مات ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض يُثنون على ابن مسعود: (لقد كان يُؤْذَنُ له إذا حُجبْنا، ويشهدُ إذا غِبنا)[٣].

وجاء رجلٌ من أهل الكوفة إلى أبي هريرة رضي الله عنه يقولُ له: جئتُ ألتمسُ الخير وأطلبُه. فقال له أبو هريرة: أليس فيكم سعدُ بنُ مالكٍ مجابَ الدعوة. وابن مسعود صاحب طَهُور رسول الله ﷺ ونعليه[٤].

ثالثاً: من مناقبه رضي الله عنه بشارات النبي ﷺ له:

عن زرٍّ بن حُبيشٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنّه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريحُ تكفَؤُهُ، فضحك القومُ منه، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٩).

(٢) رواه البخاري (٤٣٠٦)، ومسلم (٨٠٠).

(٣) رواه مسلم (٢٤٦١).

(٤) «سنن الترمذي» (٣٨١١)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٤٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي».

«مِمَّ تضحكون ؟» قالوا: يا نبيّ الله! من دقةِ ساقيهِ، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لهُما أثقل من الميزان من أُحدُ»(١).

يقول ابن مسعود ﷺ لما نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟﴾ [المائدة:٩٣]. إلى آخر الآية. قال لِيَ رسول الله ﷺ: «قِيل لي: أنت منهم»(٢).

وعن زرٍّ بن حبيشٍ عن ابن مسعود. قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو بين أبي بكر وعمر، وإذا ابنُ مسعود يُصلِّي، وإذا هو يقرأ النساء فانتهى إلى رأس المئة، فجعل ابن مسعود يدعو وهو قائم يُصلِّي. فقال النبي ﷺ: «اسأل تُعطه، اسأل تُعطه».

ثم قال: «من سرَّهُ أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزِلَ، فليقرأهُ بقراءة ابن أُمِّ عبدٍ». فلما أصبح غدا إليه أبو بكرٍ ﷺ ليبشرَهُ، وقال له: ما سألتَ الله البارحة؟

قال ابن مسعود: قلت: اللهمَّ إني أسألُك إيماناً لا يرتدُّ، ونعيماً لا ينفُذ، ومرافقة محمدٍ في أعلى جنة الخلد. ثم جاء عمر ﷺ فقيل له: إنَّ أبا بكر قد سبقكَ. قال عمر: يرحم الله أبا بكر، ما سابقته إلى خير قطّ إلا سبقني إليه(٣).

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٩)، و«مسند أحمد» (١/ ٤٢٠).

(٢) رواه مسلم (٢٤٥٩).

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٤٤٥)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٢٦).

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه نزل فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة:

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كُنا مع النبي ﷺ ستةُ نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنتُ أنا وابن مسعودٍ، ورجل من هذيل، وبلال ورجلان لستُ أسميهما، فوقع في نفسِ رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1].

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه حفظ علماً كثيراً للأمة الإسلامية من رسول الله ﷺ:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلتْ سورة من كتاب الله؛ إلا أنا أعلم أين أنزلتْ، ولا أنزلت آيةٌ من كتاب الله؛ إلا أنا أعلمُ فيمن أُنزلت، ولو أعلمُ أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغُهُ الإبل، لركبتُ إليه)[2].

يقول شقيق بن سلمة: (خطبنا ابن مسعودٍ فقال: والله! لقد أخذتُ من فيِّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله! لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني مِن أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلستُ في الحِلق أسمع ما يقولون، فما سمِعتُ راوٍ يقول غير ذلك)[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٤١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٦).

(٣) رواه البخاري (٤٧١٤).

وعن مسروقٍ قال ذُكِرَ عبدُ الله -أي: ابن مسعود- عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجلٌ لا أزال أحبَّهُ؛ بعدما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «استقرئوا القرآن مِن أربعةٍ: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالمٍ مولى أبي حذيفة، وأُبيٍّ بن كعبٍ، ومعاذ بن جبل»[(١)].

وعن زرِّ بن حُبيشٍ عن ابن مسعود أنه قال كنتُ غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبه بن أبي مُعيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر ﭬ وقد فرَّا من المشركين، فقالا: يا غلام، هل عندك من لبنٍ تسقينا؟

قلتُ: إني مؤتمنٌ ولست ساقيكما.

فقال النبي ﷺ: «هل عندك من جذعةٍ لم ينزُ عليها الفحلُ».

قلتُ: نعم. فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع، ودعا فَحَفَلَ الضرعُ، ثم أتاه أبو بكر ﭬ بصخرة منقعرة، فاحتلب فيها فشرب، وشرب أبو بكر، ثم شربتُ، ثم قال للضرع: «اقْلِصْ». فقلص، فأتيته بعد ذلك، فقلتُ: علمني مِن هذا القول؟

قال: «إنك غلامٌ مُعَلَّمٌ».

قال: فأخذتُ مِن فيه سبعين سورة لا يُنازُعني فيها أحدٌ[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٥).

(٢) «مسند الشاشي» (٢/ ١٢٣)، و«مسند أحمد» (١/ ٤٦٢)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ٢١٠)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ٧٨).

أقبل عبد الله بن مسعود ﭬ ذات يوم، وعمر بن الخطاب جالسٌ، فقال: كُنيفٌ مُلِئَ علماً[1].

عباد الله! أما مواقفه ﭬ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موقفه في غزوة بدرٍ الكبرى:

روى أبو داود في سننه: أن عبد الله بن مسعود ﭬ مرَّ بأبي جهل صريعاً، فوقف على رأسه، وقال: أخزاك اللهُ يا عدو الله، ثم جعل يُجهز عليه بسيفه. قال: فلم تغن عني شيئاً، فما زلت أضربه حتى سقط سيفه من يديه فضربته به حتى برد[2].

ثانياً: موقفه ﭬ في إنكار البدع:

عباد الله! عبد الله بن مسعود هو الذي قال: (اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم)[3] وهو الذي قال أيضاً: (الاقتصاد في السنة أحسنُ من الاجتهاد في البدعة)[4].

عباد الله! عبد الله بن مسعود ﭬ كان حرباً على البدع، وعلى المبتدعة، قال له أبو موسى الأشعري ﭬ يوماً: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيتُ في المسجد آنفاً أمراً أنكرتهُ.

---

(١) «فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٨٤٣) بإسناده صحيح.

(٢) «سنن أبي داود» (٢٧٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٢٦)، و«مسند الشاشي» (٢/ ٣٣٦)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٨٠)، و«مجمع الزوائد» (١/ ١٨١).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٨٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ١٩)، والحديث أورده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١).

قال له: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراهُ.

رأيتُ في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقةٍ رجلٌ وفي أيديهم حصاً، فيقولُ: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فيقول: هللوا مئة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة.

قال: فماذا قلتُ لهم؟

قال: ما قلتُ لهم شيئاً؛ انتظار رأيك أو انتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع مَن حسناتهم شيءٌ؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقةً من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصاً نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم! فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم!

هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابهُ لم تبلَ وآنيتُه لم تُكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملةٍ أهدى من ملة محمدٍ! أو مفتتحو باب ضلالةٍ!

قالوا: والله! يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مريد للخير لن يُصيبَه.

إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن قوماً يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم». وايم والله! ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: (رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج).

نعم والله! ما ابتدع رجلٌ بدعةً إلا استحل السيف[1].

عباد الله! هذا هو عبد الله بن مسعود ﷺ كان حرباً على البدع وأهلها .. كيف لا؟! وهو الذي سمع رسول الله ﷺ وهو يحذر من البدع فيقول: «إياكم ومحدثات الأمور»[2]. ويقول ﷺ في خُطَبِه: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[3].

وزاد النسائي «وكل ضلالة في النار»[4]. ويقول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[5].

عباد الله! والصحابة جميعاً ومن بعدهم كانوا حرباً على البدع والمبتدعة.

هذا الصديق ﷺ يقول في خطبته: (.. إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغتُ فقوموني)[6].

---

(١) «تاريخ واسط» (١/ ١٩٩)، وانظر كتاب «البدعة» لسليم الهلالي (ص٤٤).

(٢) «السنة» للمروزي (١/ ٢٦).

(٣) رواه مسلم (٨٦٧).

(٤) «المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم» (٢/ ٤٥٥)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٣/ ٤٤٩)، وفي «المجتبى» (١٥٧٨)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن النسائي المجتبى».

(٥) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨).

(٦) «الطبقات الكبرى» (٥/ ٣٤٠)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» (١/ ١٠٨).

وهذا الفاروق عمر ﷺ يقول: (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا)[١].

وهذا ابن عباس ﷺ يقول: (عليكم بالاستقامةِ والأثر وإياكم والتبدع)[٢].

وهذا ابن عمر ﷺ يقول: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة)[٣].

وهذا الإمام مالك -رحمه الله تعالى- يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، (فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً)[٤].

وهذا سعيد بن جبير -رحمه الله تعالى- يقول: (لأن يصحب ابني فاسقاً سارقاً سُنياً، أحبُّ إليَّ من أن يصحب عابداً مبتدعاً)[٥].

وهذا الفضيل بن عياض يقول: (من أعان صاحب بدعةٍ، فقد أعان على هدم الإسلام)[٦].

وهذا عبد الله بن المبارك يقول: (إياك أن تجالس صاحب بدعة)[٧].

---

(١) «سنن الدارقطني» (٤/ ١٤٦)، «الالكائي» (١/ ١٢٣).

(٢) «السنة» للمروزي (١/ ٢٩)، «ابن وضاح» (١/ ٥٤).

(٣) «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٩٢)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١٨٠).

(٤) «الابتداع» (١٧١)، «السنن والمبتدعات» (٦).

(٥) «الإبانة الصغرى» (١٣٢).

(٦) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣).

(٧) «اللالكائي» (١/ ١٣٧).

عباد الله! وهذه رسالة نوجهها إلى المبتدعة فيها تحذير وتذكير، أما التحذير فنقول لهم:

أولاً: اعلموا أن أعمالكم مردودةٌ عليكم لا يقبلها الله منكم. قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1]. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

ثانياً: اعلموا معشر المبتدعة أنكم محرومون من التوبة ما دمتم مصرّين على بدعتكم قال ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعةٍ، حتى يدع بدعته»[2].

ثالثاً: اعلموا معشر المبتدعة أنكم إن متمُّ على بدعتكم فإنكم لا تردون حوض النبي ﷺ يوم القيامة، ولا تحظون بشفاعته ﷺ.

يقول ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، ليُرفعن رجالٌ حتى إذا أهويت لأناولهم اختُلِجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[3].

رابعاً: اعلموا معشر المبتدعة أنكم آثمون، وعليكم أثم من عمل ببدعتكم إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٤).

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٢).

وقال ﷺ: «.. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزرُ من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

خامساً: اعلموا معشر المبتدعة أنكم ملعونون من الله، ومن الملائكة، ومن الناس أجمعين، يقول ﷺ: «من أحدث فيها، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٢).

سادساً: اعلموا معشر المبتدعة أنكم لا تزدادون ببدعتكم من الله إلا بعداً: قال ﷺ في المبتدعة: «..تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»(٣).

وقال بعض الصالحين: (ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً)(٤).

عباد الله! أما التذكير فإنا نذكرهم بأن النجاة في التمسك بالسنة، وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ.

قال ﷺ: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي»(٥).

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري (١٧٧١).

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٢).

(٤) «صفوة الصفوة» (٣/ ٢٩٥)، «حلية الأولياء» (٣/ ٩).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٢١٨)، و«سنن الترمذي» (٢٦٤١)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي،وفي «الصحيحة» (١٣٤٨).

وقال ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[١].

فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (.. إياكم والتبدع والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق)[٢].

ويقول ابن مسعود أيضاً: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٣].

اللهم فقهنا في ديننا..

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٤)، و«سنن الدارمي» (١/ ٥٧)، و«سنن البيهقي الكبرى» (١٠/ ١١٤)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢)، و«المعجم الكبير للطبراني» (١٨/ ٢٤٩)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه،وفي الإرواء (٢٤٥٥)، و«المشكاة» (١٦٥)، و«الظلال (٢٦-٣٤)، و«صلاة التراويح» (٨٨-٨٩).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٦٦)، ومجمع الزوائد (١/ ١٢٦)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٩/ ١٧٠).

(٣) تقدم تخريجه.



الخطبة الحادية والثلاثون

مواعظ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان.

عباد الله! عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلٌ من هؤلاء الرجال، وصحابيٌّ من الصحب الكرام، وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن مواعظه.

الموعظة الأولى: يحث المسلمين على المحافظة على الصلاة في جماعة في المساجد:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنَّ، فإن الله شرع لنبيكم سُنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم؛ كما يصلي هذا المتخلف في بيته؛ لتركتم سُنة نبيكم، ولو أنكم تركتم سُنة نبيكم لضللتم.

وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمدُ إلى مسجد من هذه المساجد إلا كُتب له بكل خطوةٍ يخطوها حسنةً، ويرفعُه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولو رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافقٌ معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[1] أي لأداء صلاة الجماعة. وصية نحن في أمس الحاجة إليها؛ فالمساجد تشتكي من قلة المصلين فيها جماعةً.

عباد الله! أخذ ابن مسعود ﷺ موعظته هذه من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.

فالله -عز وجل- في كتابه يأمر المسلمين بأداء الصلاة في المساجد، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة:٤٣].

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

عباد الله! لا يتخلف عن صلاة الجماعة إلا معذور، أو امرأة، أو منافق.

جاء رجلٌ أعمى إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله! لا أجدُ قائداً يقودني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أتخلف عن صلاة الجماعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أتسمع النداء ؟» قال: نعم. قال ﷺ: «فأجب»[2].

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) رواه مسلم (٦٥٣).

الموعظة الثانية: يحذر فيها ابن مسعود ﷺ المسلمين من الافتتان بالدنيا الفانية:

يقول ابن مسعود ﷺ: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له)[١].

ويقول ﷺ: (ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن أدم! قليلٌ يكفيك، خيرٌ من كثير يُطغيك)[٢].

ويقول ﷺ: (من أراد الدنيا أضرَّ بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم! فأضروا بالفاني للباقي)[٣].

ويقول ﷺ: (أنتم أكثرُ صياماً، وأطولُ صلاةً، وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم!

قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن؟

قال: هم كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة)[٤].

فالانشغال بالدنيا وجمعها أضر بالأمة كما أخبر النبي ﷺ فقال: «إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وأخذتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»[١].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٤٣)، و«مسند أحمد» (٦/ ٧١)، «الزهد لابن أبي عاصم» (١/ ١٦١).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٤).

(٣) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٢٤).

(٤) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٢٣).

ويقول ابن مسعود ﷺ في دعائه: (اللهم وسع عليَّ في الدنيا وزهدني فيها، ولا تزْوها عني فترغبني فيها)[٢]. وكما قال القائل: الدنيا كالدابة، إذا ركبتها حملتك، وإذا ركبتك أهلكتك.

عباد الله! وأخذ ابن مسعود ﷺ مواعظه هذه من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله ﷺ.

فالله -عز وجل- في كتابه يحذر عباده من الافتتان بالدنيا، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر:٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات:٣٧-٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس:٧-٨].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد:٢٠].

---

(١) «سنن البيهقي» (٥/ ٣١٦)، و«سنن أبي داود» (٣٤٦٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود، وذكره في «الصحيحة» (١١) وفي «صحيح الجامع» (٤١٦).

(٢) «العقد الفريد» (٣/ ١٨٢).

عباد الله! والرسول ﷺ يحذر أمته من الافتتان بالدنيا:

يقول ﷺ: «إن الدنيا حُلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها؛ فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»(١).

ويقول ﷺ: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»(٢).

فوالله ما تُرِكَتْ الصلاة إلا بسبب الافتتان بالدنيا، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ -لما يا ربنا- ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾.

الموعظة الثالثة: يحث فيها ابن مسعود ﷺ المسلمين على طلب العلم الشرعي، والعمل به.

يقول ابن مسعود ﷺ: (اغدُ عالماً أو متعلماً، ولا تغدُ فيما بين ذلك، فإنما بين ذلك جاهل. وإن الملائكة تبسط أجنحتها لرجل غدا يطلب العلم؛ من الرضى لما يصنع)(٣).

ويقول ابن مسعود ﷺ: (عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ورفعُهُ موت رواته، فوالذي نفسي بيده لَيَوَدُّنَّ رجالٌ قتلوا في سبيل الله شهداءٌ أن يبعثهم الله علماء، لما يرون من كرامتهم؛ فإن أحداً لم يولدْ عالماً، وإنما العلم بالتعلم)(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣٥).

(٤) «إحياء علوم الدين» (١/ ١٥).

ويقول ﷺ: (تعلموا العلم، فإذا علمتم فاعملوا، وقال: ويلٌ لمن لا يعلم، ولو شاء اللهُ لعلّمه، وويلٌ لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات)[١].

وقال ابن مسعود ﷺ: (لا يزال الناسُ بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم، فإذا جاء العلمُ من قِبَل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا - والصغار هم الجهلة-.

وقال: (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم، سَفّه الصغيرُ الكبير)[٢].

ويقول ﷺ: (لو أن أهل العلم صانوا علمهم، وبذلوه لأهله لسادوا به أهل زمانهم؛ ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها)[٣].

عباد الله! وأخذ ابن مسعود ﷺ مواعظه هذه من كتاب الله -عز وجل- ومن سنة رسول الله ﷺ.

فالله عز وجل في كتابه يحث على طلب العلم ويُثني على العلماء، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر:١١٤].

فلم يسو ربنا جل وعلا بين العالم والجاهل، كما لم يسو بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأعمى والبصير، وبين الظلمات والنور وبين الظل ولا الحرور.

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١١٩).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٢).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٧٦)، و«الزهد» لابن أبي عاصم (ص٢٢)، و«تنبيه الغافلين» (ص٣٦٥).

وقـــال تعــــالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقـال تعـالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فـاطر:٢٨]، وقـال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

ورسول الله ﷺ: يحث أمته على طلب العلم الشرعي، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، ورجلٌ أتاه الله الحكمة، فهو يقض بها ويعلمُها»(١).

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(٢).

وقـال ﷺ: «ومـن سـلك طريقـاً يلـتمس فيـه علـماً، سـهل الله لـه طريقـاً إلى الجنة»(٣).

وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً أو متعلماً»(٤).

وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً؛ سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر لـه مـن

---

(١) رواه البخاري (٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٩٤٨)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) «سنن ابن ماجـه» (٤١١٢)، و«المعجـم الأوسـط للطـبراني» (٤/ ٢٣٦)، و«مسند الـشاميين» (١/ ١٠٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه عـلى ابـن ماجـه، وفي «الـصحيحه» (٢٧٩٧)، و«المشكاة» (٥١٧٦).

في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد؛ كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً؛ وإنما ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر»[١].

الموعظة الرابعة: وصيتُه ﷺ لأهل القرآن:

يقول ابن مسعود ﷺ لحملة القرآن في صدورهم: (تعاهدوا هذه المصاحف وربما قال: القرآن- فلهو أشدُّ تفصِّيا من صدور الرجال من النَّعم مِن عُقُلِه)[٢].

عباد الله! وأخذ ابن مسعود ﷺ وصيته هذه من كلام رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «تعاهدوا هذا القرآن -أي: حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته- فوالذي نفسُ محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عُقُلها»[٣].

وقال ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»[٤].

ويقول ابن مسعود ﷺ لأهل القرآن: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون،

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١/ ٢٨٩)، و«سنن الترمذي» (٢٦٨٢)، و«سنن الدارمي» (١/ ١١٠)، و«سنن أبي داود» (٣٦٤١)، و«سنن ابن ماجه» (٢٢٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه والترمذي.

(٢) رواه مسلم (٧٩٠).

(٣) رواه مسلم (٧٩١).

(٤) رواه البخاري (٤٧٤٣)، ومسلم (٧٨٩).

وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً حليماً عليماً سكيناً، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً)[1].

ويقول ابن مسعود ﷺ: (إن هذا القرآن مأدبة الله؛ فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير -أي: فإنَّ أكثر البيوت خلواً من الخير- الذي ليس فيه من كتاب الله شيءٌ، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيءٌ، كخراب البيت الذي لا عامر له. وإن الشيطان يخرج من البيت؛ تُسْمَعُ فيه سورة البقرة) ، وقال :(إنما هذه القلوب أوعيةٌ، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره) [2].

عباد الله! ومن مواعظ ابن مسعود ﷺ التي ترقق القلوب:

١ - يقول ابن مسعود ﷺ: (إنكم في ممر الليل والنهار في آجالٍ منقوصةٍ، وأعمالٍ محفوظة، والموت يأتي بغتة؛ فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامةً، ولكل زارع مثلَ ما زرع، لا يسبقُ بطيءٌ بحظه، ولا يدركُ حريصٌ ما لم يُقدرُ له. فمن أعطي خيراً فالله تعالى أعطاهُ، ومن وُقيَ شراً فالله تعالى وقاه، المتقون سادةٌ، والفقهاء قادةٌ ومجالستهم زيادةٌ)[3].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٣١)، و«الزهد» للإمام أحمد (ص٢٠٢).

(٢) «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٤)، و«مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٣٦٨)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٢٦)، «تهذيب حليه الأولياء» (١/ ١١٩).

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (ص٢٠١).

٢- ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من تطاول تعظماً خفضه الله، ومن تواضع تخشعاً رفعه الله، ومن راءى في الدنيا، راءى الله به يوم القيامة) [1].

٣- ويقول بن مسعود رضي الله عنه: (إن في كتاب الله آيتين ما أصاب عبدٌ ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله، إلا غفر له: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾ [النساء: ١١٠] [2].

فيا أيها العاصي! من يغفر الذنوب إلا الله؟ لا أحد .. ما الذي يمنعك أن تتوب إلى الله؟! وقد علمت أن من تاب إلى الله تاب الله عليه، ومن استغفر من ذنبه غفر الله له. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾.

اللهم ارزقنا توبةً نصوحاً قبل الموت.

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨).

(٢) «العقد الفريد» (٣/ ١٨٥).

الخطبة الثانية والثلاثون

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

عباد الله! يقولُ الله -عز وجل- في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

عباد الله! وهؤلاء الرجال الذين اصطفاهم اللهُ لصحبة نبيه، ونصرة دينه؛ هم أصحاب محمد ﷺ، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافقٌ زنديق، قال الإمام الطحاوي - رحمه الله- في عقيدته؛ «عقيدة أهل السنة والجماعة»: (ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حبِ أحدٍ منهم -كأهل الضلال الذين غَلوا في عليٍّ وجعفر والحسن والحسين -ولا نتبرأ من أحدٍ منهم- كما يفعل أهلُ الضلال في سب ولعن بعض الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-، ونبغض من يُبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ أنه: **جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه** .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ ابن عم رسول الله ﷺ، أبو عبد الله ذو الجناحين، أبو المساكين، الشهيد، الطيار، أخو أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب، أحدُ السابقين الأولين إلى الإسلام.

عباد الله! وحديثُنا عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سيكون عن مناقبه ومواقفه.

أما مناقبه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه كان رضي الله عنه من أشد الناس شبهاً برسول الله ﷺ في خَلْقه وخُلُقِه:

يقول ﷺ لجعفر بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي»(١).

وأكرم بها مِن منقبةٍ فقد قال الله -عزَّ وجلَّ- مادحاً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم:٤].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه من السابقين الأولين إلى الإسلام وصاحب الهجرتين:

يقول أبو موسى رضي الله عنه: (بَلَغَنا مخرجُ النبيِّ ﷺ ونحن باليمن؛ فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم .. في ثلاثةٍ وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشيِّ بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي

(١) رواه البخاري (٤٠٠٥).

طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر، وكان أُنـاسٌ من الناس يقولون لنا -يعني لأهل السفينة- سبقناكم بالهجرة.

ودخلت أسماء بنتُ عُميسٍ -وهي ممن قَدِمَ معنا- على حفصة زوج رسول الله ﷺ زائرةً؛ وقد كانت هاجرت إلى النجاشيِّ فيمن هاجر، فدخلَ عمر بن الخطاب على حفصة وأسماءُ عندها، فقال عمرُ حين رأى أسماء: مَنْ هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عُميس.

قال عمرُ: الحبشية هذه، البحرية هذه، قالت أسماء: نعم.

قال عمرُ: سبقناكم بالهجرة فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا والله! كنتم مع رسول الله ﷺ يُطعمُ جائِعَكُم ويعظُ جاهِلَكُم، وكنا في دار أو في أرض البُعداء البغضاء بالحبشة؛ وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ، وايمُ الله لا أطعمُ طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكرُ ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذبُ ولا أزيغُ ولا أزيدُ عليه.

فلما جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ الله إن عمرَ قال: كذا وكذا.

قال ﷺ: «فما قلتِ له ؟» قالت: قلتُ له كذا وكذا ، قال ﷺ: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان» – وفي مقدمة هؤلاء جعفر بن أبي طالب ﷺ.

قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث؛ ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيّ ﷺ[1].

(١) رواه البخاري (٣٩٩٠)، ومسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).

الشاهد من الحديث أن جعفر بن أبي طالب كان من السابقين الأولين إلى الإسلام ومن المهاجرين من مكة إلى الحبشة ومن الحبشة إلى رسول الله ﷺ بالمدينة.

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان يُحبُّ المساكين ويعطف عليهم حتى أنه كان يُكنى بأبي المساكين.

عن أبي هريرة ﷺ: أن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة وإني كنتُ ألزمُ رسول الله ﷺ بشبع بطني، حتى لا آكلُ الخميرَ، ولا ألبسُ الحبير، ولا يخدمُني فلانٌ، ولا فلانةٌ، وكنتُ ألصقُ بطني بالحصباءِ من الجوع، وإن كنتُ لأستقرئُ الرجل الآية هي معي؛ كي ينقلبُ بي فيُطعمني، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلبُ بنا فيُطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليُخرجُ إلينا العُكة -ظرفُ السمن- التي ليس فيها شيء فيشُقَّها فنلعقُ ما فيها[1]، وهذا يدل على كرمه وحبه وحنوه على المساكين.

ويقول أبو هريرة ﷺ: (ما احتذى النِّعال، ولا انتعل، ولا ركب المطايا، ولا ركب الكُور بعد رسول الله ﷺ أفضل مِن جعفر بن أبي طالب)[2] - يعني في الجود والكرم-.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٠٥).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٣١)، و«سنن الترمذي» (٣٧٦٤)، و«مسند أحمد» (٢/ ٤١٣)، وعلق عليه الألباني في «سنن الترمذي» وقال: صحيح الإسناد موقوفاً.

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ أخبر أنه مات شهيداً في سبيل الله وشهد له بذلك:

يقولُ أبو قتادة ﷺ: «بعث رسول الله ﷺ جيش الأُمراء، فقال: عليكم زيدُ بن حارثة، فإن أصيب زيدٌ فجعفر بن أبي طالبٍ، فإن أصيب جعفرٌ، فعبدُ الله بنُ رواحة الأنصاري .. فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن يُنادي الصلاة جامعةٌ.

فقال رسول الله ﷺ: نابَ خيرٌ أو بات خيرٌ، ألا أُخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأُصيب زيدٌ شهيداً فاستغفروا له -فاستغفر له الناس- ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب -وهذا هو الشاهد- فشدّ على القوم حتى قُتل شهيداً، أشهدُ له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبدُ الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد -ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه-، ثم رفع رسول الله ﷺ أصبعه فقال: اللهم هو سيف من سيوفك، فانصره -فمن يومئذٍ لقب خالد بسيف الله- ثم قال: انفروا فأمدُّوا إخوانكم، ولا يتخلفنَّ أحدٌ، فنفر الناسُ في حرٍ شديد مُشاةً وركباناً»(١).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى-: (وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد فهو ممن يقطع له بالجنة) (٢).

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ٦٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤١٢)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٩٩)، وقال عنه الألباني في «أحكام الجنائز»: إسناده حسن.

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٨٥).

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان ذا مكانةٍ عظيمة عند رسول الله ﷺ؛ ولذلك لما بلغه نبأ استشهاده حزن عليه حزناً عظيماً عُرِفَ ذلك في وجهه ﷺ:

يقول أنسُ بن مالك رضي الله عنه: (قال النبي ﷺ: «أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بنُ رواحة فأصيب» -وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان- ثم أخذها خالدُ بن الوليد من غير إمرةٍ ففتُح له»[1].

فحزن النبي ﷺ عليهم يدل على مكانتهم وحبه لهم.

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ اعتنى بأولاده عناية عظيمة بعد أن استشهد في غزوة مؤتة، فقد قام ﷺ بزيارتهم وتفقد أحوالهم ودعا لهم:

يقول عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: لما جاء نعيُ جعفر، قال رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآلِ جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم، أو أمرٌ يُشغلُهُم»[2].

وعن أسماء بنت عُميس قالت: لما أصيب جعفرٌ رجع رسولُ الله ﷺ إلى أهله فقال: «إن آل جعفرٍ قد شُغلوا بشأن ميتهم، فاصنعوا لهم طعاماً»[3].

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩).

(٢) «سنن البيهقي» (٤/ ٦١)، و«سنن الدارقطني» (٢/ ٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٦١٠)، و«مسند البزار» (٦/ ٢٠٤)، و«مسند أحمد» (١/ ٢٠٥)، والحديث حسنّه الألباني في تعليقه على ابن ماجه، وذكره في «الأحكام» (١٦٧)، و«المشكاة» (١٧٣٩).

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٦١١)، و«مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٣)، والحديث حسنّه الألباني تعليقه على ابن ماجه، وذكره في «الأحكام» أيضاً.

ويقول عبدُ الله بن جعفر رضي الله عنه: (..ثم أمهل رسول الله ﷺ آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا إليَّ ابني أخي».

قال: فجيءَ بنا كأنا أفرخٌ، فقال: «ادعو لي الحلاق» فجيءَ بالحلاق، فحلق رؤوسنا، ثم قال: «أما محمدٌ، فشبيهُ عمنا أبي طالبٍ، وأما عبدُ الله، فشبيه خلقي وخُلُقِي» ثم أخذ بيدي، فأشالها -أي: رفعها- فقال: «اللهم اخلُف جعفراً في أهلِهِ وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاث مرارٍ.

قال: فجاءت أُمُنا، فذكرت له يُتمنا .. فقال ﷺ: «العَيلَةَ -أي: الفاقة والفقر والحاجة- تخافين عليهم، وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة؟!»[1].

عباد الله! ومن مواقف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

أولاً: موقفه مع النجاشي في قول الحق والثبات عليه:

تقول أم سلمة رضي الله عنها: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جارٍ، النجاشي، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهُهُ، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشيِّ فينا رجلين جَلَدَين وأن يهدوا للنجاشيِّ هدايا مما يُسْتطرفُ من متاع مكة .. ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هديةً.

ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهُما أمرَهُم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كُلِّ بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشيَّ فيهم، ثم قدموا للنجاشيِّ هداياه، ثم سلوه أن يسلمُهم إليكم قبل أن يكلمهم.

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٧)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٢/ ١٠٥).

قالت: فخرجا، فقدما على النجاشيِّ، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلِّما النجاشيّ، ثم قالا لكلِّ بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلدِ الملك مِنا غِلمانٌ سُفهاءُ فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا، بدين مُبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملكِ فيهم أشرافُ قومهم ليرُدهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فتُشيروا عليه بأن يُسْلِمُهم إلينا، ولا يكلمهم فإنَّ قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثم إنهما قربا هداياهم إلى النجاشيِّ، فقبلها منهما، ثمَّ كلّماه فقالا له: أيها الملكُ إنه قد صبا إلى بلدِكَ منّا غلمانٌ سفهاءُ فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفهُ نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرهم، لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشيُّ كلامَهُم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرُداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا هَيْمُ الله -أي: لا والله- إذاً لا أُسلمهم إليهما، ولا أُكادُ قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سوايَ، حتى أدعُوَهُم فأسألهم ما يقولُ هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون، أسلمتُهم إليهما

ورددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منها، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسُولُه اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعضٍ: ما تقولون للرجل إذا جئتمُوُه؟ قالوا: نقول والله ما علمِنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائنٌ في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشيُّ أساقفَتَهُ، فنشروا مصاحِفَهُم حولَهُ، سألهم فقال: ما هذا الدينُ الذي فارقتُم فيه قومَكُمْ، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحدٍ من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: -وهذا هو الشاهد- أيها الملك! كّنا قوماً أهل جاهلية، نعبدُ الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث اللهُ إلينا رسولاً منا نعرفُ نسبه وصدقهُ، وأمانتهُ وعفافه. فدعانا إلى الله لنُوحِّدَه ونعبُدَهُ، ونخلَعَ ما كُنَّا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه مِن الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحم، وحُسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة.

وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نُشركُ به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام -قالت: فعدَّد عليه أمور الإسلام- فصدَّقناه، وآمنا به واتبعناهُ على ما جاء به.

فعبدنا الله وحده، فلم نُشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذَّبُونا وفتنونا عن ديننا، ليرُدُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقُّوا

علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على مَنْ سواكَ، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشيُّ: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم.

فقال له النجاشيُّ: فاقرأه عليَّ. فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾

قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضَلَ لحيته، وبكتْ أساقفتُه حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشيُّ: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاةٍ واحدةٍ، انطلقا، فوالله لا أسلِمُهم إليكم أبداً، ولا أُكادُ.

قالت أمُّ سلمة: فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنَّه غداً عيبُهم عنده، ثم أستأصلُ به خضراءهم. فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة -وكان أتقى الرجلين فينا-: لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنهُ أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فَأَرْسِلْ إليهم فاسألْهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسلَ إليهم يسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مِثلُها، فاجتمع القومُ فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟

قالوا: نقول والله فيه ما قال اللهُ، وما جاء به نبيُّنا كائناً في ذلك ما هو كائنٌ.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

فقال له جعفر بن أبي طالب: نقولُ فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسولُه ورُوحُه وكلِمتُهُ ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشيُّ يده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود -أي: صدق ما قال جعفر- فتناخرتْ بطارقتُه حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم والله.

ثم قال لأصحاب رسول الله ﷺ اذهبوا فأنتم سُيُومٌ بأرضي -والسُيُوم: الآمنون- مَنْ سبّكم غُرِّم، ثم مَن سبّكم غُرِّم، ثم من سبّكم غُرِّم، فما أحبُّ أن لي دبراً ذهباً وإني أذيتُ رجلا منكم - والدَّبْرُ بلسان الحبشة: الجبل- ردُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ اللهُ مني الرِّشوة حين ردّ عليَّ مُلكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

قالت أم سلمة: فخرجا مِن عنده مقبوحين، مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جار..[1].

ثانياً: موقفه ﷺ في الشجاعة والإقدام في أرض المعركة.

عباد الله! ويظهر لنا ذلك جلياً في غزوة مؤتة - في جنوب الأردن-، حيث كان جيش المسلمين يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل، وجيش المشركين يتكون من مائتي ألف مقاتل.

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٩١).

يقول أبو هريرة ﷺ: - وكانت هذه الغزوة أول غزوة يحضرُها - أي أبو هريرة- لأنه أسلم بعد صُلح الحديبية-: فلما دنا المشركون رأيتُ ما لا قِبَل لأحدٍ به، رأيتُ عدداً وعُدةً وسلاحاً، وخيلاً، وديباجاً، وحريراً، وذهباً، فبرق بصري، فقال لي ثابتُ بن أقرم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرةً.

قلتُ: إي والله.

قال: إنك لم تشهد معنا بدراً، إنا لا ننصرُ بالكثرة[١]. -يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

عباد الله! التحم الجيشان ودخل ثلاثة آلاف في مائتي ألف!! أي شجاعةٍ هذه؟ وهل هناك محركٌ لهؤلاء الثلاثة آلاف إلا الحرصُ على الجنة، وأنهم شمّوا رائحتها؟!

عباد الله! بدأ القتال، وكان يحمل الراية زيدُ بن حارثة ﷺ، فقاتل حتى قُتِلَ، فأخذ الراية جعفرُ بن أبي طالب، وحملها بيده وهو راكبٌ فرسه، وأخذ يقاتِلُ القوم حتى أرهقه القتالُ، فنزل عن فرسه فعقرها، ورفع الراية بيده، والسيف في يده الأخرى، وأخذ يقاتل القوم وهو يقول:

يا حبَّذا الجنةُ واقترابُها طيّبة وباردٌ شرابها

والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها

عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها[٢]

---

(١) «البداية والنهاية» (٤/ ٢٤٤) وعزاه للبيهقي.

(٢) الأبيات في سنن البيهقي (٩/ ١٥٤)، و«حلية الأولياء» (١/ ١١٨)، و«تهذيب الكمال» (٥/ ٥٨)، و«السيرة النبوية» (٥/ ٢٨).

فما زال يقاتلُ القوم حتى ضربه أحدُهم على يمينه فقطعها، فسقطت الرايةُ، فأخذها بشماله، فضربه على الشمال فقطعها، فاحتضن الراية بعضُديه، وما زال رافعاً راية رسول الله ﷺ حتى ضُربَ فقُتل ﷺ؛ فعوّضه اللهُ عن يديه جناحين يطيرُ بهما في الجنة.

قال ﷺ: «رأيتُ جعفراً ملكاً يطير بجناحيه في الجنة»[1].

ولذلك كان ابن عمر ﷺ إذا سلّم على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول: السلامُ عليك يا ابن ذي الجناحين[2]. ولذلك لُقب جعفرُ بن أبي طالب بالطيار.

عباد الله! ويقول ابن عمر ﷺ: (كنتُ فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالبٍ فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنةٍ ورميةٍ)[3].

وفي الرواية الأخرى: (ليس منها شيءٌ في دُبُره، يعني في ظهره)[4].

نعم والله إنهم رجالٌ كما وصفهم الله في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا وإياكم بجعفر الطيار مع نبينا ﷺ في جنات النعيم.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٢١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٦).

(٢) رواه البخاري (٣٥٠٦).

(٣) رواه البخاري (٤٠١٣).

(٤) رواه البخاري (٤٠١٢).



الخطبة الثالثة والثلاثون

حذيفة بنُ اليمان رضي الله عنهما

مناقبه ومواقفه

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان.

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ من أحبهم وسلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستناً فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبنا، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)[1].

(١) تقدم تخريجه.

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ، مَنْ أبغضهم وسبهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم شقي في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]. وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجلٍ من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: حذيفة بن اليمان ﷺ .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟ هو حذيفة بن اليمان العبسي، صاحب سِرِّ رسول الله ﷺ، عدو النفاق والمنافقين، أبو عبد الله، من كبار الصحابة، أسلم هو وأبوه - رضي الله عنهما- واستشهد أبوه في غزوة أحد.

عباد الله! وحديثنا عن حذيفة بن اليمان ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه.

أما مناقبه فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ صاحبُ سِرِّ رسول الله ﷺ:

(ذهب علقمةُ إلى الشام فأتى المسجد فصلَّى ركعتين، فقال: اللهم ارزقني جليساً، فقعد إلى أبي الدَّرداء.

فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة.

قال: أليس فيكم صاحِبُ السِرِّ الذي كان لا يعلمُهُ غيرهُ؟ -يعني حذيفة- أليس فيكم الذي أجارَهُ الله على لسان رسوله ﷺ من الشيطان؟ -يعني عماراً-

أوليس فيكم صاحب السواك والوساد؟ يعني ابن مسعود ..)[١]، المراد بالسرّ: هو ما أعلمه النبي ﷺ من أحوال المنافقين وأسمائهم.

وقيل لعليٍّ ﷺ: أخبرنا عن أصحاب محمد ﷺ، قال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: حذيفة. قال: أعلمُ أصحاب محمد ﷺ بالمنافقين[٢].

وقد ناشده عمر ﷺ: يا حذيفة! أأنا من المنافقين، فقال حذيفة: لا، ولا أُزكي أحداً بعدك[٣].

عباد الله! وكان عمرُ بن الخطاب ﷺ إذا مات أحدٌ من المسلمين يسأل: أحضر حذيفةُ للصلاة عليه؟ .. فإن قالوا: نعم، صلَّى عليه، وإن قالوا: لا، شك فيه، وأمسك عن الصلاة عليه - خشية أن يكون من المنافقين[٤].

عباد الله! وسأل رجلٌ حذيفة فقال: ما النفاق؟ قال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به[٥].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ دعا له ولأُمِّهِ بالمغفرة:

يقول حذيفة بن اليمان ﷺ سألتني أمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟

---

(١) رواه البخاري (٥٩٢٢).

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ٢١٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٤١)، و«المغازي» للواقدي (٣/ ١٠٤٥).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ٣١٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٧).

(٤) «صورة من حياة الصحابة» (ص٣٠٥).

(٥) «مسند الربيع» (١/ ٣٦١)، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٦).

قال: فقلتُ لها: مُنذ كذا وكذا، قال: فنالت منِّي وسبتني -أي: لتأخره عن رسول الله ﷺ.

قال: فقلت لها: دعيني، آتي النبي ﷺ فأُصلي معه المغرب، ثم لا أدعهُ حتى يستغفر لي ولكِ.

قال: فأتيتُ النبي ﷺ فصلّيتُ معه المغرب، فصلَّى النبيُّ ﷺ إلى العشاء ثم انفتل فتبعتُه، فعرض له عارضٌ فناجاه، ثمَّ ذهب، فاتبعتهُ فسمع صوتي فقال: «من هذا ؟» فقلتُ: حذيفة، قال: «مالك» فحدثتُه بالأمر- فقال: «غفر الله لك ولأمِّك»[1]. والنبي إذا دعا لأحد بالمغفرة استجاب الله له، لأن النبي ﷺ مستجاب الدعوة.

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ قُربهُ من النبيِّ ﷺ ومجاورتهُ له.

عباد الله! كان حذيفة ﷺ قريباً جداً من رسول الله ﷺ ويظهر ذلك من الأدلة التالية:

١- يقول حذيفة ﷺ: صلَّيتُ مع رسول الله ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم» وفي سجودِهِ: «سبحان ربيَّ الأعلى» قال: وما مرَّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا آية عذاب إلا تعوَّذ منها[2].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٦٨)، و«سنن الترمذي» (٣٧٨١)، «مسند أحمد» (٥/ ٣٩١)، والحديث: صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، وفي «المشكاة» (٦١٦٢)، وفي «الصحيحة» (٢٧٨٥).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الصغرى» (١/ ٢٦٧)، وفي «الكبرى» (٢/ ٣١٠)، و«سنن أبي داود» (٨٧١)، و«مسند أحمد» (٥/ ٣٩٤)، والحديث صحّحه الألباني في تعليقه على أبي داود.

٢- ويقول حذيفة ﭬ: رأيتُ رسول الله ﷺ أتى سُباطة قومٍ فبال وهو قائم، ثم دعا بماءٍ، فأتيته فتوضأ، ومسح على خفيه[(١)].

٣- ويقول حذيفة ﭬ: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي -أو ساقه- قال: «هذا موضعُ الإزار، فإن أبيت فأسفل، فإن أبيت فلا حقَّ للإزار فيما دون الكعبين»[(٢)].

٤- ويقول حذيفة ﭬ: كان - يعني النبيُّ ﷺ - إذا أوى إلى فراشه وضع يده اليُمنى تحت خدّه وقال: «ربِّ قني عذابك يوم تبعث - أو تجمعُ- عبادك»[(٢)].

٥- ويقول حذيفة ﭬ: كُنَّا إذا حضرنا مع النبي ﷺ على طعام، لم نضعْ أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنَّا حضرنا معه طعاماً فجاءت جاريةٌ وكأنما تُدفعُ، فذهبتْ تضعُ يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، وجاء أعرابيٌّ كأنما يُدفع، فذهب يضعُ يده في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يستحلُّ الطعام إذا لم يُذكر اسم الله عليه وإنه -أي: الشيطان- جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها، فأخذت بيدها، وجاء بهذا الأعرابيِّ ليستحل به، فأخذتُ بيده. والذي نفسي بيده، إنَّ يدهُ -أي: الشيطان- في يدي مع يدِيهما»[(٢)].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٤/ ٢٧٣)، و«سنن البيهقي» (١/ ٢٧٠)، و«سنن أبي داود» (٢٣)، و«مسند أحمد» (٥/ ٣٨٢)، و«مسند الطيالسي» (ص٥٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٨٢).

رابعاً: ومن مناقبه ﭬ حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم المسلمين الخير ويظهر ذلك من الأدلة التالية.

١- دخل حذيفة المسجد، فإذا رجل يُصلِّي .. فجعل لا يُتمُّ الرُّكوع ولا السجود فلما انصرف قال له حذيفة: منذ كم هذه صلاتُك؟

قال: منذ أربعين سنة.

فقال له حذيفة: ما صليت منذ أربعين سنةً، ولو مِتَّ وهذه صلاتك لمتَّ على غير الفطرة التي فُطِرَ عليها محمد ﷺ. ثم أقبل عليه يُعلِّمُه، فقال: إن الرَّجل ليُخفُّ في صلاته -أي: ليخفف في صلاته- وإنه ليُتم الركوع والسجود [1]- أي أنه يريد أنه إن كان متعجلاً فليكن التخفيف في القيام والقراءة لا في الركوع والسجود فيؤدي ذلك إلى ترك تمامها.

٢- ويقول حذيفة ﭬ: (إن كان الرجلُ ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصيرُ بها منافقاً، وإني لأسمعها مِن أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمُرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتحاضُّنَّ على الخير أو ليسحتَنكُم اللهُ جميعاً بعذابٍ، أو ليُؤمَّرنَّ عليكم شِرارُكم ثم يدعو خياركم، فلا يستجاب لكم)[2].

٣- كان حذيفة ﭬ بالمدائن فجاءه دِهقانٌ بقدحٍ مِن فضةٍ، فأخذه فرماهُ به، وقال: إني لم أفعل هذا إلا أني قد نهيته فلم ينتهِ. وأن رسول الله ﷺ نهاني عن

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٨٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٩٠)، والحديث: حسن «الموسوعة الحديثية».

الشرب في آنية الذهب والفضة والحرير والديباج، وقال ﷺ: «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»(١).

عباد الله! إما مواقفه ﵁ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موقفه في غزوة الأحزاب ﵁:

انتدب رسول الله ﷺ حذيفة للقيام بعملية استخبارية في غزوة الأحزاب في ظروف صعبة جداً.

يخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه بهذه الظروف الصعبة فيقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ۝١٢ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ۝١٣﴾ [الأحزاب:٩-١٣].

عباد الله! عدد كثير من الكفار يحيطون بالمدينة، خوفٌ وجوعٌ وبرد شديدٌ، نقضت بنو قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ؛ ليضربوا المسلمين من الخلف تعاوناً مع جيش الكفار، ترك المنافقون والذين في قلوبهم مرض أرض المعركة بحجج واهية؛ زاعمين أن بيوتهم عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٩٦)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

طال الحصار، واشتد البلاءُ.

عباد الله! في وسط هذه الظروف قام حذيفة ﷺ بمهمته، تعالوا بنا عباد الله لنستمع إلى حذيفة ﷺ وهو يخبرنا الخبر.

يقول حذيفة ﷺ: (لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق -أي: يوم الأحزاب- فقام ﷺ فصلى هوياً من الليل، ثم قال: «من يأتنا بخبر القوم -أي: العدو- أشترطُ له الرجعة، وأضمن له الجنة». قال حذيفة ﷺ: فما قام أحدٌ من شدة الجوع والبرد والريح، قال حذيفة: فصلَّى رسول الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت إلينا وقال: «مَنْ يأتنا بخبر القوم؟ أشترط له الرجعة، وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة».

قال حذيفة: فلم يقم أحدٌ من شدة الخوف والجوع والبرد.

يقول حذيفة: فلما لم يقم أحدٌ. قال رسول الله ﷺ: «قم يا حذيفةُ» يقول حذيفة ﷺ: فلما دعاني لم يكن لي بدٌّ من القيام، فقمتُ، فقال ﷺ: «اذهب فأتنا بخبر القوم، ولا تُحدثنَّ -أي: ولا تفعلنّ شيئاً- حتى تأتينا».

قال حذيفةُ ﷺ: فخرجت وأنا شديد البرد، فلما مشيتُ في حاجة رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمَّام -أي: لم أجد البرد الذي يجده الناس- فأتيت القوم ودخلت فيهم، وإذا بأبي سفيان يقومُ ويقول: يا معشر قريش: لينظر امرءٌ -أي: كل واحدٍ- مَنْ جارُه.

قال حذيفة ﷺ: فبادرت بيدي الذي جنبي، فقلتُ مَنْ أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان.

وقال أبو سفيان: يا معشر قريش، والله ما بقي لنا هنا مقام؛ لقد أكفأتْ الريح قدورنا، وأطفأت نارنا، وهدمت خيامنا، وقد بلغنا عن بني قريظة ما نكره؛ إنهم لم يفوا بعهدهم بالحرب معنا، فارتحلوا فإني مرتحلٌ.

قال حذيفة ﷺ ثم قام إلى جمله فركب عليه، فوثب الجمل على ثلاثٍ فلم يحلَّ عقاله حتى وثب -هذا يدل على الحالة السيئة التي فيها الأحزاب وقائدهم أبو سفيان-. قال حذيفة ﷺ ولولا عهدُ رسول الله ﷺ «لا تُحدثن حتى تأتينا» فلو شئت أن أقتله، لقتلتهُ بسهمي.

قال حذيفة ﷺ: فلما ارتحل وبلغ الخبر سائر القبائل، فرجعوا من حيث جاءوا[1].

قال حذيفة ﷺ: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يُصلي .. فلما سلَّم أخبرته الخبر[2]. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

ثانياً: موقفه ﷺ في غزوة أُحدٍ:

تقول عائشة ﷺ: (لما كان يومُ أُحد هُزِمَ المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليسُ: أي عباد الله أُخراكم، فرجعت أولاهم على أخراهم فاجتلدت مع أخرهم. فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه -وكان مسلماً- فنادى: أي عباد الله أبي أبي..

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٩٢)، والحديث: صحيح «الموصوعة الحديثية».

قالت عائشة: فوالله ما احتجزوا -أي: ما تركوه- حتى قتلوه -وهم لا يعرفونه- فقال حذيفة: غفر الله لكم[1].

عباد الله! ولما أراد النبي ﷺ أن يدفع لحذيفة دية أبيه، قال حذيفة: قد تصدقتُ بديته على المسلمين، فزاد ذلك حذيفة خيراً عند النبي ﷺ[2]. إنه موقف عجيب من هذا الصحابي الجليل.

ثالثاً: موقفه في غزوة بدرٍ الكبرى:

يقول حذيفة رضي الله عنه: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيلٌ، فأخذنا كفار قريش. فقالوا: إنكم تريدون محمداً؟ قلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقهُ، لننصرفنَّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر. فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم»[3].

فرسولنا الكريم لا يعرف الغدر والخيانة، ولقد ربى أصحابه على ذلك، أما أساتذه نقض العهود والمواثيق، وأساتذة الغدر والخيانة فهم اليهود قاتلهم الله.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٣١١٦).

(٢) انظر «زاد المعاد» (٣/ ٢٠٦).

(٣) رواه مسلم (١٧٨٧).

الخطبة الرابعة والثلاثون

حذيفةُ بن اليمان ﷺ أعلم الصحابة بالشرِّ والخير والفتن التي تتعرض لها الأمة إلى قيام الساعة

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابن عباس ﷺ: (الذين اصطفى هم أصحاب محمد ﷺ، اصطفاهم الله لنبيه ﷺ)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ)[2]. فأصحاب محمد ﷺ قوم اصطفاهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- أيضاً مع حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما- صاحبُ السرِّ وعدو النفاق.

عباد الله! وحديثنا عن حذيفة بن اليمان ﷺ سيكون حول العناصر التالية:

---

(١) «تفسير جامع البيان» (٢٠/ ٢).

(٢) «منهاج السنة» (١/ ١٥٦).

العنصر الأول: حذيفة ﷺ يسأل والرسول ﷺ يجيب.

العنصر الثاني: حذيفة ﷺ أعلم الصحابة - رضي الله عنهم جميعاً-، بالفتن التي تنزل بالأمة إلى قيام الساعة.

العنصر الثالث: مواعظهُ ﷺ.

العنصر الأول: حذيفة ﷺ يسأل ورسول الله ﷺ يجيبُ:

عباد الله! حذيفة بن اليمان ﷺ كان من أحرص الناس على معرفة الشرِّ؛ حتى لا يقع فيه، وحتى يحذر الأمة منه.

يقولُ حذيفة ﷺ: كان أصحاب النبي ﷺ يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

قيل: لِـمَ فعلت ذلك؟

قال: من اتقى الشرَّ، وقع في الخير[1].

وكما قال القائل:

عرفت الشرَّ لا للشر ولكن لتوقيه فمن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه[2]

ويقول حذيفة ﷺ قام فينا النبي ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً بين يدي الساعة إلا حدثنا به، عرفه من عرفه ونسيه من نسيه[3].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ٣٩٩)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) «أبجد العلوم» (١/ ١٤٣).

(٣) أصله في مسلم (٢٨٩١).

ويقول حذيفة ﷺ: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ؛ مخافة أن يدركني.

فقلتُ: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، وجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟

قال: «نعم».

قلتُ: وهل بعد هذا الشرِّ من خير؟

قال: «نعم، وفيه دخن».

قلت: وما دخنه؟

قال ﷺ: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكرُ».

قلتُ: فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟

قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها».

قلتُ: يا رسول الله صفهم لنا قال: «هم مِن جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك»[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (١٨٤٧).

عباد الله! في هذا الحديث يحدد لنا رسول الله ﷺ الداء الذي يصيب الأمة ويحدد لنا الدواء. أما الداءُ فهو:

أولاً: البدع:

يقول النبي ﷺ لحذيفة ﷺ في تفسير الدخن: «قومٌ يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرفُ منهم وتنكرُ».

عباد الله! فهذا هو أصلُ الداء وجَذر البلاء، إنه انحرافٌ عن السنة في المنهج، وانصرافٌ عن السمت النبوي في السلوك والعمل. وبهذا يتضح أنَّ الدخن الذي شاب الخير فكدَّر مَعِينه وغير رواءه هو البدع التي أَطَلَّتِ برؤوسها من أوكار المعتزلة والصوفية، والجهمية، والخوارج، والأشعرية، والمرجئة، والروافض، منذ قرون ابتغاء الفتنة، فأمعنت في الإسلام تحريفاً، وانتحالاً، وتأويلاً، فلم يبق من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمُه ومن التعبد إلا جسمُه. ومنه يتضح أنَّ أمرَ البدع خطير؛ لأنها تُفسدُ القلوب والأبدان، بينما الأعداء يفسدون الأبدان[1].

عباد الله! ولذلك جاء الإسلام يُحذر من البدع، ومن المبتدعة، ويأمر بالإتباع.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

فالصراط المستقيم الذي أمر الله به هو سبيل الله، هو السبيل الذي سلكه النبي ﷺ وأصحابه، والسبل التي نهانا الله أن نسلكها؛ هي سبلُ أهل البدع والأهواء على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليها.

(١) انظر كتاب «لماذا اخترت المنهج السلفي»، لسليم الهلالي (ص١٥).

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١].

وقال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة»[٢]. وزاد النسائي: «وكل ضلالة في النار»[٣].

وقال ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني»[٤].

والصحابة رضوان الله عليهم يحذرون من الابتداع في الدين.

قال الصديق ﷺ في خطبته: (.. إنما أنا متبع ولستُ بمبتدع)[٥].

وقال ابن مسعود ﷺ: (إياكم والتبدع والتنطع)[٦].

وقال ابن عباس ﷺ: (عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والتبدع)[٧].

وقال ابن عمر ﷺ: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة)[٨].

وقال ابن عباس ﷺ: (لا تجالس أهل الأهواء -وهم المبتدعة- فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)[٩].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٤٠١).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) «ابن وضاح» (١١/ ٥٤).

(٨) أخرجه اللالكائي في «شرح السنة» (١٢٦).

(٩) «الآجري» (٦١).

وقال أبو إدريس الخولاني: (لأن أرى في المسجد ناراً لا أستطيع إطفاءها أحب إليَّ من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها)[1]. فما بالنا والمساجد قد امتلأت بالبدع.

وقال الفضيل بن عياض: (إذا رأيت مبتدعاً في طريق، فخذ في طريق آخر).

وقال: (من أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)[2].

وقال: (من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها)[3]. فاحذروا من البدع والمبتدعة.

ثانياً: دعاة الضلالة:

قال ﷺ لحذيفة ﷺ: «نعم؛ دعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».

عباد الله! الأمر خطير جداً؛ ولذلك قال حذيفة: يا رسول الله صفهم لنا، قال ﷺ: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». -أي: هم في الظاهر على ملتنا، وفي الباطن مخالفون- ترى أحدهم في الظاهر في صورة إنس ولكن في الباطن قلبه قلب شيطان، ولذلك قال ﷺ في رواية مسلم: «وسيقوم فيهم رجالٌ قلوب الشياطين في جثمان الإنس»[4].

---

(١) «الاعتصام» (١/ ٨٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣).

(٣) «الثقات» (٨/ ١٦٦).

(٤) رواه مسلم (١٨٤٧).

عباد الله! أما الدواء الذي وصفه النبي ﷺ للأمة إذا ظهرت فيها البدع ودعاة الضلالة فهو: التمسك بطريقة النبي ﷺ وأصحابه، واعتزالُ تلك الفرق كلِّها. ومن أجل ذلك عندما قال حذيفة: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال ﷺ: «تلزمُ جماعة المسلمين وإمامهم».

قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

قال ﷺ: «فاعتزل تلك الفِرق كلّها، ولو تعض بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك».

عباد الله! والمقصود بأصل هذه الشجرة يظهر لنا من حديث العرباض بن سارية ﷺ وفيه: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ؛ فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشيّ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ -إذ الأصل الذي نعض عليه إذا كثرت الاختلافات، وفرق الضلالة هو طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أصحابه- وإياكم ومحدثات الأمور»[1].

(١) «صحيح ابن حبان» (١/ ١٧٨)، و«المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٦)، و«موارد الظمآن» (ص٥٦)، و«سنن الدارمي» (١/ ٥٧)، و«سنن أبي داود» (٤٦٠٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

عباد الله! وإذا أخذت الأمة بهذا الدواء النافع من رسول الله ﷺ تحققت لها بشرى النبي ﷺ التي يخبرنا بها حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وهي: قال حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[1].

العنصر الثاني: حذيفة رضي الله عنه أعلم الصحابة -رضي الله عنهم جميعاً- بالفتن التي تنزل بالأمة إلى قيام الساعة.

ويقول حذيفة رضي الله عنه: (والله إني لأعلمُ الناس بكلِّ فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة)[2].

ويقول حذيفة رضي الله عنه: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون بين يدي الساعة إلا ذكره في مقامه ذلك، حفظه من حفظه ونسيه مَنْ نسيه)[3]

ويقول حذيفة رضي الله عنه: سأل عمرُ بن الخطاب - أصحاب النبي ﷺ: أيُّكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن؟

---

(١) «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٨)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩١).

(٣) تقدم تخريجه.

قالوا: نحن سمعناه.

قال: لعلكم تعنون فتنة الرجلِ في أهله وماله؟ قالوا: أجل.

قال: لستُ عن تلك أسأل، تلك تُكفرُها الصلاة والصومُ والصدقة، ولكن أيّكم سمع قول الرسول ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟

قال حذيفة: فأسكت القومُ، فظننت أنه إيَّايَ يريدُ.

قلت: أنا.

قال: أنت لله أبوك!

قال: قلت: «تعرضُ الفتن على القلوب عرض الحصير، فأيُّ قلب أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، وأيّ قلب أُشربَها نُكتت فيه نكتةٌ سوداء، حتى تصير القلوب على قلبين: أبيض مِثلَ الصفا، لا يضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرَبدٌّ كالكوز مجخياً - وأمال كفهُ- لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشربه من هواهُ».

يقول حذيفة: وحدَّثُه أن بينه وبينها باباً مغلقاً، يوشك أن يُكسَر كسراً.

قال عمرُ: كسراً لا أبا لكَ!

قال: قلتُ: نعم.

قال عمر: فلو أنه فتح كان لعلَّه أن يُعاد فيُغلَق.

قال: قلت: لا بل كسراً.

قال حذيفة: وحدثتُهُ أنَّ ذلك الباب رجلٌ يُقتلُ أو يموت، حديثاً ليس بالأغاليط[1].

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٨).

وسألوا حذيفة: أكان عمر يعلم من الباب؟

قال حذيفة: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ ليلة[١].

عباد الله! وكان ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، فقد قُتِلَ عمر، وكُسِرَ الباب، وظهرت الفتن.

عباد الله! ويبلغ من شدة هذه الفتن أن تُخْرِجَ المسلم عن دينه:

قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجلُ مؤمناً، ويُمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا»[٢].

عباد الله! ويبلغُ ثقل هذه الفتن وشدتُها على المسلم أن يتمنى الموت ويرجوه كي يتخلص من البلاء.

قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء»[٣].

عباد الله! ومن أعظم الأسباب التي توقع في الفتن والبلاء: قلة العلم، وكثرة الجهل، وترك الإسلام، وارتكاب الذنوب والمعاصي، وانتهاك الحرمات.

قال ﷺ: «إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم ويكثر الهرجُ»[٤]. الهرجُ: القتل.

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٨).

(٢) رواه مسلم (١١٨).

(٣) رواه مسلم (١٥٧).

(٤) رواه البخاري (٦٦٥٣)، ومسلم (٢٦٧٢).

وقال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلُّ الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحدُ»[١].

عباد الله! والنجاةُ من هذه الفتن يكون بما يلي:

أولاً: أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعةٌ، ولا إمامٌ، فاعتزل تلك الفرق كلّها ولا تكن رأساً في الفتنة.

يقول ﷺ لحذيفة بن اليمان ﷺ «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟

قال ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك»[٢].

وقال ﷺ: «إنها ستكونُ فتنٌ ألا ثُمَّ تكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرضٌ فليلحق بأرضه..» الحديث[٣].

ثانياً: أن تكثر يا عبد الله من العبادة وقيام الليل -أي: التجيء إلى الله-:

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٧).

قال ﷺ: «عبادةٌ في الهرجِ والفتنة كهجرةٍ إليَّ»[١].

وتقول أمُّ سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً يقول: «سبحان الله؛ ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل مَنْ الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات -يُريد أزواجه- لكي يُصلِّين؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة»[٢].

ثالثاً: أن تلزم بيتك، وتمسك لسانك:

قال ﷺ: «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبحْ الرجلُ فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي».

قالوا: فماذا تأمرنا؟

قال ﷺ: «كونوا أحلاس بيوتكم»[٣].

وقال رجلٌ يا رسول الله! ما النجاة؟

قال ﷺ : «امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١٣)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٧٤).

(٢) رواه البخاري (٧٠٦٩).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٧)، و«سنن أبي داود» (٤٢٦٢)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ٤٠٨)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

(٤) «سنن الترمذي» (٢٤٠٦)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٥٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٢٧٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، وذكره في «السلسلة الصحيحة» (٨٩٠).

وقال حذيفة بن اليمان ﷺ: إياكم والفتن، لا يشخص -أي: لا يتطلع- إليها أحد. فوالله ما شخص فيها أحدٌ إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، فإذا رأيتموها؛ فاجتمعوا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم [(١)].

رابعاً: أن تستعيذَ بالله من الفتن.

يقول ﷺ: «تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»[(٢)].

علمنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله في كلِّ صلاةٍ من الفتن، قال ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقولُ: اللهم إني أعوذ بك من جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمهات، ومن فتنة المسيح الدجال»[(٣)].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝﴾ [يونس:٨٥-٨٦]، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [الممتحنة:٤،٥].

العنصر الثالث: مواعظه ﷺ:

يقول حذيفة بن اليمان ﷺ: يا أيها الناس! ألا تسألوني؟! فإن الناسُ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ، إن الله بعث نبيه ﷺ،

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٣) رواه البخاري (١٣١١)، ومسلم (٥٨٨).

فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب له من استجاب، فحيي على الحقِّ ما كان ميتا، ومات من الباطل ما كان حياً ثم ذهبت النبوة، فكانت الخلافةُ على منهاج النبوة ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس مَن ينكر بقلبه ويده ولسانه، والحقَّ استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده، وشعبة من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه، فذلك ميتُ الأحياء [1].

وسئل حذيفة ﷺ عن ميت الأحياء، فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه [2].

ويقول حذيفة ﷺ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيتُ أحدهما، وأنا أنتظر الآخر.

حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلمُوا من القرآن وعلموا من السنة».

يقول حذيفة: ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: «ينام الرجلُ النومة فتقبضُ الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام نومةً فتقبض الأمانة من قلبه» .. إلى أن قال ﷺ: «فيصبح الناسُ يتبايعون لا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يُقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً حتى يقال للرجل: ما أجلده وأظرفه وأعقلهُ! وما في قلبه حبةٌ من خردلٍ من إيمان».

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٤٠٤).

(٢) «شعب الإيمان» (٦/ ٩٦)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٧٥).

يقول حذيفة: ولقد أتي عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً ليرُدَّنهُ عليَّ دينُه، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليرُدَّنَّه عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت لأُبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً[1].

ويقول حذيفة ﷺ: «ما من صباحٍ ولا مساءٍ إلا منادٍ ينادي: أيها الناس، الرحيل، الرحيل». -أي: استعدوا للرحيل-، فاليوم صحة وغداً مرض، اليوم حياة وغداً موت، اليوم غنى وغداً فقر، فاستعدوا للرحيل. فهنيئاً لمن خرج من هذه الدنيا على التقوى والإيمان، وخاب وخسر من رحل على الكفر والشرك.

قال حذيفة ﷺ: اقتربت الساعةُ وانشق القمر، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراقٍ، ألا وإن اليوم المضمار، وغداً السباق[2].

وقال رجلٌ لحذيفة ﷺ: أخشى أن أكون منافقاً.

فقال حذيفة له: لو كنت منافقاً لم تخش ذلك[3].

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٢)، ومسلم (١٤٣).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٦٥١)، «حلية الأولياء» (١/ ٢٨١).

(٣) «البيان والتبيين» (٢/ ١٤٠).



الخطبة الخامسة والثلاثون

معاذ بن جبل رضي الله عنه

مناقبه - رضي الله عنه-

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان، سبيلهم هو سبيل المؤمنين، هو سبيل النجاة، هو سبيل السعادة في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

• وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مُستنًّا فليستنّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا والله! أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلُّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

---

(١) تقدّم تخريجه.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: معاذ بن جبل رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاريّ الخزرجيّ المدنيّ البدريّ أبو عبد الرحمن.

كان طويلاً، حسناً، جميلاً.

شهد بيعة العقبة الثانية، وبدراً، والمشاهد كلها.

أعلم الأمة بالحلال والحرام.

عباد الله! وحديثنا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في هذا اليوم سيكون عن مناقبه.

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة جداً منها:

أولاً: محبة النبي ﷺ له وحرصُه على وصيته:

• يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: أخذ رسول الله ﷺ يوماً بيدي فقال لي: «يا معاذ والله! إني لأحبّك».

فقلت: بأبي أنت وأمّي، والله! إني لأحبّك.

قال: «يا معاذ إني أوصيك، لا تدعنّ أن تقول دُبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[1].

---

(١) «صحيح ابن خزيمة» (١/ ٣٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (٥/ ٣٦٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (١/ ٤٠٧)، و«السنن الصغرى» للبيهقي (ص٢٧)، و«سنن أبي داود» (١٥٢٢)، والنسائي في «المجتبى» (١٣٠٣)، و«مسند البزار» (٢/ ٤٣٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ٦٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود، وفي «المشكاة» (٩٤٩).

عباد الله! في الحديث فوائد:

الأولى: في قوله ﷺ: «والله!» جواز الحلف من غير استحلاف؛ لتأكيد الكلام وإقناع السامع.

الثانية: من قوله ﷺ: «والله! إني لأحبُّك» إعلام المحبوب بحبه.

وبذلك وصّى النبي ﷺ فقال: «إذا أحبَّ الرجلُ أخاهُ، فليخبره أنه يحبه»[1].

وعن أنس ﷺ: «أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل به فقال: يا رسول الله! إني لأحب هذا. فقال له رسول الله ﷺ: «أأعلمته؟»».

فقال الرجل: لا. فقال ﷺ: «أعْلِمْهُ».

فلحقه الرجل فقال: إني أحبك في الله.

فقال: أحبَّك الله الذي أحببتني فيه»[2].

• ويقول معاذ بن جبل ﷺ: أردت سفراً فقلت: يا رسول الله! أوصني.

فقال رسول الله ﷺ: «اعبد الله ولا تُشرك به شيئاً، واعمل لله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، واذكر الله تعالى عند كل حجر، وكل شجر، وإذا عملت سيئةً فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر، والعلانية بالعلانية»[3].

---

(١) «سنن أبي داود» (٥١٢٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه عليه.

(٢) «سنن أبي داود» (٥١٢٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٥٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود، كما ذكره في «المشكاة» (٥٠١٧)، وفي «الصحيحة» (٣٢٥٣).

(٣) «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٧٨)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٠)، وفي «الصحيحة» (١٤٧٥).

• وقال معاذ ﵁: يا رسول الله! أوصني.

قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت» قال معاذ: زدني.

قال ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحُها» قال معاذ: زدني.

قال ﷺ: «خالق الناس بخلق حسن»[1].

• ويقول معاذ ﵁: قال لي النبي ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟» قلت: وما هو؟

قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

• وعن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ «راكب» ورسول الله ﷺ يمشي تحت رجليه، فلما فرغ، قال ﷺ: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكى معاذ خشعا لفراق رسول الله ﷺ ثمَّ التفت -أي النبي ﷺ- بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»[3].

---

(١) «معجم الشيوخ» (١/ ١٣٩)، و«المعجم الصغير» (١/ ٣٢٠)، و«مسند ابن الجعد» (ص٦١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ١٤٤)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧)،وفي «الروض النضير» (٨٥٥).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٤١٥)، و«موارد الظمآن» (ص٦٢٠)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٢)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٣٥)، و«مسند البزار» (٧/ ٩١).

(٣) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٩٧)، و«مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤٢٢)، و«الآحاد والمثاني» (٤/ ٧٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٨/ ٣٥١).

أدلة على محبة النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأن النبي ﷺ كان حريصاً على وصيته، وهذه منقبة لمعاذ رضي الله عنه.

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه حرصه على دخول الجنة، والنجاة من النار:

• يقول معاذ رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟

قال ﷺ: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسّره الله تعالى عليه: تعبدُ الله ولا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت».

ثم قال ﷺ: «ألا أدلّك على أبواب الخير؟

الصوم جنة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يُطفِئُ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه».

قلتُ: بلى يا رسول الله.

قال: «رأس الأمر الإسلام، وعمُوده الصلاة، وذروة سنامِهِ الجهاد».

ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله! » قلت: بلى يا رسول الله.

فأخذ بلسانه وقال: «كُفّ عليك هذا» قلتُ: يا رسول الله! وإنا لمؤاخَذُونَ بما نتكلمُ به؟

فقال: «ثكلتك أمّك! وهل يكبّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!»[١].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ علمه بالكتاب والسنة، والحلال والحرام:

• قال ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب، وأفرضُهم زيد بن ثابت، وأعلمُهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٢].

• وقال ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل».

قال ابن عمر ﷺ: لا أدري بدأ بأُبيّ أو بمعاذ[٣].

• ويقول ابن مسعود ﷺ: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله. قال رجل: إنما ذاك إبراهيم! فقال ابن مسعود: إنما كنا نشبهه بإبراهيم.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٤٧)، و«سنن الترمذي» (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٣١)، و«مسند الطيالسي» (ص٧٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ٧٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه، وفي «الإرواء» (٤١٣)، و«التعليق الرغيب» (٤/ ٥-٦)، و«تخريج الإيمان» لابن أبي شيبة (٢/ ١-٢).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٧٩٠)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢١٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٥/ ٦٧)، وابن ماجه (١٥٤)، والحديث: صححه الألباني في تعليقه على «سنن الترمذي وابن ماجه»، وذكره في صحيح الجامع (٨٩٥).

(٣) «رواه البخاري» (٣٧٥٨).

وسئل عبد الله بن مسعود عن الأُمة: فقال معلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله[١].

• ويقول أبو إدريس الخولاني: دخلتُ مسجد دمشق فإذا فتى براقِ الثنايا، وإذا ناسٌ معه، إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقالوا: هذا معاذ بن جبل[٢].

عباد الله! ويأتي معاذ بن جبل ﵁ يوم القيامة أمام العلماء برتوة -أي بدرجة ومنزلة-[٣].

وهكذا فإن العلم يرفع أصحابه في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾.

رابعاً: ومن مناقبه ﵁ أن النبي ﷺ أرسله إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام، لعلمه وفقهه:

ويقول ابن عباس ﵄: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٥). و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٦٩)، «وتهذيب الكمال» (٢٨/ ١١٠)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٤٨).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٣٣٥)، و«المستدرك على الصحيحين» (٤/ ١٨٦)، و«موراد الظمآن» (ص٦٢١)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٣٦).

(٣) (المعجم الصغير» للطبراني (١/ ٣٣٥)، والمعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٢٩)، وانظر «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٣٣٥).

عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدّ على فقرائهم.

فإن هم أطاعوك بذلك، فإياك وكرائِمَ أموالهم.

واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

ابن آدم! احذر الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واعلم أن الله عز وجل يجيب دعوة المظلوم.

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباهُ إلى النّدمِ

تنامُ عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

• وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: أن النبيّ ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[2].

عباد الله! الداعية الأول في هذه الأمة هو رسول الله ﷺ، وقد قال الله عز وجل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٤٨﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨].

ويقول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨].

---

(١) البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).

(٢) البخاري (٢٨٧٣)، ومسلم (١٧٣٣).

عباد الله! من هاتين الآيتين، ومن الحديثين السابقين، تتضح لنا القواعد الذهبية، التي يجب على الدعاة إلى الله أن يسيروا عليها في دعوتهم.

من أخذ بها أفلح ونجح وانتفع الناس بدعوته، ومن خالف ذلك فشل، وازداد بدعوته من الله بعداً.

أما القاعدة الأولى فهي: أن يكون الداعي إلى الله على علم بالكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة وأن يدعو إلى الله، لا إلى حزب، ولا إلى تكتّل، ولا إلى جماعة.

ويؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ -أي على علم- ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

ومن إرساله ﷺ معاذ بن جبل، وهو كما علمتم من أعلم الأمة بالحلال والحرام، وبكتاب الله عز وجل.

إذا الذي يدعو الناس يجب أن يكون على علم بالكتاب والسنة، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، والذي يدعو الناس بغير علم يفسد أكثر مما يصلح، ويظن أنه يحسن صنعاً، وهو لا يزداد بدعوته تلك من الله إلا بعداً.

القاعدة الثانية: أن يكون الداعي إلى الله على علم بمن يدعوهم.

ويؤخذ هذا من قوله ﷺ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب».

وبذلك استعدّ معاذ لمواجهة أهل الكتاب؛ ليجادلهم بالتي هي أحسن.

القاعدة الثالثة: أن يبدأ الداعي إلى الله دعوته بالتوحيد.

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ لمعاذ ﷺ: «فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وفي الرواية الأخرى قال ﷺ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

وهذه هي دعوة الأنبياء جميعاً، ما من نبي جاء إلى قومه إلا بدأ بقوله ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وهذا ما فعله رسولنا ﷺ، ثلاثة عشرة عاماً وهو يدعو قومه إلى عبادة الله.

القاعدة الرابعة: التيسير على الناس.

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل: «يسّرا ولا تعسّرا».

فالله عز وجل قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

القاعدة الخامسة: التبشير، وعدم التنفير.

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل: «وبشّرا ولا تنفّرا».

ومن قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾.

فعلى الدعاة أن يُبشّروا الناس بأن الله يغفر الذنوب جميعاً،

وأن من تاب تاب الله عليه، وأن المستقبل لهذا الدين العظيم.

القاعدة السادسة: الاتحاد والاعتصام وعدم الاختلاف.

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل: «وتطاوعا ولا تختلفا» فإن الخير كله في الاتفاق، والشرّ كله من الاختلاف.

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه ثناء النبي ﷺ عليه:

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعم الرجل أبو بكر، نِعم الرجل عمر، نِعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح».

إلى أن قال ﷺ: «نِعم الرجل معاذ بن جبل»[1].

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه قربهُ من النبي ﷺ ومجاورته له:

• عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتينا معاذ بن جبل.

فقلنا: حدّثنا من غرائب حديث رسول الله ﷺ.

قال: نعم، كنت ردفه -أي خلفه- على حمار.

فقال: «يا معاذ بن جبل» فقلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «هل تدري ما حق الله على العباد؟» قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً».

ثم قال ﷺ: «يا معاذ» قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٤٥٩)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٥٩)، و«موارد الظمآن» (ص٥٤٧)، و«سنن الترمذي» (٣٧٩٥)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٥٠)، و«مسند أحمد» (٢/ ٤١٩)، و«الأدب المفرد» للبخاري (٣٣٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

قال: «أن لا يعذّبهم»[١].

عباد الله! إذا عبد الناس ربهم ولم يقعوا في الشرك، فإن الله عز وجل لن يعذّبهم يوم القيامة، وسيدخلهم الجنة.

أما إذا وقعوا في الشرك فإن الله عز وجل لا يغفر للمشركين أبداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض الخطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[٢].

• وسأل معاذ ﷺ رسول الله ﷺ عن أفضل الإيمان.

فقال ﷺ: «أفضل الإيمان أن تُحبَّ لله، وتبغض في الله، وتعمل لسانك في ذكر الله» قال معاذ: وماذا يا رسول الله؟

قال ﷺ: «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيراً أو تصمت»[٣].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) البخاري (٥٩١٢).

(٢) الترمذي (٣٥٤٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه عليه، وذكره في «الصحيحة» (١٢٧ و١٢٨)، و«الروض النضير» (٤٣٢)، و«التعليق الرغيب» (٢/ ٢٦٨).

(٣) «مجمع الزوائد» (١/ ٦١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٠/ ١٩١)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٤٧) والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

الخطبة السادسة والثلاثون

معاذ بن جبل رضي الله عنه

مواعظه - رضي الله عنه-

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه في الثناء على محمد ﷺ وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ قوم اختارهم الله؛ لصحبة نبيه، وإقامة دينه لا يحبّهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

• يقول الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته -عقيدة أهل السنة والجماعة-: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حبّ أحد منهم ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٧).

عباد الله! معاذ بن جبل رضي الله عنه، صحابيّ جليل من الصحب الكرام.

- قال فيه ﷺ: «... وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»[(١)].

- وقال ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة».

«وذكر منهم معاذ بن جبل»[(١)].

- وقال فيه ﷺ: «نِعم الرجل معاذ بن جبل»[(١)].

- وقال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: «إن معاذ بن جبل كان أمةً قانتاً لله»[(١)].

الأُمة هو معلم الناس الخير.

عباد الله! ومعاذ بن جبل رضي الله عنه يأتي يوم القيامة أمام العلماء بخطوة.

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن مواعظه.

الموعظة الأولى: معاذ بن جبل رضي الله عنه -أعلم الأمة بالحلال والحرام- يحثّ المسلمين على طلب العلم الشرعي، ومجالس العلم ويحثّهم على العمل بالعلم:

- قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «تعلّموا العلم؛ فإن تَعَلُّمَهُ لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربه.

---

(١) تقدم تخريجه.

لأنه معالم الحلال والحرام، ومنارُ أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمُحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء.

يرفع الله به أقواماً، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تُقتبس آثارهم، ويُقتدى بفعالِهم، ويُنتهى إلى رأيهم.

ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحُهم، يستغفر لهم كلّ رطب ويابس حتى الحيتان في البحر وهوامُه، وسباع الطير وأنعامُه.

لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظُلَمُ.

يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العُليا في الدنيا والآخرة.

التفكّر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال، والعمل تابعه.

يلهمه السعداء، ويُحرَمُه الأشقياء»[١].

• وقال ﷺ: «إن العلم والإيمان مكانَهُما إلى يوم القيامة من ابتغاهما وجدهما»[٢].

• وقال ﷺ: «اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يُؤجرَكم الله بعلم حتى تعملوا»[٣].

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٨٨).

(٢) «تهذيب الحلية» (١/ ١٨٣).

(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ١٨٥).

عباد الله! أخذ معاذ بن جبل ﷺ مواعظه في الحث على طلب العلم الشرعي ومجالس العلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن خلال هذه المواعظ يتبيّن لنا ما يلي:

أولاً: فضيلة العلم الشرعي ومجالس العلم.

• يقول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١].

• وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[٢].

• وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة! ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلّماً»[٢].

• وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً، سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضاً بما يصنع.

وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء.

وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

وإن العلماء ورثة الأنبياء.

وإنّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[٢].

---

(١) «مجمع الزوائد» (١/ ١١٩)، و«مصباح الزجاجة» (١/ ٣٠)، وابن ماجه (٢٢٤)، و«المعجم الأوسط» (١/ ٨)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه.

(٢) تقدم تخريجه.

• قال ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

• ويقول لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بنيّ تخيّر المجالس على عينك فإن وجدت قوماً يذكرون الله -أي يطلبون العلم- فاجلس معهم؛ فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله -أي لا يطلبون العلم- فلا تجلس معهم فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غيًّا، ولعل الله أن يطلع عليهم بنقمة فتصيبك معهم»(٢).

ثانياً: أن المسلم في هذه الدنيا يحتاج إلى العلم الشرعي أكثر من حاجته الى الطعام والشراب.

• فإن الإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب مرّة أو مرتين في اليوم، ولكنه يحتاج إلى العلم الشرعي مع كل نفس من أنفاسه.

ثم إن هذا الجسد يا عباد الله الذي خلق من التراب، وإلى التراب يعود يتغذّى على الطعام والشراب.

وأما الروح والقلب فحياتها بالعلم الشرعي، فإذا تعلّم الإنسان أحيى قلبه وروحه، وإن كان جاهل مات قلبه وروحه وإن دبَّ بين الأحياء.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ١١٧)، و«حلية الأولياء» (٩/ ٥٥).

• ولذلك لم يأمر ربّنا -جلَّ وعلا- رسوله ﷺ بطلب المزيد من المال أو الجاه، وإنما أمره أن يطلب المزيد من العلم الشرعي.

• فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝﴾ [طه:١١٤].

• وكان ﷺ يسأل ربّه بعد صلاة الفجر في كل يوم فيقول: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبّلاً، ورزقاً طيّباً»[١].

• ولقد امتنّ الله -عزّ وجل- على رسوله ﷺ بنعمة العلم؛ لأنها من أعظم النعم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝﴾ [النساء:١١٣].

ثالثاً: أن الحرص على طلب العلم الشرعي أفضل من الحرص على طلب المال.

• قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ﴾ [الكهف:٤٦] - ولا تكون إلا بالعلم- ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝﴾.

• وقال ﷺ: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خيرٌ له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهم من الإبل»[٢].

• وقال عليّ ﷺ: العلم خيرٌ من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تُنقصه النفقة، والعلم يزكو بالنفقة[٣].

---

(١) «مسند أحمد» (٦/ ٢٩٤).

(٢) رواه مسلم (٨٠٣).

(٣) «فيض القدير» (٦/ ٢٩٥)، و«حلية الأولياء» (١/ ٨٠).

• وقال بعض السلف: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردت الدنيا والآخرة فعليك بالعلم.

وقال القائل:

تزوّد من معاشك للمعاد وقم لله واجمع خير زاد[1]

ولا تجمع من الدنيا كثيرا فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

عباد الله! المال مع العلم الشرعي نعمة عظيمة على صاحبه، ويرفع صاحبه إلى أفضل المنازل، والمال مع الجهل نقمة على صاحبه ينزل به إلى أخبث المنازل.

ويقول ﷺ لأصحابه: «.. وأُحدِّثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتّقى فيه ربّه، ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه حقّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه اللهُ مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبّط في ماله بغير علم لا يتّقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء»[2].

---

(١) وهو زاد التقوى ولا يكون إلا بالعلم.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، و«مسند الإمام أحمد» (٤/ ٢٣١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٣٤٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

رابعاً: أن طلب العلم الشرعي جهاد في سبيل الله.

• قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

عباد الله! سمّى الله عزّ وجل طلب العلم الشرعي والخروج لطلبه نفيراً كملاقاة العدو.

• وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ -أي: بالقرآن وما نزل إليك بالحق -أي: بالعلم-. ﴿جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥٢].

• وقال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[(١)].

ومعلوم أن الجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة عليهم، ولا يكون هذا إلا بالعلم الشرعي.

• وقال ﷺ: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلّمه أو يعلّمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله»[(٢)].

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩١)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٢٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠)، وأبي داود (٢٥٠٤)، و«مسند الإمام أحمد» (٣/ ١٢٤)، والحديث صححه الشيخ الألباني في تعليقه على أبي داود.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٧)، والكتاني في «مصباح الزجاجة» (١/ ٣١)، و«مسند الإمام أحمد» (٢/ ٤١٨)، و«مسند أبويعلى» (١١/ ٣٥٩)، والحديث صححه الألباني في سنن ابن ماجه.

• وقال أبو الدرداء ﷺ: «من رأى الغدوّ والرواح في طلب العلم ليس بجهاد، فقد نقص عقله ورأيه».

• وقال ابن عباس ﷺ: «أفضل الجهاد: من بنى مسجداً فعلّم فيه القرآن والفقه والسنة».

خامساً: العلم الشرعي يورث صاحبه الخشية من الله تعالى.

• قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾.

• وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء].

فالعالم يعلم أنه من هذه الدنيا راحل، وأنه إلى ربه راجع وأنه أمام الله موقوف، وعن كل صغيرة وكبيرة مسؤول.

أما الجاهل فهو لا يعرف إلا الشهوات والملذّات، ولا ينتبه إلا إذا نزل به الموت، فيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

كما قال القائل:

أمـا والله لـو علـم الأنـام ... لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقـد خلقـوا لأمـر لـو رأتـه ... عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممـات ثـم قـبر ثـم حـشر ... وتـوبيخ وأهـوال عظـام

ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا

ونحـن إذا أمرنـا أو نهينـا كأهـل الكهـف إيقـاظ نيـام!

سادساً: أن العلم الشرعي يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة.

• قـال تعـالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة:١١].

يقول ابن عباس ﷺ: «يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الـذين لم يؤتوا العلم درجات».

عباد الله! وأفضل العلم هو كلام الله.

قال ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[١].

وقال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضعُ به آخرين»[٢].

وهذه الرفعة تكون في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة.

• أما في الدنيا: فإن رسول الله ﷺ يقول: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله»[٣].

وهذه رفعة له في الدنيا.

• أما في القبر: ففي غزوة أحد لما كثرت القتلى، وقلت الثياب.

كان يجمع الثلاثة والإثنين في قبر واحد.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩).

(٢) رواه مسلم (٨١٧).

(٣) رواه مسلم (٦٧٣).

ويسأل ﷺ: «أيهم أكثر قرآناً، فيقدم في اللحد»[١].

وهذه رفعة لصاحب القرآن حتى في القبر.

• أما في الآخرة: يقول ﷺ: «يُقال لصاحب القرآن -أي يوم القيامة- اقرأ وارقَ ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٢].

عباد الله! ولم يسوِّ ربنا جل وعلا بين أهل العلم وغيرهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾.

الموعظة الثانية: أمره بالوسطية والاعتدال في العبادة:

قال رجل لمعاذ بن جبل ﷺ: علّمني.

قال: وهل أنت مطيعي؟

قال الرجل: إني على طاعتك لحريص.

قال معاذ ﷺ: صم وأفطر، وصلِّ ونم، واكتسب ولا تأثم -أي لا تقترب من الحرام- ولا تموتنّ إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم[٣].

---

(١) وهذا جزء من حديث أصله في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٥١٩)، و«الأحاديث المختارة» (٧/ ١٧٧)، و«سنن البيهقي» (٤/ ١٠)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣٩)، و«موارد الظمآن» (ص٤٤٢)، والترمذي (٢٩١٤)، وأبي داود (١٤٦٤)، وقال عنه الألباني في «سنن أبي داود»: حيث حسن صحيح وهو في الصحيحة (٢٢٤٠).

(٣) «صفوة الصفوة» (١/ ٤٩٦).

عباد الله! أخذ معاذ ﷺ موعظته هذه من فعل وقول رسول الله ﷺ: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها -أي عدوها قليلة- وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم: كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

ومعاذ ﷺ يحذّر الرجل من دعوة المظلوم.

وذلك لأن النبي ﷺ عندما أرسله إلى اليمن قال له: «واتّق دعوة المظلوم؛ فإنها ليس بينها وبين الله حجاب».

الموعظة الثالثة: رجاءه ﷺ عند الموت:

لما حضرت الوفاة معاذاً ﷺ قال: اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك.

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[2].

(١) رواه البخاري (٤٧٧٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٦/ ١١٥).

أما نحن يا عباد الله فإنا نريد الحياة لجمع المال والوصول إلى المناصب، ثم يأتينا الموت وقد فرّطنا في جنب الله، فيندم أحدنا في وقت لا ينفع فيه الندم. فيا أيها الإنسان! أقبل على مجالس العلم ودروس العلم.

اللهم فقهنا في ديننا.



الخطبة السابعة والثلاثون

أبو الدرداء رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ من أحبهم وسلك سبيلهم سَعِدَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

• وقال ﷺ: «..وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي».

• وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه.

فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[١].

أصحاب محمد ﷺ مَن أبغضهم أو سبّهم أو سلك سبيلاً غير سبيلهم شقيَ في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

• وقال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **أبو الدرداء** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: الإمام القدوة، حكيم هذه الأمة، وسيد القرّاء بدمشق.

صاحب رسول الله ﷺ وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، الخزرجي الأنصاري.

عباد الله! وحديثنا عن أبي الدرداء رضي الله عنه سيكون عن مناقبه، ومواقفه، ومواعظه.

• أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

---

(١) «منهاج السنة» (١/ ١٦٦).

أولاً: أنه ﷺ من الأربعة الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ.

• يقول أنس بن مالك ﷺ: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[1].

ثانياً: من مناقبه ﷺ قربه وحرصه على التعلم من النبي ﷺ.

• يقول أبو الدرداء ﷺ: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وإن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحرّ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»[2].

• ويقول أبو الدرداء ﷺ: أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ بثلاث لا أدَعُهُنّ لشيء: أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأن لا أنام إلا على وتر، وسُبحةِ الضحى»[3].

• ويقول أبو الدرداء ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا الدرداء لا تختصّ ليلة الجمعة بقيام دون الليالي، ولا يوم الجمعة بصيام دون الأيام»[4].

ومع ذلك ترى كثيراً من الناس يخصون ليلة الجمعة بقيام من دون الليالي، ويصومون يوم الجمعة خاصة مفرداً من دون الأسبوع، فاعلم أن تخصيص ذلك لا يجوز شرعاً.

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٤٣)، ومسلم (١١٢٢).

(٣) أصله في مسلم (٧٢٢).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٦/ ٤٤٤)، والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ فقهه، وحرصه على تعليم الناس الخير.

• يقول أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كان فينا رجل لم تزل به أمُّه أن يتزوّج حتى تزوّج، ثم أمرته أن يفارقها -أي: يطلق زوجته- فرحل إلى أبي الدرداء بالشام، فقال: إن أمي لم تزل بي حتى تزوّجت، ثم أمرتني أن أفارق.

قال أبو الدرداء: ما أنا بالذي آمُرك أن تُفارق، وما أنا بالذي آمرك أن تُمسك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة» فاضِعْ ذلك الباب، أو احفظه.

قال: فرجع وقد فارقها[1].

• وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: قالي ليَ أبو الدرداء: أين مسكنك؟

قال: قلتُ: في قرية دون حمص.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من ثلاثة في قرية لا يُؤذَّنُ ولا تُقامُ فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإن الذئب يأكل القاصية -أي من الغنم- »[2].

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٦/ ٤٤٥)، والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٣٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥/ ٤٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٣٠)، و«موارد الظمآن» (ص١٢٠)، وأبي دود (٥٤٧)، والنسائي في «المجتبى» (٨٤٧)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٩٦)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على أبي داود والنسائي، وهو في «المشكاة» (١٠٦٧)، و«التعليق والرغيب» (١/ ١٥٦).

وهذا أمر منه ﷺ بالمحافظة على صلاة الجماعة.

• وعن قيس بن كثير قال: قدِمَ رجلٌ من المدينة -إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك يا أخي؟

قال: حديث بلغني أنك تُحدِّث به عن رسول الله ﷺ؟

قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا.

قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا.

قال: ما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنه ليستغفرُ للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء.

والأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافرٍ»[1].

رابعاً: من مناقبه ﷺ زُهده في الدنيا، وإقباله على عبادة ربه.

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٨٩)، والهيثمي في «موارد الظمآن» (ص٤٨-٤٩)، والترمذي (٢٦٨٢)، و«سنن الدارمي» (١/ ١١٠)، و«أبي داود» (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٩٦)، والحديث صححه الألباني في سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه.

• عن أبي جُحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء.

فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمّ الدرداء متبذِّلة -أي: لابسة ثياب المهنة، تاركة ثياب الزينة- فقال: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا -أي: في النساء- يصوم النهار، ويقوم الليل.

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له، كُلْ فإني صائم.

قال -أي سلمان-: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نمْ.

فلما كان آخر الليل قال سلمان: قُم الآن، فصلّيا جميعاً.

فقال له سلمان: إن لربّك عليك حقاً، وإنّ لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكَرَ له.

فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[1].

• يقول أبو الدرداء ﷺ: بُعِثَ النبي ﷺ وأنا تاجر، فأردت أن تجتمع لِيَ العبادة والتجارة، فلم يجتمعا، فرفضتُ التجارة وأقبلت على العبادة، والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما أحبّ أن لِيَ اليوم حانوتاً على باب المسجد، لا تُخطئني فيه صلاة، أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً، وأتصدق بها كلّها في سبيل الله.

(١) رواه البخاري (١٨٦٧).

قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟

قال: شدة الحساب[١].

-أي: يوم القيامة سيحاسبني ربي على هذا المال، ويسألني عنه سؤالين: من أين وفيما، المال حلاله حساب، وحرامه عذاب.

• وقال: ما يسرُّني أني أقوم على الدَّرج من باب المسجد، فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاث مئة دينار، وأشهد الصلاة كلها في المسجد لا أقول: إن الله تعالى لم يُحل البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»[٢].

• وقال أبو الدرداء ﷺ: يا أهل دمشق! فلمّا أقبلوا عليه، قال: ألا تستحيون؟! -ثلاث مرات- تجمعون مالاً تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وتبنون ما لا تسكنون!

ألا إنه قد كان قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بوراً، وأصبح أملهم غروراً، وأصبحت منازلهم قبوراً؛ ألا إن عاداً ملأت ما بين عدن وعُمان نعماً وأموالاً فمن يشتري منكم مال عادٍ بدرهمين؟»[٣].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٩).

(٢) «الحلية» (١/ ٢١٠).

(٣) «الحلية» (١/ ٢١٧).

قوم عاد «التي لم يخلق مثلها في البلاد» «الذين قالوا من أشد منا قوة» أين هم؟! ذهبوا. أين أموالهم؟ أين مساكنهم؟ ذهبت. ومع ذلك افتتن الناس بالدنيا ولم يتّعظوا بعاد وأمثالهم.

عباد الله! ومن مواقفه رضي الله عنه:

• يقول جبير بن نُفير: لما افتتحت قبرص فرّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت: ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟

قال: ويحك يا جُبير! ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك تركوا أمر الله، فصاروا كما ترى[1].

وكأنه يقول أخشى على الأمة الإسلامية إنهم إذا تركوا دينهم نزل بهم ما نزل بمن قبلهم. صدقت والله يا أبا الدرداء! فما نزل بالأمة من الذل والهوان إلا بعد أن تركوا دينهم، وتركوا أمر ربهم.

• ولذلك أخبر النبي ﷺ: أن هذا الذل لا يُرفع عن الأمة قال: «حتى ترجعوا إلى دينكم».

أو قال: «ترجعون إلى أمركم الأول»[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٢١٦-٢١٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٩٥)، وفي «الكبير» (٣/ ٢٤٩)، (٢٠/ ٤٣)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠٣)، وقال: وفيه عبدالله بن صالح وقد وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

عباد الله! أما مواعظه فهي كثيرة:

١- يقول أبو الدرداء ﷺ: لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت، لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلّون به، ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددتُ أني شجرة تُعضد ثم تُؤكل[1].

أجل لو يعلم كل منا ما يكون بعد الموت من قبر وحشر وحساب وجزاء ما أكل ولا شرب ولا نام ولكن الكثير منا في غفلة.

كما قال القائل:

أما والله لو علم الأنام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف إيقاظ نيامُ!

٢- وقال ﷺ: من أكثر ذكر الموت، قلّ فرحه وقلّ حسده[2].

٣- وقال ﷺ: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث.

---

(١) «الزهد للإمام أحمد» (ص١٧١).

(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٠).

أضحكني: مؤمِّلٌ بالدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يُغفلُ عنه، وضاحكٌ ملء فيه، ولا يدري أساخط ربه أم راضٍ!

وأبكاني: هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفي بين يدي الله؛ لا أدري أيُؤمَرُ بي إلى الجنة أم إلى النار(١).

٤- وقال ﭬ: أخوف ما أخاف يوم القيامة أن يقال لي: أعلمتَ أم جهلت؟

فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذتْ بفريضتها، الآمرة: هل ائتمرت؟ والزاجرة: هل ازدجرت؟

فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع(٢).

٥- وقال ﭬ: ابن آدم! طأ الأرض بقدمك.

فإنها عن قليل تكون قبرك.

ابن آدم! إنما أنت أيام، فكلما ذهب يوم، ذهب بعضُك.

ابن آدم! إنك لم تزل في هدم عمرك، منذ ولدتك أمك(٣).

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحلُ

ولم أرَ مثل الموت حقّا كأنه ... إذا ما تخطته الأمانيّ باطلُ

---

(١) «البيان والتبين» (٣/ ١٥١).

(٢) «صفوة الصفوة» (١/ ٣٢).

(٣) «الزهد الكبير» (٥١١).

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعلُ

ترحل من الدنيا بزادٍ من التقى ... فعمرك أيامُ وهُنَّ قلائل

٦- وتقول أم الدرداء ﷺ: لما احتضر أبو الدرداء.

جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟

من يعمل لمثل ساعتي هذه؟

من يعمل لمثل مضجعي هذا؟

ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1].

٧- وكان أبو الدرداء ﷺ يقعدُ إلى القبور، فقيل له في ذلك، فقال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي، وإذا قمت عنهم لم يغتابوني[2].

اللهم ارزقنا توبة نصوحاً قبل الموت.

---

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ٣٢٥).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٠٨).



الخطبة الثامنة والثلاثون

سعد بن معاذ رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **سعد بن معاذ** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

• هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأشهليّ الأوسيّ الأنصاريّ، أبو عمرو البدريّ الشهيد سيِّدُ الأوس.

• أسلم قبل الهجرة على يد مصعب بن عمير رضي الله عنه.

عباد الله! ولما أسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه وقف على قومه.

فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيّدنا فضلاً، وأيمننا نقيبةً.

قال: فإنّ كلامكم عليّ حرام - رجالكم ونساءكم- حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فوالله ما بقي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا[١].

عباد الله! وحديثنا عن سعد بن معاذ ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ دعا فاستجاب الله دعاءه.

• تقول عائشة ﷺ: رمى سعداً رجلٌ من المشركين -في غزوة الخندق- في أُكحله- وهو عرق الحياة- فقطعه.

فدعا الله -عزّ وجل- سعد فقال: «اللهم لا تُمِتني حتى تقرّ عيني من قريظة» -أي: في بني قريظة-.

قالت: وكانوا حلفاء مواليه في الجاهلية.

قالت: فرقأ كلمُهُ -أي: جُرحه- وبعث الله عز وجل الريح على المشركين فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً..

قالت ﷺ: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوضع السلاح وأمر بقبة من أدم -من جلد- فضربت على سعد في المسجد.

---

(١) «الثقات» (١/ ٩٨)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٨٦)، «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٦).

قالت: فجاء جبريل عليه السلام فقال: أو قد وضعت السلاح؟

والله! ما وضعت الملائكة -بعد- السلاح.

أُخرج إلى بني قريظة فقاتلهم.

قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته -وهي أداة الحرب كلها- وأذّن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ.

قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء؛ قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم: إنه الذبحُ قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ.

فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ» فنزلوا، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ؛ فأُتي به على حمار -وقد حُمِلَ عليه، وحفّ به قومه- فقالوا: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد علمت! فلم يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم؛ التفت إلى قومه فقال: قد أنى لي -أي: قد آن لي- أن لا أُبالي في الله لومة لائم.

فلما وصل إلى النبي ﷺ قال: «أنزلوه» فأنزلوه.

قال ﷺ له: «احكم فيهم».

قال سعد: فإني أحكُم أن تُقتلَ مُقاتِلَتُهم، وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله عز وجل وحكم رسوله».

وهذا هو الشاهد يا عباد الله فقد استجاب الله دعائه وأقرّ عينه في بني قريظة.

قالت رضي الله عنها: ثم عاد سعد فقال: «اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً؛ فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم؛ فاقبضني إليك».

قالت: فانفجر كلْمُهُ -أي جُرحه- وكان قد برئَ حتى ما يُرى منه إلا مثل الخَرْصَ -الحلقة الصغيرة-.

ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ، ومات رضي الله عنه.

عباد الله! وهذا شاهد أيضاً في أن الله استجاب دعاء سعد بن معاذ رضي الله عنه.

قالت رضي الله عنها: فوالذي نفس محمد بيده؛ إني لأعرف بكاء عمرُ من بكاء أبي بكرٍ وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

عباد الله! استجاب الله دعوة سعد؛ فأقر عينيه في بني قريظة، وقبضه إليه لما انقطعت الحربُ مع قريش.

ثانياً: من مناقبه رضي الله عنه أن عرش الرحمن اهتزّ لموته.

- قال ﷺ: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»[2].
- وقال ﷺ: وجنازة سعد موضوعة: «اهتز لها عرش الرحمن»[3].

---

(١) أخرجه كاملاً الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٨-١٦٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٦٣) مختصراً، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٤١)، وأخرجه البخاري مختصراً (٣٥٩٣)، ومسلم مختصراً (١٧٦٨)، والحديث حسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٩٢).

(٣) رواه مسلم (٢٤٦٧).

• وقال ﷺ عن سعد بن معاذ ﷺ: «هذا العبدُ الصالح الذي تحرك له العرش، وفُتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمّ ضمة ثم أُفرِجَ عنه»[1].

ثالثاً: من مناقبه ﷺ أن الملائكة نزلت من السماء لتحملَ جنازته.

• قال ﷺ -وجنازة سعد موضوعة-: «اهتز لها عرش الرحمن» فطفِقَ المنافقون في جنازته، وقالوا: ما أخفّها!.

فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «إنما كانت تحمله الملائكة معهم»[2].

• يقول أنس ﷺ: لما حُمِلَتْ جنازة سعد بن معاذ.

قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحُكمِه في بني قريظة فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «إن الملائكة كانت تحمله» [3].

• ولما خرجوا بجنازة سعد بن معاذ، قال القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفّ علينا منه.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١/ ٦٦٠)، وفي «المجتبى» (٢٠٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٩٩)، وفي «الكبير» (٦/ ١٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٣٠)، والحديث صححه الألباني في سنن النسائي «المجتبى» وفي «الصحيحة» (١٦٩٥).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٥٠٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٦/ ١٢)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩١٢).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٢٨)، و «سنن الترمذي» (٣٨٤٩)، و«مسند أبي يعلى» (٥/ ٣٧٧)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٣٦٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ١٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، وفي «المشكاة» (٦٢٢٨).

قال: «ما يمنعه أن يخف؛ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطّ قبل يومهم، قد حملوه معكم»[(١)].

• وقال ﷺ: «لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها»[(٢)].

رابعاً: من مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أخبر أنه من أهل الجنة.

• عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال: دخلتُ على أنس بن مالك فقال لي: مَنْ أنت؟ قلت: أنا واقدُ بن عمرو بن سعد بن معاذ.

فقال: إنك بسعد لشبيه، ثم بكى فأكثر البكاء.

قال: رحمة الله على سعد، كان من أعظم الناس وأطولهم.

ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى (أكيْدِرِ دَومَةَ)، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبة ديباجٍ منسوج فيها الذهب -ويحمل هذا أنه كان قبل تحريم الذهب على الرجال- فلبسها رسول الله ﷺ فقامَ على المنبر أو جلس، فلم يتكلم، ثم نزل، فجعل الناس يلمسون الجُبة، وينظرون إليها.

فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون منها؟!».

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨٧)، و«الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٢٨)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١١٥٨): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٠٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٣٣٤٥).

قالوا: ما رأينا ثوباً قطّ أحسن منه!

فقال رسول الله ﷺ: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن مما ترون»[١].

وهذا هو الشاهد.

وفي رواية:

قال ﷺ: «أتعجبون مِنْ هذا؟ فوالذي نفسي بيده؛ لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة خيرٌ منها»[٢].

خامساً: من مناقبه ﷺ أنّ النبيّ ﷺ دعا له عند موته.

• يقول رجل من الأنصار: «لما قضى سعد بن معاذ في بني قريظة رجع فانفجرت يده دماً، فبلغ ذلك النبي ﷺ.

فأقبل في نفر معه، فدخل عليه، فجعل رأسه في حِجْرِه.

فقال: «اللهم إن سعداً قد جاهد في سبيلك، وصدّق رُسُلكَ وقضى الذي عليه، فاقبل روحه بخر ما تقبلت به الأرواح»[٣].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فمنها:

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥١٠)، و«سنن الترمذي» (١٧٢٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩٤)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٢١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣١٠)، وقال الألباني في «الصحيحة» (٣٣٤٦): هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم.

(٣) «فضائل الصحابة لابن حنبل» (٢/ ٨٤٣)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

أولاً: موقفه ﭬ في غزوة بدر الكبرى.

عباد الله! وصلت الأخبارُ إلى رسول الله ﷺ أن قريشاً خرجت من مكة بكل ما تملكُ من قوة للقضاء على المسلمين بالمدينة.

فجمع النبي ﷺ أصحابه ليُشاورهم في الأمر.

فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله! امضِ لما أراك الله فنحن معك والله، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون! ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الغمادِ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

ثم قال رسول الله ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس؟ وإنما يريد الأنصار.

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ: والله! لكأنك تُريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ: أجل.

قال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامضِ يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تقرّ به عينك، فَسِرْ على بركة الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشّطه.

ثم قال ﷺ: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله! لكأني أنظرُ إلى مصارع القوم»[١].

الشاهد موقف سعد بن معاذ وهو يمثل رأي الأنصار عند الخروج لغزوة بدر.

ثانياً: موقفه ﷺ في غزوة أحد.

عباد الله! وفي غزوة «أحد» وعندما تفرق المسلمون تحت وقع المباغتة الداهمة التي فاجأهم بها جيش المشركين؛ كان سعد بن معاذ ﷺ هناك عند رسول الله ﷺ يُدافع عنه.

فهذا أنس بن النضر ﷺ في غزوة أحد -لما انكشف المسلمون- يقول: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني أصحابه- وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء -يعني المشركين-.

ثمّ تقدّم فاستقبله سعد بن معاذ -وهذا هو الشاهد-.

فقال: يا سعد بن معاذ الجنة وربِّ النضر! إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد بن معاذ: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.. » الحديث[٢].

ثالثاً: موقفه ﷺ في الولاء والبراء.

عباد الله! في غزوة الأحزاب لما غدرت بنو قريظة وحاصرهم النبي ﷺ ونزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺ.

---

(١) «انظر السيرة النبوية الصحيحة» لأكرم ضياء العمري (ص٣٥٨-٣٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١).

وأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأُتي به على حمار، وحفَّ به قومه وقالوا له: يا أبا عمرو! حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومَنْ قد علمت -يريدون بذلك أن يشفع لبني قريظة عند رسول الله ﷺ- فلم يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أنى ليَ ألا يأخذني في الله لومة لائم[١]..

فحكم فيهم بحكم الله ورسوله.

عباد الله! وقد طمعت بنو قريظة أن يشفع فيهم سعد بن معاذ؛ لأنه كان حليفاً لهم في الجاهلية، كما شفع عبد الله بن أُبَيّ بن سلول في بني قينقاع فوهبهم له رسول الله ﷺ.

ولكنهم أخطأوا القياس، فعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وولاء المنافقين للكفار، أما سعد بن معاذ فهو من سادات المؤمنين الصادقين -اهتزّ له عرش الرحمن لموته- فولاؤه لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

رابعاً: موقفه ﷺ في قول الحق أمام أبي جهل وأمية بن خلف في مكة.

• يقول ابن مسعود ﷺ: «انطلق سعد بن معاذ مُعتمراً فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرّ بالمدينة نزل على سعد.

فقال أمية لسعد: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغَفَلَ الناس انطلقت فطفت؟

فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: مَنْ هذا الذي يطوف بالكعبة؟

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٨).

فقال سعد: أنا سعد.

فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمناً، وقد آويتم محمداً وأصحابه؟

فقال: نعم. فتلاحيا -أي رفع كل واحد صوته على الآخر-.

فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيّد أهل الوادي.

ثم قال سعد: والله! لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنّ متجرك بالشام -أي لأقطعنّ طريقك إلى الشام-.

قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك -وجعل يُمسكه- فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعمُ أنه قاتِلُك.

قال -أي أمية-: إياي؟ قال: نعم.

قال: والله! ما يكذبُ محمد إذا حدّث.

فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي اليثربيّ؟

قالت: وما قال؟

قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي.

قالت: فوالله! ما يكذب محمد.

قال: فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخُ، قالت له -أي لأُمية- امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربيّ؟

قال: فأراد أن لا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك مِنْ أشراف الوادي فسرْ يوماً أو يومين، فسار معهم يومين، فقتله الله»[١].

وكان قتله كما تعلمون على يد بلال بن رباح وأناس من الأنصار.

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

(١) رواه البخاري (٣٤٣٣).

الخطبة التاسعة والثلاثون

سعد بن عبادة رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله عز وجل واصطفاهم لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

• قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الذين اصطفى» هم أصحاب محمد ﷺ. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون عن دينه»[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: سعد بن عبادة بن دُليم بن حارثة الخزرجيّ الساعديّ، الأنصاريّ المدنيّ، سيّد الخزرج.

---

(١) تقدم تخريجه.

عباد الله! لا يُذكر سعد بن معاذ، إلا ويُذكر معه سعد بن عبادة فالإثنان سيدا أهل المدينة.

«سعد بن معاذ» سيد الأوس.

و«سعد بن عبادة» سيد الخزرج.

وكلاهما أسلَمَ مبكّراً على يد مصعب بن عُمير رضي الله عنهم أجمعين.

عباد الله! وحديثنا عن سعد بن عبادة رضي الله عنه سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه كان باراً بأمه حتى بعد موتها.

• عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة سأل النبي ﷺ عن نذر كان على أمّه تُوفّيَت قبل أن تقضيه فقال ﷺ: «اقضِه عنها»[1].

• يقول عكرمة مولى ابن عباس: أنبأنا ابن عباس: أن سعد بن عبادة تُوفيت أمه وهو غائب عنها.

فقال: يا رسول الله! إنّ أمّي توفّيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟

قال ﷺ: «نعم».

---

(١) رواه البخاري (٢٦١٠).

قال: فإني أشهِدُك أن حائط المَخْرَفِ -أي: بستان المخرف- صدقة عليها»[١].

وهكذا الولد البار بوالديه، يبرّهما في حياتهما وبعد مماتهما.

لأن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢].

ثانياً: من مناقبه ﷺ أنه كان رجلاً غيوراً شديد الغيرة على أهله.

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال سعد بن عبادة: يا رسول الله! لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسّه حتى آتي بأربعة شهداء؟!

-وكان ذلك قبل نزول الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور:٦]-.

قال رسول الله ﷺ: «نعم».

قال: كلا، والذي بعثك بالحق إن كنتُ لأعاجله بالسيف قبل ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلى ما يقول سيّدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني»[٣].

---

(١) «مصنف عبدالرزاق» (٩/ ٥٩)، «مسند أحمد» (١/ ٣٣٣)، وإسناده صحيح على شرط البخاري «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه مسلم (١٤٩٨).

• وعن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة ﷺ: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفّح، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله؛ حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[1].

• ويقول ابن عباس ﷺ: لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور: ٤].

قال سعد بن عبادة، وهو سيد الأنصار: أهكذا أُنْزِلَتْ يا رسول الله؟

فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار: ألا تسمعون إلى ما يقول سيّدكم؟».

قالوا: «يا رسول الله! لا تلمه، فإنه رجل غيور! والله، ما تزوّج امرأة قط إلا بكراً، وما طلّق امرأة له قط، فاجترأ رجل منّا على أن يتزوّجها مِن شدة غيرته..» الحديث[2].

عباد الله! أين الغيرة؟ أين الشهامة؟ يا من سمحت لبناتك ونسائك بالتبرّج، أنسيت أنك راع في هذا البيت؟! أنسيت أن التبرّج حرام؟! أنسيت أن التبرّج هو الشرارة الأولى للزنا؟!

ومن مناقبه ﷺ أنه رجل كريم.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) «مجمع الزوائد» (٥/ ١١)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٧/ ٣٩٤)، و«مصنف عبدالرزاق» (٩/ ٤٣٤)، و«مسند الطيالسي» (ص٣٤٧)، و«مسند أبي يعلى» (٥/ ١٢٤)، و«مسند أحمد» (١/ ٢٣٨) والحديث: حسن «الموسوعة الحديثية».

• قال يحيى بن أبي كثير: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة جَفْنَة من ثريد في كل يوم تدور معه أينما دار من نسائه، يدل ذلك على كرم سعد ابن عبادة[١].

وتخبرنا بذلك عائشة رضي الله عنها وهي تخبر عن بناء النبي ﷺ بها.

• تقول عائشة رضي الله عنها: «.. ثم أقبلتْ أمي تقودني حتى وقفت بي عند الباب، وإني لأنهَجُ، ، حتى سكن من نفسي، ثم دخَلَتْ بي، فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار، فأجلستني في حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثبت الرجال والنساء، فخرجوا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نحرت عليّ جزور، ولا ذبحت عليّ شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنَة كان يُرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين»[٢].

هذا زواج خير البشر، كان بهذه البساطة، وبهذا اليسر.

• ويقول ابن سيرين: كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشِّيهم[٣].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧١).

(٢) «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٢٧)، و«مسند إسحاق بن راهوية» (٢/ ٥٨٩)، و«مسند أحمد» (٦/ ٢١٠) والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧٦)، و«تهذيب التهذيب» (٣/ ٤١٢).

• وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ استأذن على سعد بن عبادة فقال: «السلام عليكم ورحمة الله».

فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله. ولم يُسمع النبي ﷺ حتى سلّم ثلاثاً، وردّ عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعوه.

فرجَع النبي ﷺ -وهذه هي السنة التي غابت عن كثير من المسلمين،فالمسلم إذا استأذن ثلاثاً فلم يرد عليه أحد رجع- واتبعه سعد فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما سلمت تسلمة إلا هي بأُذُني، ولقد رددت عليك ولم أسْمِعْكَ، أحببتُ أن أستكثِر من سلامك، ومن البركة.

ثم أدخله البيت، فقرّب له زبيباً، فأكل نبي الله ﷺ فلما فرغ قال: «أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون»[1].

وهذا ذكر تقوله إذا أكلت عند إنسان، وأعلم أن النبي ﷺ لم يقرأ الفاتحة - كما نسمعها من كثير من المسلمين- إذا أكل عند إنسان.

عباد الله! وكان سعد بن عبادة يسأل ربه المزيد من فضله.

فيقول: اللهم هب لي مجداً، ولا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال اللهم لا يصلحني القليل، ولا أصلح عليه.

---

(١) «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٧/ ٢٨٧)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٣٨)، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

ولو كان منادياً ينادي على أُطمةٍ -وهو المكان المرتفع- مَنْ كان يريد الشحم واللحم فليأت سعد بن عبادة»[1].

كيف لا؟ وقد تربّى سعد بن عبادة على يد رسول الله ﷺ أكرم الناس.

الذي قال ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم».

وقال ﷺ: «إن الله تعالى جواد يحبّ الجود».

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فمنها:

أولاً: موقفه ﷺ في غزوة حُنين عندما قسّم رسول الله ﷺ الغنائم.

- يقول أبو سعيد الخدري ﷺ: «لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وَجَدَ الحيّ من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه.

فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله! إنَّ هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكُ في هذا الحي من الأنصار شيء.

قال ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟ ».

قال: يا رسول الله! ما أنا إلا امرؤٌ من قومي، وما أنا؟

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٨٤)، و«شعب الإيمان للبيهقي» (٢/ ٩٤).

قال ﷺ: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة».

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة..

فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحيّ من الأنصار.

قال: فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو له أهل.

ثم قال: «يا معشر الأنصار! مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله؟ وعالة، فأغناكم الله؟

وأعداءً، فألّف الله بين قلوبكم؟».

قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل.

قال ﷺ: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟».

قالوا: بما نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المنّ والفضل.

قال ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصُدِّقتم:

أتيتنا مُكذَّباً، فصدَّقناك، ومخذولاً، فنصرناك.

وعائلاً، فآسيناك، وطريداً، فآويناك.

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعَاعَةٍ من الدنيا، تألفت بها قوماً ليُسلِموا، ووكلتُكم إلى إسلامكم؟!

ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا أنتم برسول الله إلى رحالكم؟

فوالذي نفسي بيده، لولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار.

ولو سلك الناس شِعْباً لسلكت شعب الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكى القوم -ومعهم سعد بن عبادة- حتى أخضلوا لحاهم.

وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرّقوا[1].

ثانياً: موقفه ﷺ في غزوة بدر الكبرى.

• عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ شاور، حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه.

فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد؟

يا رسول الله! والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نُخيضَها البحر لأخضناها -يعني الخيل- ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها -كناية عن ركضها- إلى بَرْكِ الغِمَادِ -موضع بأقاصي هجر- لفعلنا.

قال: فندب رسول الله ﷺ الناس. فانطلقوا حتى نزلوا بدراً..» الحديث[2].

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٧٦)، والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه مسلم (١٧٧٩).

عباد الله! هذا موقف سعد بن عبادة ﷺ سيد الخزرج، وهو نفس موقف سعد بن معاذ ﷺ سيد الأوس كما بينا.

وهؤلاء هم الأنصار الذين أثنى الله عليهم في كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [الحشر: ٩].

وقال فيهم ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[١].

وقال ﷺ: «الأنصار لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[٢].

نشهدك يا ربّنا يا ذا الجلال والإكرام أننا نحب الأنصار، ونحب المهاجرين، ونسألك يا ذا الجلال والإكرام أن تجمعنا بالمهاجرين والأنصار مع رسولنا ﷺ في جنات النعيم، وأن تجعلنا ممن يتمسكون بمنهجم ويسلكون سبيلهم؛ لنسعد في الدنيا والآخرة.

اللهم فقهنا في ديننا.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٧٥).

الخطبة الأربعون

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال وصحابي من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا **عباد الله**؟

إنه: جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

• هو الصحابيّ الجليل، جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة من بني سلمة، أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، الأنصاريّ الخزرجيّ السلميّ.

• شهد بيعة العقبة، وهو من أهل بيعة الرضوان.

وشهد المشاهد كلها، إلا بدراً وأحداً، منعه أبوه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه من أجل أن يبقى عند أخوات له ليرعاهنّ، فلما استشهد أبوه في أُحد لم يتخلّف عن مشهد بعدها مع رسول الله ﷺ[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٨٩-١٩٤).

• يقول جابر ﷺ: «غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، لم أشهد بدراً ولا أحداً، منعني أبي.

قال: فلما قُتِلَ عبد الله يوم أُحد، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط»[١].

عباد الله! وحديثنا عن جابر بن عبد الله ﷺ سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ شَهِدَ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة وصلح الحديبية.

• قال جابر بن عبد الله ﷺ: «أنا وأبي وخالاي من أصحاب العقبة»[٢].

وبيعة العقبة هي: البيعة التي بايع فيها الأنصار رسول الله ﷺ على أنه إذا هاجر إليهم فإنهم يحمونه كما يحمون أنفسهم وأبناءهم ونساءهم وأموالهم.

ويقول كعب بن مالك ﷺ في شرف حضور بيعة العقبة: «ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لِيَ بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكُر في الناس منها»[٣].

• وقال جابر ﷺ: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة[٤].

---

(١) رواه مسلم (١٨١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٨).

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٦).

(٤) رواه البخاري (٣٩٢٣)، ومسلم (١٨٥٦).

• ويقول جابر ﷺ: «بايعنا نبيّ الله يوم الحديبية على أن لا نفرّ»[١].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ فقهه في الدين، وتمسكه بسنة رسول الله ﷺ.

• سأل الحسن بن محمد جابر بن عبدالله عن الغُسل من الجنابة.

فقال: تَبُلُّ الشعر، وتغسل البشرة.

قال: فكيف كان رسول الله ﷺ يغتسل؟

قال: كان يصُبّ على رأسه ثلاثاً.

قال: إن رأسي كثير الشعر.

قال: كان رأس رسول الله ﷺ أكثر من رأسك وأطيب[٢].

• وسأل محمد بن عباد بن جعفر جابر بن عبد الله الأنصاري وهو يطوف بالبيت: أسمعت النبي ﷺ ينهى عن صيام يوم الجمعة؟

قال: نعم، وربّ هذا البيت[٣].

فلا يجوز للمسلم أن يصوم يوم الجمعة منفرداً تطوعاً، ولكن إذا صام يوماً قبله جاز له ذلك.

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ عادَه في مرضه ونزلت فيه آية من كتاب الله.

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٢٩٢) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) أصله في البخاري (٢٥٣).

(٣) رواه مسلم (١١٤٣).

• يقول جابر ﷺ: «مرضت، فأتاني النبي ﷺ يعودني هو وأبو بكر ماشيين، وقد أُغمي علي فلم أكلّمه، فتوضأ فصبّه عليّ، فأقمت فقلت: يا رسول الله! كيف أصنع في مالي، ولي أخوات؟

قال جابر: فنزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ الآية [النساء: ١٧٦][1].

• ويقول جابر ﷺ: اشتكيت وعندي سبع أخوات لي، فدخل عليّ رسول الله ﷺ، فنضح في وجهي فأفقت.

فقلت: يا رسول الله! أوصي لأخواتي بالثلثين؟

قال: «أحسن»، قلت: بالشطر؟ قال: «أحسن».

قال جابر: ثم خرج وتركني، ثم رجع فقال: «يا جابر، إني لا أراك ميتاً من وجعك هذا.

فإن الله قد أنزل فبيّن الذي لأخواتك، فجعل لهنّ الثلثين».

قال: فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيّ:

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢٢٤)، و«سنن أبي داود» (٢٨٨٦)، و«مسند أحمد» (٣/ ٣٠٧)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية [النساء:١٧٦][١].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان باراً بوالده.

عباد الله! بالسمع والطاعة كان برّ جابر بن عبدالله لوالده في حياته.

• يقول جابر ﷺ أمر أبي بخزيرة -وهي نوع من الطعام- فصنعت، ثم أمر فحملتها إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وهو في منزله فقال: «ما هذا يا جابر! ألحم ذا؟».

قلت: لا، ولكنها خزيرة، فأمر بها فقُبضتْ -أي أُخذت مني- فلما رجعت إلى أبي، قال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟

فقلت: نعم. فقال: هل قال شيئاً؟

فقلت: نعم، قال: «ما هذا يا جابر! ألحم ذا؟».

فقال أبي: عسى أن يكون رسول الله ﷺ قد اشتهى اللحم!

فقام إلى داجن -وهي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم- عنده فذبحها ثم أمر بها فشويت، ثم أمرني فحملته إلى رسول الله ﷺ فأتيت إليه وهو في مجلسه ذلك.

فقال: «ما هذا يا جابر؟» فذكر جابر ما دار بينه وبين والده لرسول الله ﷺ.

فقال ﷺ: «جزى الله الأنصار عنّا خيراً، ولا سيما عبد الله بن عمرو بن حرام - وهو والد جابر- وسعد بن عبادة»[٢].

---

(١) «سنن أبي داود» (٢٨٨٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٤/ ٣٥٩)، و«مسند أحمد» (٣/ ٣٧٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٤٨٧)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٣١٧)، والحديث أورده الألباني في صحيح «موارد الظمآن» (١٩٢٥).

الشاهد يا عباد الله! أن جابر بن عبد الله كان باراً بوالده فيسمع له ويطيع، ويظهر لنا ذلك أيضاً عندما أمره أبوه أن يبقى عند أخواته؛ ليرعاهنّ- في غزوة بدر وأُحد - فاستجاب لوالده.

عباد الله! وكان جابر بن عبد الله ﷺ باراً بوالده حتى بعد موته، ويظهر ذلك من زواجه، ومن سعيه لقضاء الدين عن والده.

- أوصاه والده قبل موته بأخواته التسعة وبقضاء دينه.

- يقول جابر ﷺ: «لما حضر أُحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفسي رسول الله ﷺ وإني عليّ ديناً فاقضه، واستوصي بأخواتك خيراً.

فأصبحنا فكان أول قتيل، ودُفِنَ معه آخر في قبر، ثم لم تَطِب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته، غير أُذنِه»[1].

عباد الله! ومن زواج جابر يظهر لنا برّه بوالده.

- يقول جابر ﷺ: قال ليَ رسول الله ﷺ: «هل نكحت؟ ».

قلت: نعم. قال: «أبكراً، أم ثيباً؟ ».

قلت: ثيّباً -أي امرأة سبق لها الزواج-

قال: «فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك!».

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٦).

قلت: يا رسول الله! قُتِلَ أبي يوم أحد، وترك تسع بنات فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهنّ، ولكن امرأة تمشطهن، وتقوم عليهن. قال: «أصبت»[١].

وهذا من بره لوالده.

• ويقول جابر ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «تزوجت يا جابر؟ ».

فقلت: نعم، فقال: «بكراً أم ثيباً؟ ».

قلت: بل ثيباً، قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟!

فقلت له: إن عبد الله - وهو والده- هلك -أي مات- وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن. فقال: «بارك الله لك» أو خيراً[٢].

عباد الله! ويظهر لنا برّ جابر بوالده بعد موته من حرصه على قضاء الدَّين عن والده.

• يقول جابر ﷺ: انطلقت إلى رسول الله ﷺ في دَيْن كان على أبي، فأتيته فكأني شرارة[٣].

---

(١) «كتاب السنن» للبيهقي (١/ ١٦٨)،« مسند أحمد» (٣/ ٣٠٨) والحديث إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٢).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٢٩٧)، والحديث إسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

• يقول جابر ﷺ: إن أبي توفي وعليه دين، فأتيت رسول الله ﷺ وقلت له: إن أبي توفي وعليه دين، وليس عندي إلا ما يُخرج نخلُه، فلا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه -أي: في مدة سنين ما عليه من الدين- قال: فانْطَلِقْ معي لكي لا يُفحِش عليّ الغُرماء. فمشى حول بيدر من بيادر التمر، ثم دعا وجلس عليه، وقال: «أين غرماؤه؟». فأوفاهم الذي لهم، وبَقِيَ مثل الذي أعطاهم[1].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ قُربه من رسول الله ﷺ.

عباد الله! كان جابر بن عبد الله ﷺ قريباً جداً من رسول الله ﷺ في سفره وحضره، ويظهر ذلك من قول جابر ﷺ سافرنا مع رسول الله ﷺ، غزونا مع رسول الله ﷺ، رأيت رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ.. الخ.

ولذلك فقد حفظ لنا جابر ﷺ علماً كثيراً عن رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

١- يقول جابر ﷺ: سمعت النبي ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يُحسن بالله الظنّ»[2].

٢- ويقول جابر ﷺ: «أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة»[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) «صحيح ابن حبان» (٦/ ٤٥٦)، و«موارد الظمآن» (ص١٤٥)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ١٥٢)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٣٤٥)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٩٥) والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

٣- ويقول جابر ﷺ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ مُهلّين بالحج معنا النساء والولدان..»[١].

فوصف لنا جابر حجة النبي ﷺ كأنك تراها رأي العين، وهذا يدل على قربه من رسول الله.

٤- ويقول جابر ﷺ: «أكلت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر خبزاً ولحماً فصلّوا، ولم يتوضّؤوا»[٢].

٥- أخبر جابر بن عبد الله ﷺ: أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم فأدركتهم القائلة يوماً في واد كثير العِضاه، فنزل النبي ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ يستظلّ تحت ظل شجرة، فعلّق بها سيفه.

قال جابر ﷺ: فنمنا بها نومة، ثم إن النبي ﷺ يدعونا فأتيناه، فإذا عنده أعرابيّ جالس.

فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفه، وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال: من يمنعك مني؟

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٩/ ٢٢٧)، و«مسند أبي الجعد» (ص٣٨٤)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٩٢)، والحديث: إسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٥١)، و«مسند أبي يعلى» (٣/ ٤٦١)، و«مسند أحمد» (٣/ ٣٠٤) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

فقلت: الله. فقال: مَنْ يمنعك مني؟ فقلت: الله.

فشام سيفه وجلس، فلم يُعاقبه النبي ﷺ وقد فعل ذلك[1].

٦- ويقول جابر ﷺ: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فخطّ خطاً هكذا أمامه، فقال: «هذا سبيل الله»، وخطّين عن يمينه وخطين عن شماله، قال: «هذه سُبل الشيطان» ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣][2].

عباد الله! أما مواقفه فهي كثيرة جداً، نذكر منها موقفاً واحداً فقط، وهو كرمه في غزوة الخندق.

• يقول جابر ﷺ: «إنَّا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المِعوَل، فضرب فعاد كثيباً -أي: صار رملاً سائلاً- أهْيَلَ أو أهيم.

فقلت: رسول الله ائذن لي إلى البيت؟

فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً، ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٣).

(٢) «مسند عبد بن حميد» (١/ ٣٤٥)، «مسند أحمد» (٣/ ٣٩٧) والحديث: حسن لغيره «الموسوعة الحديثية».

قالت: عندي شعير وعناق، فذبحْتُ العَناق، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البُرمة -أي القدر من الحجر- ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبُرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج.

فقلت: طُعيِّم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان.

قال: «كم هو؟» فذكرت له.

قال: «كثير طيب» قال: «قل لها لا تنزع البُرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي»، فقال: «قوموا».

فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادخلوا ولا تضاغطوا».

فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم، ويخمّر البُرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرّب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقيّة، قال: «كلي هذا، وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة»(١).

عباد الله! ومن الأدلة على كرمه ﷺ.

• يقول جابر: أتيت النبي ﷺ أستعينه في دَيْن كان على أبي، قال: فقال: «آتيكم» قال: فرجعت فقلت للمرأة: لا تُكلّمي رسول الله ﷺ، ولا تسأليه قال: فأتانا، فذبحنا له داجناً كان لنا.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٧٥).

فقال: «يا جابر، كأنكم عرَفتم حبّنا للحم!».

قال: فلما خرج قالت له المرأة: صلِّ عليّ وعلى زوجي -أو صلِّ علينا-

قال: فقال: «اللهم صل عليهم» قال: فقلت لها: أليس قد نهيتك؟

قالت: ترى رسول الله ﷺ كان يدخل علينا، ولا يدعو لنا![1]

• هذا جابر بن عبد الله الصحابي الجليل.

أما أبوه فقد أخبر النبي ﷺ أن الله كلَّمه كِفاحاً وقال له: تمنّ، أُعطك.

• عن جابر ﭬ قال لقيني النبي ﷺ فقال لي:

«يا جابر! ما لي أراك منكسراً؟!».

فقلت: يا رسول الله! استشهدَ أبي، وترك عيالاً وديناً!

فقال: «ألا أبشرك بما لقي الله أباك؟!».

قلت: بلى يا رسول الله!

قال: «ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإن الله أحيى أباك فكلمه كِفاحاً، فقال: يا عبدي! تمنّ، أُعطك، قال: تحييني؛ فأُقتل قتلة ثانية، قال الله: إني قضيت أنهم لا يرجعون، ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2].

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٠٣)، والحديث: إسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠)، و«مصباح الزجاجة» (١/ ٢٧)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على ابن ماجه، والظلال (٦٠٢)، و«التعليق الرغيب» (٢/ ١٩٠-١٩١).

• وأخبر ﷺ أن الملائكة كانت تُظله بأجنحتها بعد استشهاده في غزوة أُحد.

قال جابر بن عبد الله ﭭ: «جيء بأبي يوم أُحد - قد مُثل بـه- حتـى وضـع بين يدي رسول الله ﷺ وسُجِّي ثوباً، فذهبت أريد أن أكشف عنه فنهاني قـومي ثم ذهبت أكشف عنه، فنهاني قومي، فأمر رسول الله ﷺ فرفع، فـسمع صـوت صائحة فقال: من هذه؟ فقالوا: ابنة عمرو -أو أخت عمرو- قال: فلـم تبكـي؟ إبكي أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفع»[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (١٢٣١).



الخطبة الحادية والأربعون

أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

• يقول ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبّهم أحبّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[(١)].

• وقال ﷺ: «من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[(٢)].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابي من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **أبو طلحة الأنصاريّ** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو زيد بن سهل بن النجار الأنصاريّ الخزرجيّ.

صاحب رسول الله ﷺ وأحد أعيان البدريين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

هو أبو طلحة الأنصاري ﷺ المشتهر بكنيته.

عباد الله! وحديثنا عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ سيكون عن إسلامه ومناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما إسلامه ﷺ.

يقول أنس ﷺ: قال: مالك - وهو أبو أنس- لامرأته أم سليم - وهي أم أنس-: إن هذا الرجل -يعني النبيّ ﷺ- يحرّم الخمر، فانطلق حتى أتى الشام، فهلك هناك.

فجاء أبو طلحة فخطب أم سليم، فكلمها في ذلك.

فقالت: يا أبا طلحة ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوّجك.

فقال أبو طلحة: ما ذاك دهرك.

قالت: وما دهري؟ قال: الصفراء والبيضاء -يعني الذهب والفضة-

فقالت أم سليم: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام فإن تُسلِم فذاك مهري، ولا أسألك غيره.

قال أبو طلحة: فمن لي بذلك؟

قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ.

فانطلق أبو طلحة يُريد النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه.

فلما رآه قال ﷺ: «جاءكم أبو طلحة غُرّة الإسلام بين عينيه».

فأخبر رسول الله ﷺ بما قالت أم سليم، فتزوجها على ذلك.

قال ثابت – وهو الراوي عن أنس-: فما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر أم سليم: الإسلام[١].

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها.

أولاً: أنه ﷺ كان رجلاً شجاعاً، مقداماً في أرض المعركة، جاهد في سبيل الله شاباً وشيخاً.

● في غزوة بدر:

يقول أبو طلحة ﷺ: لقد سقط السيف مني يوم بدر، لِما غشينا من النعاس[٢].

● في غزوة أحد:

يقول أنس ﷺ: «كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان رجلاً رامياً»[٣].

● وفي غزوة حنين:

يقول أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ يوم حنين: «مَن قتل رجلاً -أي كافراً- فله سَلَبُه».

فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، فأخذ أسلابَهم[٤].

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٤/ ٦٥)، و«مسند الطيالسي» (ص٢٧٣)، والنسائي في «المجتبى» (٣٣٤١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن النسائي المجتبى».

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٠) بدون ذكر «النعاس»، و «مسند أبي يعلى» (٣/ ١٩).

(٣) رواه البخاري (٣٦٠٠)، ومسلم (١٨١١).

(٤) «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٣٠٦)، «الأحاديث المختارة» (٤/ ٣٦٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٧٨)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٢٣)، وأبي داود (٢٧١٨)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

• وقال ﷺ: «صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة» .

وكان أبو طلحة يجثو بين يديه -أي النبي ﷺ- في الحرب ثم ينثُرُ كنانَتَه، ويقول: وجهي لوجهك الوقاء، ونفسي لنفسك الفداء[١].

• وقال ﷺ: «لصوت أبي طلحة أشد على المشركين من فئة»[٢].

• وقال ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»[٣].

• وعن أنس رضي الله عنه: أن أبا طلحة قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً؟! جهّزوني.

فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبِضَ.

وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر.

فنحن نغزو عنك!

---

(١) «مسند الحميدي» (٢/ ٥٠٦)، و«مسند أبي يعلى» (٧/ ٧١)، و«كتاب السنن» لأبي عثمان الخراساني (٢/ ٣٧١)، «مسند أحمد» (٣/ ٢٦١) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) «الأحاديث المختارة» (٥/ ٤٤)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٣١٢)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٠٣)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٤٠٧)، وقال الألباني في «الصحيحة» (١٩١٦) إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٩٧)، و«مسند الحارث» زوائد الهيثمي (٢/ ٩٢٧)، و«حلية الأولياء» (٧/ ٣٠٩)، والحديث صحيح.

فقال: جهّزوني، فجهّزوه.

وركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغيّر[1].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء:١٠٠].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان كريماً.

• يقول أنس ﷺ: بعثني أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ لأدعوه، وقد جعل له طعاماً، فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس قال: فنظر إليّ، فاستحييت.

فقلت: أجب أبا طلحة.

فقال ﷺ للناس: «قوموا».

فقال أبو طلحة: يا رسول الله! إنما صنعت شيئاً لك.

قال: فمسّها رسول الله ﷺ، ودعا فيها بالبركة.

ثم قال ﷺ: «أدخِلْ نفراً من أصحابي، عشرة».

فقال ﷺ: «كلوا» فأكلوا حتى شبعوا، وخرجوا.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ١١٤)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ١٣٨)، و«الآحاد والمثاني» (٣/ ٤٤٤)، و«الزهد» لابن أبي عاصم (١/ ٢٥١)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٨٩٧).

وقال: «أدخل عشرة» فأكلوا حتى شبعوا.

فما زال يُدخل عشرة، ويُخرج عشرة، حتى لم يَبقى منهم أحد إلا دخل فأكل حتى شبع، ثم هيأها، فإذا هي مثلها حين أكلوا منها[1].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أعطاه نصف شعر رأسه عندما حلق في حجة الوداع.

• يقول أنس ﷺ: لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ونحر نُسُكه وحلق. ناول الحالق شِقّه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه، ثم ناوله الشقّ الأيسر فقال: «احلق».

فحلقه، فأعطاه أبا طلحة. فقال: «اقسمه بين الناس»[2]..

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه هو الذي لحد لرسول الله ﷺ في قبره.

• يقول ابن عباس ﷺ: لما أرادوا أن يحفروا الرسول الله ﷺ وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرحُ كحَفرِ أهل مكة، وكان أبو طلحة يحفر لأهل المدينة فكان يلحد.

فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة.

وللآخر: اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خِرْ لرسولك.

قال: فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٠).

(٢) رواه مسلم (١٣٠٥).

(٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ٤٠٧)، و«مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٦)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٣١)، و«مسند أحمد (١/ ٨) والحديث: صحيح بشواهدِه «الموسوعة الحديثية».

وهذه منقبة عظيمة لأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان يُكثر من الصيام بعد وفاة النبي ﷺ.

• يقول أنس رضي الله عنه كان أبو طلحة لا يكثر الصوم -أي: للجهاد- على عهد رسول الله ﷺ، فلما مات النبيّ ﷺ كان لا يُفطر إلا في سفر أو مرض[1].

• ويقول أنس رضي الله عنه: «كان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي ﷺ -أي صوم نافلة- من أجل الغزو، فلما قُبِضَ النبي ﷺ لم أرَهُ مُفطِراً إلا يوم فِطر أو أضحى»[2].

عباد الله! أما مواقفه رضي الله عنه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موقفه رضي الله عنه في الإنفاق في سبيل الله.

• يقول أنس رضي الله عنه: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحب أمواله إليه بَيرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس رضي الله عنه: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرُحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذُخرَها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله.

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ١٠٤)، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه البخاري (٢٦٧٣).

فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح! ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين».

فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله.

فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»[1].

فتعلّموا يا عباد الله كيف تتصدقون، وأحب الأموال ادخروها لأنفسكم عند الله.

ثانياً: موقفه ﷺ عندما حرّم الله الخمر.

• يقول أنس ﷺ: كنت ساقيَ القوم يوم حُرّمت الخمر قال: وكان أبو طلحة قد اجتمع إليه بعض أصحابه.

فجاء رجل فقال: ألا إن الخمر قد حُرِّمت.

قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فانظر.

قال أنس: فخرجت فنظرت، فسمعت منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حُرِّمت.

قال أنس: فأخبرته.

قال أبو طلحة: اذهب فأهرِقْها.

قال أنس: فجئت فأهْرَقتُها[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٢).

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٤).

• وفي رواية قال أنس: «.. فما قالوا: حتى ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس أكفئ ما بقي في إنائك. قال أنس: فوالله ما عادوا فيها.. »[١].

• ويقول أنس ﷺ سأل أبو طلحة رسول الله ﷺ عن أيتام ورثوا خمراً فقال ﷺ: «أهرِقْها» قال أبو طلحة: أفلا نجعلها خلاًّ؟

قال ﷺ: «لا»[٢].

• ألم أقل لكم أنهم رجال اختارهم الله لصحبة نبيّه، ونصرة دينه؟

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

فرضي الله عنك يا أبا طلحة ورضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ وجمعنا الله بك مع رسولنا ﷺ في جنات النعيم.

ثالثاً: موقفه ﷺ هو وزوجته أم سليم في الصبر على موت ولديهما.

• يقول أنس ﷺ: «اشتكى ابن لأبي طلحة فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتُوفِّيَ الغلام، فهيأت أم سليم الميت.

وقالت لأهلها: لا يُخبِرنّ أحد أبا طلحة بوفاة ابنه.

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ١٨١)، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ١١٩)، والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه قال: ما فعل الغلام؟

قالت: خير ما كان.

فقرّبت إليهم عشاءهم فتعشّوا، وخرج القوم.

وقامت المرأة إلى ما تقوم إليه المرأة -أي لزوجها-.

فلما كان آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتّعوا بها، فلما طُلِبَتْ كأنهم كرهوا ذاك.

قال أبو طلحة: ما أنصَفوا.

قالت: فإن ابنك كان عارية من الله تبارك وتعالى وإن الله قبضه.

فاسترجَعَ وحمِد الله -هذا هو الشاهد- فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ.

فلما رآه قال: «بارك الله لكما في ليلتكما».

فحملت بعبد الله.. »[1].

يقول الراوي رأينا خرج من صُلِب هذا الغلام عشرة يحفظون كتاب الله ببركة دعاء النبي ﷺ.

رابعاً: موقفه ﭬ في غزوة أحد حيث يُظهر فيه الشجاعة والإقدام، والتضحية والدفاع عن رسول الله ﷺ.

---

(١) «مسند أحمد» (٣/ ١٠٥)، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

• يقول أنس ﷺ: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ -أي: مسترٌعليه- أي: يستره - بحجفة له- أي: بترس من جلد.

وكان أبو طلحة رجلاً رامياً، شديد النزع، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثاً.

وكان الرجل يمرّ بجعبةٍ – الجُعبة: الكنانة- من النبل فيقول -أي النبي ﷺ: «انثرها لأبي طلحة»، ويُشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي! لا تُشرف؛ يصيبُك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك يا رسول الله.. »[1] الحديث.

هؤلاء هم الرجال! ولذلك أمرنا الله تعالى أن نسلك سبيلهم، وأن نكون مثلهم وأن نتشبه بهم. فهنيئاً لمن سلك سبيل هؤلاء؛ الذين تربوا على يد رسول الله ﷺ، واعتزوا بالإسلام، فأعزهم الله بالإسلام.

• وعن أنس ﷺ: أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي رسول الله ﷺ -أي في غزوة أحد- فكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه؛ لينظر أينَ يقع نبله.

فيتطاول أبو طلحة بصدره؛ يتّقي به رسول الله ﷺ؛ يقول: هكذا يا نبيّ الله! جعلني الله فداك، نحري دون نحرك[2].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٣٧).

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٠/ ٤٤٣)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٩٨)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٠٥)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٨٩٦).



الخطبة الثانية والأربعون

أنس بن مالك رضي الله عنه

عباد الله! قال تعالى في وصف أصحاب محمد ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

عباد الله! فأصحاب محمد ﷺ هم الرجال، وهم الصادقون، وهم المؤمنون حقاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام .. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: أنس بن مالك رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو أنس بن مالك الأنصاريّ الخزرجيّ البخاريّ المدنيّ.

أبو حمزة، المحدّث، المقرئ، راوية الإسلام، الإمام، المفتي.

خادم رسول الله ﷺ، وآخر الصحابة موتاً.

أمُّهُ: أم سُليم رضي الله عنها التي بشرها النبي ﷺ بالجنة فقال: «أُريتُ الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة.. الحديث»[1].

أخوه: البراء بن مالك رضي الله عنه الذي كان إذا أقسم على الله؛ أبرّ قسمه.

قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر، ذي طِمرين، لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره؛ منهم البراء بن مالك»[2].

وزوج أمه: أبو طلحة الأنصاريّ رضي الله عنه.

عباد الله! وحديثنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه سيكون عن مناقبه ومواعظه.

• أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: إنه رضي الله عنه كان خادماً لرسول الله ﷺ عشر سنين.

عباد الله! خدم أنس بن مالك رضي الله عنه رسول الله ﷺ عشر سنين، منذ أن هاجر النبي ﷺ إلى أن مات ﷺ.

• يقول أنس رضي الله عنه: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات ﷺ وأنا ابن عشرين سنة، وكن أمهاتي يحثثني على خدمة رسول الله ﷺ »[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٥٧).

(٢) «الأحاديث المختارة» (٤/ ٤٢٠)، «سنن الترمذي» (٣٨٥٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، و«المشكاة» (٦٢٣٩).

(٣) رواه مسلم (٢٠٢٩).

• ويقول أنس ﷺ: ما مَسِسْتُ ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممْت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ[١]، ولقد خدمْتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لِيَ قطّ: أفٍّ، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟[٢].

• وقال أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً»[٣].

• وقال أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان من أشجع الناس»[٤].

فصَحِبَ أنس نبيّه ﷺ أتمّ الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات.

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ دعا له.

• يقول أنس ﷺ: قالت أم سليم -وهي أم أنس- يا رسول الله! خادمك أنس. ادع الله له.

فقال ﷺ: «اللهم: أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٨)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) رواه البخاري (٥٦٩١)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) رواه البخاري (٥٨٥٠)، ومسلم (٦٥٩).

(٤) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٣٨٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٩/ ١٧٠)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٧٢)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٤٧)، والحديث صححه الألباني في ابن ماجه، و«الإرواء» (٢٤٤٨).

(٥) رواه البخاري (٥٩٧٥).

• ويقول أنس ﷺ: جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزّرتني بنصف خمارها وردّتني بنصفه.

فقالت: يا رسول الله! هذا أنس، ابني، أتيتُك به يخدمك، فادع الله له. فقال ﷺ: «اللهم أكثر ماله وولده».

قال أنس: فوالله! إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون -أي يبلغ عددهم- على نحو المائة اليوم[١].

• ويقول أنس ﷺ دخل النبي ﷺ على أم سليم، فأتته بتمرٍ وسمنٍ، فقال ﷺ: «أعيدوا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه فإني صائم». ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة».

فدعا لأم سليم وأهل بيتها.

فقالت أم سليم، يا رسول الله! إن لي خويّصة -أي الذي يختص بخدمتك- قال ﷺ: «ما هي؟ ».

قالت: خادمك أنس.

يقول أنس: فما ترك ﷺ خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به.

قال ﷺ: «اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له».

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨١).

يقول أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدّثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لـصُلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة»[1].

• ويقول أبو العالية عن أنس ﷺ: خدم النبي ﷺ عشر سنين ودعا له، وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك[2].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ صُحبته وقربه من النبي ﷺ.

عباد الله! أنس بن مالك ﷺ صحب وخدم النبي ﷺ عشر سنوات كاملات، نهل فيها من هديه ما زكّى به نفسه.

ووعى من حديثه ما ملأ به صدره، وعرف من أحوال النبي ﷺ وأخباره وأسراره وشمائله ما لم يعرفه أحد سواه.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ - كان النبي ﷺ يخصُّه ببعض العلم. فلقد نقل أنس عن النبي ﷺ أنه طاف على تسع نسوة -أي من نسائه- في ضحوة بغسل واحد.

• قال أنس ﷺ: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة.

---

(١) رواه البخاري (١٨٨١).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٨٣٣)، قال الألباني في تعليقه على الترمذي: صحيح، وفي «الصحيحة» (٢٢٤١).

قال: قلت لأنس: أو كان يُطيقه؟

قال: كنا نتحدّث أنه أُعطي قوة ثلاثين.

وقال سعيد عن قتادة إن أنساً حدّثهم: تسع نسوة(١).

٢- كان النبي ﷺ يخصّه ببعض الأسرار.

• يقول أنس ﷺ: أتى عَلَيّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان.

قال: فسلّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي.

فلما جئت، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة.

قالت: ما حاجته؟

قلت: إنها سرّ. قالت: لا تحدِّثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله! لو حدثت به أحداً لحدّثتك يا ثابت! (٢)

• ويقول أنس ﷺ: أسرّ إليّ نبيّ الله ﷺ سراً، فما أخبرت به أحداً بعد، ولقد سألتني عنه أم سليم - وهي أمه- فما أخبرتها به(٣).

تعلَّموا يا عباد الله كيف يحفظ الإنسان السر من أنس بن مالك؛ فنحن في زمانٍ المرأة تفشي سرّ زوجها - بل ما يكون في غرفتها بينها وبين زوجها- للنساء، وكذلك الرجل.

(١) رواه البخاري (٢٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٤٨٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢٤٨٢).

٣- وكان ﷺ أعلمُ الناس بصفات رسول الله ﷺ لقربه منه.

• يقول أنس ﷺ: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس.. الحديث»[١].

٤ - كان أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزِلَ على رسول الله ﷺ.

• يقول أنس ﷺ: «.. فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل، وكان أول ما أنزل: ابتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، أصبح رسول الله ﷺ بها عروساً، فدعا القوم، فأصابوا من الطعام.. وهي وليمة العرس - وفي هذا دليل على أن الوليمة تكون بعد العُرس - ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند رسول الله ﷺ فأطالوا المُكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه، لكي يخرجوا فمشي رسول الله ﷺ، ومشينا معه، حتى جاء عتبة حُجْرة عائشة وظنّ رسول الله ﷺ أنهم خرجوا، فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب رسول الله ﷺ بيني وبينهم بسترٍ وأنزل الله عز وجل الحجاب»[٢].

• ويقول أنس ﷺ: لما نزلت آية الحجاب جئت أو دخلت كما كنت أدخل، فقال ﷺ: «وراءك يا بنيّ»[٣].

إنه الشرع، والأدب، والدين، إنه الفصل بين الرجال والنساء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٤٨٧١).

(٣) «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٣)، و«مسند أحمد» (٣/ ١٣٣)، و«مسند أبي يعلى» (٧/ ٢٦٣).

لأن الرسول ﷺ يقول: «إياكم والدخول على النساء!» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت!»[(١)].

فلتكن النساء مع النساء، والرجال مع الرجال.

٥- وكان ﷺ قريباً من رسول الله ﷺ حتى في سكرات الموت.

• يقول أنس ﷺ: «كانت عامّة وصيّة رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم».

حتى جعل رسول الله ﷺ يُغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض -أي: يبين- بها لسانه»[(٢)].

٦- بل كان ﷺ قريباً من رسول الله ﷺ حتى بعد موته، وعند وضعه في قبره.

تعالوا بنا لنستمع إلى أنس بن مالك ﷺ وهو يخبرنا عن اللحظات الأخيرة من صحبته لرسول الله ﷺ.

يقول أنس: لما ثَقُلَ النبي ﷺ، جعل يتغشّاه الكربُ -من شدة سكرات الموت- فقالت فاطمة ﷺ: واكرب أبتاه!

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٤)، ومسلم (١٢٧٢).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٩)، و«الأحاديث المختارة» (٧/ ٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٥/ ٣٤٧)، و«الجامع الصغير للسيوطي» (ص٣٧٥)، و«مسند أحمد» (٣/ ١١٧) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

فقال ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».

فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه! جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه؛ فلما دُفِنَ.

قالت فاطمة ﷺ: أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟[١]

• وعن أنس ﷺ قال: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرت قلوبنا»[٢].

فرضي الله عنك يا أنس، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ. وجمعنا الله بهم وبنبينا ﷺ في جنات النعيم.

عباد الله! أما مواعظه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موعظته في حفظ اللسان.

• قال أنس ﷺ: لا يتقي الله عبد حتى يخزن من لسانه[٣] -أي: لا يتقي الله عبد حتى يسجن لسانه عن الخوض في الباطل-.

---

(١) رواه البخاري (٤١٩٣).

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٤/ ٦٠١)، و«سنن الترمذي» (٣٦١٨)، وابن ماجه (١٦٣١)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٦٨)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ٥١)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٣٨٦) وفي جميعها «أنكرنا» بدل «أنكرت»، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

(٣) «الزهد لابن حنبل» (ص٢٧).

وصدق والله، فإن حصائد اللسان، هي التي تكب الناس في النار على وجوههم، فعن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال له - بعد أن دلّه على أبواب الخير-: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله! ».

قلت: بلى يا رسول الله.

فأخذ بلسانه وقال: «كفَّ عليك هذا».

قلت: يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك! وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟»[(١)].

• وصدق والله أنس بن مالك ﷺ فإن النجاة في إمساك اللسان.

قال رجل: يا رسول الله! ما النجاة؟

قال: «امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[(٢)].

• وقال ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه -أي اللسان- وما بين رجليه أضمن له الجنة»[(٣)].

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٦١٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٣)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٢٠/ ١٣١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٢٧٠)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٥٩)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي وفي «الصحيحة» (٨٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦١٠٩).

• وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١].

• وقال ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تُكفرُ اللسان تقول: اتـق الله فينا؛ فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[٢].

فالرجل إذا اعوجّ لسانه، اعوجّت أعضاؤه.

وإذا استقام لسانه، استقامت أعضاؤه.

ثانياً: موعظته في غض البصر.

• يقول أنس رضي الله عنه: إذا لقيت امرأة فغمض عينيك حتى تمضي[٣].

أي: إذا مررت بامرأة فاصرف بصرك عنها، وإلا ستدمر! وصـدق والله فـإن المرأة فتنة.

• وقال ﷺ: «.. فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن فتنـة بنـي إسرائيـل كانـت في النساء»[٤].

• وقال ﷺ: «المرأة عورة، فإذا خرجت -أي من بيتها- استشرفها الشيطان»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم.(٤٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وحسّنه الألباني في تعليقه عليـه وفي «المشكاة» (٤٨٣٨)، التحقيـق الثاني.

(٣) «كتاب الزهد لابن أبي عاصم» (ص٢١١)، و «الزهد» لابن حنبل (ص٢٥٩).

(٤) رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٥) «صحيح ابـن خزيمـه» (٣/ ٩٣)، «صحيح ابـن حبـان» (١٢/ ٤١٢)، و«سـنن الترمـذي» =

• وقال ﷺ: «إن المرأة تُقبِلُ في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله؛ فإن ذلك يردّ ما في نفسه»(١).

وذلك حتى لا تفتن.

ولقد أمرنا الله عز وجل في كتابه بغض البصر.

فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

ثالثاً: مواعظه رضي الله عنه في التحذير من الاستهانة بالمعاصي والذنوب.

قال أنس رضي الله عنه: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدُّها على عهد النبي ﷺ من الموبقات»(٢). والموبقات: المهلكات.

وصدق والله رضي الله عنه، فإن كثيراً من الناس استهانوا بالمعاصي فاقترفوها، والنبي ﷺ يقول محذّراً أمته من ذلك: «إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهنّ يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، كرجل كان بأرض فلاة، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل

=(١١٧٣)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٣٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٠/ ١٠٨)، والحديث صححهالألباني في تعليقه على الترمذي وفي «المشكاة» (٣١٠٩)، «الإرواء» (٢٧٣)، و«صحيح الجامع» (٦٦٩٠).

(١) «صحيح ابن حبان» (١٢/ ٣٨٤)، و«المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم» (٤/ ٦٦)، و«مسند أحمد» (٣/ ٣٣٠)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٤٠)، وفي «الصحيحة» (٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٧).

يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سواداً وأجّجوا ناراً، فأنضجوا ما فيها»[1].

ومن هذه المعاصي التي استهان بها كثيراً من الناس:

١- الشرك: فكم من المسلمين يدعون غير الله، ويستغيثون بغير الله ويطوفون بالقبور ويذبحون لغير الله.

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣].

٢- الذهاب إلى السحرة والمشعوذين:

والرسول ﷺ يقول: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزِل على محمد»[2].

٣- التدخين: هذا البلاء الذي عمّ وطمّ، ولم يسلم منه الرجال والنساء حتى الصبيان إلا من رحم ربك.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢١٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٠٢)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٨٧)، و«مسند الطيالسي» (ص٥٣)، والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٢٦٨٧)، و«الروض النضير» (٣٥١).

(٢) اخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٢٣)، وفي «الكبير» (١٠/ ٧٦)، و«مسند إسحاق بن راهوية» (١/ ٤٣٤)، و«مسند أبي يعلى» (٩/ ٢٨٠)، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٣٩)، وفي «المشكاة» (٤٥٥٩).

والتدخين حرام، والأدلة على حرمته كثيرة منها:

• أنه خبيث، وكل خبيث حرام.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤]. ففهم من ذلك أن الخبائث حرام.

قال تعالى في وصف محمد ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فكُل طيب حلال، وكل خبيث حرام، والدخان خبيث فهو حرام.

• أنه يضر بالصحة وبالناس.

والرسول ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار»[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝﴾ [النساء:٢٩].

• وفي التدخين إسراف وتبذير، وإنفاق للأموال في معصية الله.

٤- سفر المرأة بدون محرم.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦)، والهيثمي في «الزوائد» (٤/ ١١٠)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٦٩)، و«سنن الدارقطني» (٤/ ٢٢٧)، و«مسند الشافعي» (ص٢٢٤)، وابن ماجه (٢٣٤١)، و«مسند الإمام أحمد» (١/ ٣١٣)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن ابن ماجه» وفي «الصحيحة» (٢٥٠).

وسفر المرأة بدون محرم حرام يا عباد الله حتى لو كان إلى الحج، فكيف إلى غيره؟!

يقول ابن عباس ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم».

فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن امرأتي خرجت حاجّة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟

فقال ﷺ: «انطلق فحج مع امرأتك»[1].

٥- ومن الذنوب التي استهان بها الناس: تغيير خلق الله من المرأة والرجل على حد سواء، وذلك بإزالة شعر الوجه، وإزالة شعر وجه المرأة والرجل حرام؛ لأنه من عمل الشيطان وهو الذي يدعو إليه ويأمر به.

قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَلَأٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩].

عباد الله! ولقد حذَر النبي ﷺ من إزالة شعر الوجه.

فقال ﷺ: «لعن الله المتنمّصات المغيرات لخلق الله للحسن»[2].

أما الرجل:

فقد قال ﷺ: «ارخوا اللحى»[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٤٤)، ومسلم (١٣٤١).

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٨٩)، وأبي داود (٤١٦٩)، والحديث صححه الألباني في كليهما.

(٣) رواه مسلم (٢٦٠).

وقال ﷺ: «وفروا اللحى»[١].

وقال ﷺ: «اعفوا اللحى»[٢].

٦- ومن الذنوب التي استهان بها الناس كذلك: التبرّج، الاختلاط، مصافحة المرأة الأجنبية.

وهذا كله حرام.

فاتّقوا الله! يا عباد الله واعلموا أنكم عن هذه الدنيا راحلون، وإلى الله راجعون وبين يديه موقوفون، وعن كل صغيرة وكبيرة مسؤولون.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥٣).

(٢) رواه البخاري (٥٥٥٤)، ومسلم (٢٥٩).

الخطبة الثالثة والأربعون

أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في وصف أصحاب محمد ﷺ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «الذين اصطفى» هم أصحاب محمد ﷺ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون عن دينه»[1].

• أصحاب محمد ﷺ حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق.

من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.

قال ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

وقال ﷺ: «الأنصار لا يحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[1].

• فأصحاب محمد ﷺ هم الرجال، وهم الصادقون، وهم المفلحون، وهم المؤمنون حقاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

• أصحاب محمد ﷺ من أحبهم وسلك سبيلهم؛ سعد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

• ومن أبغضهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم؛ شقي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: أبيّ بن كعب ﷺ .. أتعرفونه يا أُمة الإسلام؟

هو أُبيّ بن كعب بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجّار.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٧٥).

الأنصاريّ البخاريّ المدنيّ البدريّ، أبو المنذر.

سيد القرّاء، جمع القرآن في حياة النبيّ ﷺ، وكان رأساً في العلم والعمل.

عباد الله! وحديثنا عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه سيكون عن مناقبه، ومواقفه، ومواعظه.

عباد الله! أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه جمع القرآن في حياة النبي ﷺ -أي: أخذه رطباً من فيّ رسول الله ﷺ-.

• يقول أنس رضي الله عنه: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قيل لأنس: من أبو زيد؟

قال: أحد عمومتي[(١)].

• وقال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»[(٢)].

فأُبيّ رضي الله عنه حفظه في صدره كاملاً، من فيّ رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٩)، (٤٧١٧)، ومسلم (٢٤٦٥).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٣)، (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٤٦٤).

• وعن أبيّ بن كعب: أن رسول الله ﷺ صلّى بالناس فترك آية فقال: «أيكم أخذ عليّ شيئاً من قراءتي؟» فقال أبيّ: أنا يا رسول الله! تركت آية كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «قد علمت إن كان أحد أخذها عليّ، فإنك أنت هو»(١).

• وصلّى النبي ﷺ الفجر يوماً، فترك آية، فلما صلى قال: «أفي القوم أُبيّ بن كعب؟» قال أُبيّ: يا رسول الله! نسخت آية كذا وكذا أو نَسِيْتَها؟ قال ﷺ: «نُسِّيتُها»(٢).

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان أقرأ الصحابة لكتاب الله، بل هو سيد القراء.

• يقول ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم لكتاب الله أبيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإنّ لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٣).

• وقال ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ، ومعاذ بن جبل»(٤).

• وقال ﷺ لأبيّ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك».

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ١٤٢)، و«مجمع الزوائد» (٢/ ٦٩)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٩١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٧٣)، و«مسند الإمام أحمد» (٣/ ٤٠٧)، والحديث: إسناده صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٣) تقدم تخريجه في خطبة الصحابي أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

قال أبيّ: آلله سمّاني لك؟!».

قال: «الله سمّاك لي».

قال أنس: فجعل أبيّ يبكي.

وفي رواية أخرى: قال ﷺ لأبي: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قال: وسمّاني لك؟!

قال: «نعم». قال: فبكى[١] -أي أُبيّ-.

• وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أُبيٌّ أقرؤنا»[٢].

• ولما أحيى الفاروق عمر سنة صلاة قيام رمضان في المسجد جماعة؛ أمر أبيّ بن كعب ﷺ أن يُصلي للناس أحدى عشرة ركعة -وهذه هي سنة المصطفى ﷺ-.

وكان أبيّ ﷺ يقرأ بالمئين، حتى كان الذين خلفه يعتمدون على العصيّ من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا في أوائل الفجر[٣].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ علمه الكثير الذي تعلمه من رسول الله ﷺ.

• يقول أبيّ بن كعب ﷺ: قال رسول الله ﷺ -أي له-: «يا أبا المنذر! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟».

---

(١) رواه البخاري (٤٦٧٦)، ومسلم (٧٩٩).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٩).

(٣) «انظر «قيام رمضان» الألباني» (ص٢٤).

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «يا أبا المنذر! أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟»

قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

قال: فضرب في صدري وقال: «لِيَهَنِكَ العلم -أي ليكن العلم هنيئاً لك- أبا المنذر»[1].

أمثلة على علمه:

• قال سَمُرَةَ بن جُندب: كانت لرسول الله ﷺ سكتتان في صلاته وقال عمران بن حصين: أنا ما أحفظهما عن رسول الله ﷺ.

فكتبوا في ذلك إلى أبيّ بن كعب يسألونه عنه.

فكتب أبيّ: إنّ سَمُرَة قد حفظ[2].

• وقال أُبيّ بن كعب: نازعني عمر بن الخطاب في المتوفّى عنها -أي زوجها- وهي حامل، فقلت: تزوّج إذا وضعت.

فقالت أم الطفيل -أم ولدي- لِعمر ولي: قد أمر رسول الله ﷺ سُبيعة الأسلمية أن تنكح إذا وضعت[3].

---

(١) رواه مسلم (٨١٠).

(٢) «سنن البيهقي» (٢/ ١٩٦)، و«مسند أحمد» (٥/ ٧)، والحديث: رجاله ثقات رجال الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٣) «مجمع الزوائد» (٥/ ٢)، و«مسند أحمد» (٦/ ٣٧٥)، والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

• وسمعت أم الطفيل -امرأة أبيّ بن كعب- عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب يختصمان، فقالت أم الطفيل: أفلا يسأل عمر بن الخطاب سُبيعة الأسلمية؟

تُوفِّيَ عنها زوجها وهي حامل، فوضعت بعد ذلك بأيام، فأنكحها رسول الله ﷺ -أي زوّجها-[1].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ قربه من النبي ﷺ ليتعلم منه.

• عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أبيّ بن كعب وهو يصلي، فقال: «يا أبيّ» فالتفت فلم يجبه، ثم صلّى أبيّ فخفّف، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ.

فقال: السلام عليكم أيْ رسول الله.

قال: «وعليك».

قال: «ما منعك أي أبيّ إذ دعوتُكَ أن تجيبني».

قال: أيْ رسول الله، كنت في الصلاة.

قال: أفلست تجد فيما أوحى الله إليّ أن ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال: بلى أيْ رسول الله، لا أعود.

قال: «أتحب أن أعلِّمك سورة لم ينزل في التوراة، ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها؟».

---

(١) «مجمع الزوائد» (٥/ ٢)، و«مسند أحمد» (٦/ ٣٧٥)، والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

قال: قلت: نعم أي رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا تخرج من هذا الباب حتى تعلّمها».

قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يُحدّثني وأنا أتباطأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث، فلما أن دنونا من الباب.

قلت: أي رسول الله، ما السورة التي وعدتني؟

قال: «ما تقرأ في الصلاة؟».

قال: فقرأت عليه أمّ القرآن -أي الفاتحة-.

قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها للسّبع من المثاني»[1].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة، منها:

موقفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• يقول أبو الدرداء ﷺ: جلس رسول الله ﷺ يوماً على المنبر فخطب الناس، وتلا آية وإلى جنبي أبيّ بن كعب.

فقلت له: يا أبيّ! متى أُنزلت هذه الآية؟

قال: فأبى أن يُكلّمني، ثم سألته فأبى أن يُكلّمني، حتى نزل رسول الله ﷺ.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٧٤٤)، و«السنن الصغرى» للبيهقي (١/ ٥٤٦)، و«مسند أحمد» (٢/ ٤١٢)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

فقال له أبيّ: ما لك مِن جُمعَتِكَ إلا ما لغيت.

فلما انصرف رسول الله ﷺ جئته فأخبرته.

فقلت: أيْ رسول الله، إنك تلوت آية وإلى جنبي أبيّ بن كعب، فسألته متى أنزلت هذه الآية؟ فأبى أن يكلّمني، حتى إذا نزلت، زعم أبيّ أنه ليس لي من جمعتي إلا ما لغيتُ؟

فقال: «صدق أبيّ، فإذا سمعت إمامك يتكلّم فأنصت حتى يفرُغ»[1].

إذا سمعت الإمام يخطب فلا تتكلم ولا تسبح ولا تصلي على رسول الله ﷺ ولا تُأمّن أيها المستمع للخطبة، حتى ينتهي الخطيب من خطبته.

فإن النبيّ ﷺ نهى أن تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر أثناء الخطبة وهذا واجب، فالنهي عن السنة من باب أولى.

• ويقول أنس ﷺ: كنت أنا وأُبيّ وأبو طلحة جلوساً فأكلنا لحماً وخبزاً، ثم دعوت بوضوء، فقالا: لمَ نتوضّأ؟

فقلت: لهذا الطعام الذي أكلنا.

فقالا: أنتوضّأ من الطيبات؟! لم يتوضّأ منه من هو خير منك»[2].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٢/ ١٨٥)، و«صحيح ابن خزيمة» (٣/ ١٥٤)، و«مسند أحمد» (٥/ ١٩٨)، والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

(٢) «الأحاديث المختارة» (٣/ ٣٣٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ١٢٩)، والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

عباد الله! أما مواعظه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موعظته ﷺ في الحث على قبول الحق:

• قال رجل لأبيّ بن كعب ﷺ: عظني ولا تُكثر عليّ.

فقال له: اقبل الحقّ ممن جاءك به، وإن كان بعيداً بغيضاً، واردد الباطل على من جاءك به، وإن كان حبيباً قريباً[1].

وصدق والله أبيّ بن كعب ﷺ! فإن في قبول الحق النجاة، وفي ردّه الضلال، وبالمثال يتّضح المقال:

• فهذا موسى عليه السلام جاءه رجل من بعيد من أقصى المدينة يسعى، ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص:٢٠].

فقَبِلَ الحق والنصيحة من هذا الرجل البعيد، وخرج إلى بلاد مدين، وهناك عند الشيخ الكبير عندما قصّ عليه قصته قال له الشيخ: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص:٢٥].

وفي المقابل فهذا قارون، نصحه قومه فقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٦، ٧٧].

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٢١).

فلم يقبل الحق ولم يقبل النصيحة، فماذا كانت النتيجة؟

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

فكم من إنسان ردّ الحق لأنه جاءه من إنسان لا يحبّه.

وكم من إنسان قَبِلَ الهوى والبدع والضلال لأنه جاءه من إنسان يحبه.

فالحق أحق أن يتّبع، وليس بعد الحق إلا الضلال.

ثانياً: موعظته ﷺ في الحث على العمل بالعلم:

• قال أبيّ بن كعب ﷺ: تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يُوشك إن طال بكم الزمان أن يُتجَمّل بالعلم كما يُتجمّل الرجل بثوبه[1].

فمن علم من دينه شيئاً فليعمل به؛ لأن العلم ينادي على العمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

ثالثاً: موعظته ﷺ في الحث على التزام السنة:

قال أبيّ بن كعب ﷺ: عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار.

وليس من عبد على سبيل وسنة، ذكر الرحمن فاقشعرّ جلده من خشية الله، إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقُها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحاتَّ عنها ورقها، إلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتَّ عن هذه الشجرة ورقها.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨).

وإن اقتصاداً في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف من سبيل وسنة، فانظروا أعمالكم، فإن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً، أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم[١].

جعلنا الله وإياكم من أهل السنة الذين يسلكون سبيل الصحابة.

---

(١) «الزهد لابن أبي عاصم» (ص١٩٧)، «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٣).

الخطبة الرابعة والأربعون

كعبُ بن مالك رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر:٨،٩].

فأصحاب محمد ﷺ هم الصادقون، وهم المفلحون، وهم المؤمنون حقاً.

من أحبهم وسلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

• وقال ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

• وقال ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا واحدة».

• وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم مستناً فليستنّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة.

أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا والله! أفضل هذه الأمة أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: كعب بن مالك رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو كعب بن مالك الأنصاريّ الخزرجيّ العقبيّ الأُحديّ.

شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خُلِّفوا، فتاب الله عليهم، وأنزل في توبتهم قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

عباد الله! وحديثنا عن كعب بن مالك رضي الله عنه سيكون حول توبته عندما تخلف عن غزوة تبوك، وفيها تظهر مناقبه ومواقفه ومواعظه.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يخبرنا عن توبته.

- كعب بن مالك رضي الله عنه في المدينة قبل خروج النبي ﷺ والجيش إلى تبوك:

- يقول كعب رضي الله عنه: «لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قطّ إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يُعاتب أحد تخلف عنه».

---

(١) تقدم تخريجه.

- يقول ﷺ: «وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله! ما جمعت قبلها راحلتين قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة».

- يقول ﷺ: «ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها» -أي: أوهم أنه يريد غيرها من غير كذب- «حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدداً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهّبوا أُهبة غزوهم» -أي: ليستعدّوا- «فأخبرهم بوجههم الذي يريد» -أي: عرَّفهم جميعاً أنه يريد غزو الروم، أي: أنه ذاهب إلى تبوك-.

- يقول ﷺ: «والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ» -يريد بذلك الديوان- «فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا ظنّ أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل وحي من الله».

- يقول ﷺ: «وغزا رسولا لله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليه أصعَرُ» -أي: أميل-.

- يقول ﷺ: «فتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهّز معه، فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت».

- ويقول ﷺ: «فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو» -أي: فات وسبق- «فهممتُ أن أرتحل فأدركهم ، فيا ليتني فعلت، ثم لم يُقدَّر ذلك لي»

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة مع المسلمين إلى تبوك للجهاد في سبيل الله.

• كعب بن مالك ﷺ في المدينة بعد خروج النبي ﷺ والجيش إلى تبوك:

- يقول ﷺ: «فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزُنني أني لا أرى لي أسوة» -أي: قدوة أتأسّى بوجوده- «إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق» -أي: متّهماً بالنفاق- «أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء».

- يقول ﷺ: «ولم يذكُرْني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حبسه برداه والنظر في عِطفيه» -كناية عن العُجْبْ والكِبْرْ- «فقال له معاذ بن جبل ﷺ: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ».

- يقول كعب ﷺ: «فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجّه قافلاً، -أي: راجعاً- «من تبوك، حضرني بثّي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكلّ ذي رأي من أهلي».

- يقول ﷺ: «فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظلّ قادماً؛ زاح عني الباطل حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه» -أي: عزمت على صدقه-.

• كعب بن مالك ﷺ في المدينة بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك:

- يقول ﷺ: «وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلّفون يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً، فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى».

- يقـول ﷺ: «حتـى جئـت، فلـما سـلمتُ تَبـسّم تبـسُّم المغـضب» - أي: الغضبان- «ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديـه، فقـال لي: «ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ » -أي: اشتريت راحلتك- «فقلـت: يـا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر؛ لقد أُعطيت جدلاً» -أي: فصاحة وقدرة عـلى الكـلام- «ولكنـي والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى بـه عنـي، ليوشكنّ الله يُسخطك عليّ، وإن حدّثتك حديث صدق تجد عـليّ فيـه» -أي: تغـضب- «إني لأرجو فيه عُقبى الله عز وجل» -أي: العافية الحسنة بتوبة الله علي-.

قال ﷺ: «والله! ما كان لي من عذر، والله! ما كنت قط أقوى ولا أيـسر منـي حين تخلفت عنك».

فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقمْ حتى يقضي الله فيـك» يقـول كعب ﷺ: «وسار رجالٌ من بني سـلمة فـاتبعوني فقـالوا لي: والله مـا علمنـاك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بـما اعتذر به المخلّفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك».

قال ﷺ: «فوالله ما زالوا يؤنبونني» -أي: يلومونني- «حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأُكذب نفسي ثم قلت لهم: هل لَقِيَ هذا معيَ من أحد؟

قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل مـا قيـل لـك» قال ﷺ: «فذكروا لي رجلين صالحين قد شـهدا بـدراً فـيهما أسـوة» فقـال ﷺ: «فمضيت حين ذكروهما لي».

• **عباد الله ! كيف يُربي رسول الله ﷺ أصحابه؟**

- يقول كعب ﷺ: «ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس حتى تنكرت لي في نفسي الأرض» -أي: تغيرت- «ما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا» -أي: ذلاً وخضعا- «وقعد في بيوتهما يبكيان».

- يقول ﷺ: «وأما أنا فكنت أشبَّ القوم» -أي: أصغرهم سناً- «وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يُكلّمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردّ السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر» أي: انظر إليه خفية- «فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني».

- يقول ﷺ: «حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة» -أي: علوت سور بستانه- «وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة! أنشدك بالله».

- أي: أسألك بالله تعالى: «هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ﷺ؟ فسكت، فعُدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناني، وتوليت حتى تسوَّرت الجدار».

- يقول ﷺ: «فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيّ من نبط أهل الشام» -أي: فلاح- «ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يُشيرون له إليّ حتى جاءني، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسّان».

- يقول رضي الله عنه: «وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد: فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالْحق بنا نواسيك. فقلت: حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور» -وهو ما يُخبز فيه- «فسجّرتها» -أي: حرقت الرسالة-.

- يقول رضي الله عنه: «حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي، -أي: أبطأ- «إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلِّقها أما ماذا أفعل؟

فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنّها، وأرسل صاحبيّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر».

• الفرج دائماً يأتي بعد الشدة.

- يقول رضي الله عنه: «فلبثت بذلك عشر ليالٍ، فكمُل لنا خمسون ليلة من حين نُهِيَ عن كلامنا».

- يقول رضي الله عنه: «ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحُبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْعٍ» -وهو جبل بالمدينة- «يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً» -أي لله عز وجل- «وعرفت أنه قد جاء فرج».

- يقول رضي الله عنه: «فآذن رسول الله ﷺ الناس» -أي: أخبرهم- «بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشّروننا.

- يقول ﵁: «فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ».

- يقول ﵁: «واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأمَّمُ -أي: أقصدُ- «رسول الله ﷺ يتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنّئونني بالتوبة ويقولون لي: لِتهنك توبة الله عليك».

- يقول ﵁: «حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عُبيد الله ﵁ يُهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - فكان كعب لا ينساها لطلحة- ..».

- يقول ﵁: «فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال -وهو يبرق وجهه من السرور-: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك».

فقلت: «أمِنْ عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟».

قال: «لا، بل من عند الله عز وجل».

- يقول ﵁: «وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنّ وجهه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه».

- يقول ﵁: «فلما جلست بين يديه، قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخَلِعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله» -أي: أخرجه في سبيل الله-.

فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

فقلت: «إني أمسك سهمي الذي بخيبر».

وقلت: «يا رسول الله! إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحدّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى» -أي: أنعم عليه- «في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى.

والله ما تعمّدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي».

- قال ﷺ: «فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝﴾ [التوبة:١١٧-١١٩].

- وقال كعب ﷺ: «والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطّ بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلِكَ كما هلك الذين كذّبوا، إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد، فقال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝﴾ [التوبة:٩٥-٩٦]»[1].

(١) رواه البخاري (٤١٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وكعب بن مالك الأنصاري ﷺ رجل من هؤلاء الرجال، وصادق من هؤلاء الصادقين، تعلَّمنا من حديثه الصدق في الحديث، والصدق في التوبة إلى الله عز وجل، والصدق في الثبات على الدين عند الابتلاء.

ولذلك بعد أن أخبرنا الله عز وجل في كتابه عن كعب بن مالك وصاحبيه، نادى على عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين دائماً.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة:١١٨،١١٩].

.. أتدرون لما يا عباد الله؟

أولاً: لأن الصدق في كل شيء سبب للحصول على خيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد:٢١].

ثانياً: لأن الصدق في كل شيء طريق للوصول إلى الجنة.

قال ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»[1].

ثالثاً: لأن الصدق في كل شيء طمأنينة.

قال ﷺ: «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»[2].

رابعاً: لأن الصدق في كل شيء -حتى في البيع والشراء- سبب للبركة في كل شيء.

قال ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرّقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذّبا مُحقت بركة بيعهما»[3].

خامساً: لأن الصدق في كل شيء سبب للنجاة في الدنيا والآخرة.

فهذا كعب بن مالك ﷺ نجا بالصدق في الدنيا.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١/ ٥٠٨)، و«سنن الترمذي» (١٩٧١)، و«سنن البيهقي الكبرى» (١٠/ ١٩٥)، وابن ماجه (٤٦)، و«مسند الشاشي» (٢/ ٣٩)، و«مسند أحمد» (١/ ٣٨٤)، والحديث صححه الألباني في «سنن الترمذي»، وفي «صحيح الجامع» (٤٠٧١)، و«مختصر مسلم» (١٨٠٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٨)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٥/ ٣٣٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، و«الإرواء» (١٢ و٢٠٧٤)، و«الظلال (١٧٩)، و«الروض النضير» (١٥٢).

(٣) رواه مسلم (١٥٣٢).

أما في الآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ماذا أعد الله لهم في الآخرة: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة:١١٩].

اللهم فقهنا في ديننا، وارزقنا الصدق في القول والعمل.

الخطبة الخامسة والأربعون

عبد الله بن سلام رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

[الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان

من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.

لا يحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **عبد الله بن سلام** رضي الله عنه ... أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم.

الإمام الحبرُ، المشهود له بالجنة، من خواصّ أصحاب محمد ﷺ.

عباد الله! وحديثنا عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سيكون عن إسلامه ومناقبه.

أما إسلامه ﷺ:

فلقد أسلم عبد الله بن سلام ﷺ عندما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً من مكة.

يقول عبد الله بن سلام ﷺ: لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجَفَلَ الناس عليه - أي: أقبلوا عليه- وكنت فيمن انجفل.

فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

فكان أول شيء سمعته يقول: «يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[1].

ليعلم العَالَمُ من مشرقه إلى مغربه أن الإسلام هو دين الأمن والأمان والسِّلم والسلام، وليس دين القتل والتدمير والتفجير كما يصوره الإعلام الذي يريد بذلك أن يشوه صورته.

• وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة؛ وعبد الله بن سلام في نخل له، فأتى عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ.

فقال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبيّ، فإن أنت أخبرتني بها آمنت بك.

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤)، و«سنن الدارمي» (١/ ٤٠٥)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ٥٠٢)، و«سنن ابن ماجه» (١٣٣٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٥٧)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٥/ ٣١٣)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٥١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه، و«الإرواء» (٣/ ٢٣٩)، و«التعليق الرغيب» (١/ ٢١٤)، و«الصحيحة» (٥٦٩).

يقول أنس: فسأله عن الشَّبَهِ، وعن أول شيء يحشر الناس، وعن أول شيء يأكله أهل الجنة؟

فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهنّ جبريل آنفاً».

قال -أي ابن سلام-: ذلك عدو اليهود!

فقال رسول الله ﷺ: «أما الشّبه، إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهب بالشبه.

وأول شيء يحشر الناس، نار تجيء من قبل المشرق، فتحشر الناس إلى المغرب، وأول شيء يأكله أهل الجنة، رأس ثور وكبد حوت».

يقول أنس: فآمن -أي: عبد الله بن سلام-، وقال أشهد أنك رسول الله.

ثم قال -أي: ابن سلام-: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن سمعوا بإيماني بك، بهتوني ووقعوا فيّ فأخبأني، وابعث إليهم وسلهم عني، فجاءوا.

فقال ﷺ: «ما عبد الله بن سلام؟».

قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا، وخيرنا وابن خيرنا.

فقال رسول الله ﷺ: «أرأيتم إن أسلم، أتسلمون؟! ».

فقالوا: أعاذه الله أن يفعل ذلك! ما كان ليفعل!

فقال ﷺ: «اخرج يا ابن سلام! ».

فخرج إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقالوا: بل هو شرّنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا.

فقال -أي ابن سلام-: ألم أخبرك يا رسول الله! أنهم قوم بهت؟![1]

• ويقول أنس ﷺ: أقبل نبيّ الله إلى المدينة، فقالوا: جاء نبيّ الله، جاء نبي الله ﷺ، فاستشرفوا ينظرون، وسمع ابن سلام -وهو في نخل يخترف- فعجّل قبل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع إلى أهله. فلما خلا نبيّ الله، جاء فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق. ولقد علمت اليهود أني سيّدهم وابن سيّدهم، وأعلمُهم وابن أعلمهم، فسلْهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ.

فأرسل إليهم فجاءوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود ويلكم! اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا» قالوا: ما نعلمه.

قال ﷺ: «فأي رجل فيكم ابن سلام»؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا.

قال ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم؟ » قالوا: حاشا لله، ما كان ليُسلم.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٤٤٢)، و«مسند أحمد» (٣/ ٢٧١)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ١٣٩)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩٠٨).

فقال ﷺ: «اخرج عليهم» فخرج عليهم وقال: ويلكم!

اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً.

قالوا: كذبت.

يقول أنس: فأخرجهم رسول الله ﷺ(١).

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أن رسول الله ﷺ أخبر أنه ﷺ من أهل الجنة:

• قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: «ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام»(٢).

ولفظ مسلم: «ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحي يمشي إنه في الجنة إلا لعبد الله بن سلام»(٣).

• وعن سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ أُتيَ بقصعة، فأصبْنا منها، ففضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «يطلع رجل من هذا الفجّ من أهل الجنة يأكل هذه الفضلة».

فقال سعد: وكنت تركت أخي عُميراً يتطهّر، فقلت: هو أخي، فجاء عبد الله ابن سلام فأكلها(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٩).

(٢) رواه البخاري (٣٦٠١).

(٣) رواه مسلم (٢٤٨٣).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٧٠)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٣٢٦)، و«مسند أحمد» =

وهذه شهادة من رسول الله ﷺ له بالجنة، ومن شهد له ﷺ بالجنة فإنا نشهد له بأنه من أهل الجنة.

• وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه - لما حضرته الوفاة- في عبد الله بن سلام:

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه: «إنه عاشر عشرة في الجنة»(١).

• قال رجل: كنت جالساً في حلقة في مسجد المدينة وفيها شيخ حسن الهيئة وهو عبد الله بن سلام.

قال: فجعل يحدّثهم حديثاً حسناً.

قال: فلما قام، قال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا.. الحديث(٢).

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه علمه الكثير الذي حصله من رسول الله ﷺ:

• عن يزيد بن عميرة: أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة.

=(١/ ١٦٩)، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٩٨)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٨٠)، والحديث حسّنه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩٠٩).

(١) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ١٢٢)، و«المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٧٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٠٤)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٤٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، و«المشكاة» (٦٢٣١).

(٢) رواه مسلم (٢٤٨٤).

قالوا: يا أبا عبد الرحمن! أوصنا.

قال: أجلسوني، ثم قال: إن العلم والإيمان مظانّهما؛ من التمسهما وجدهما -أو العلم والإيمان مكانهما، من التمسهما وجدهما- فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة»[1].

• وعن يزيد بن عميرة: أنه لما احتُضر معاذ، قعد يزيد عند رأسه يبكي فقال معاذ: ما يبكيك؟ قال: أبكي لما فاتني من العلم.

قال: إن العلم كما هو لم يذهب، فاطلبه عند أربعة، فسماهم.

وفيهم: عبد الله بن سلام، الذي قال رسول الله ﷺ.

فيه: «هو عاشر عشرة في الجنة»[2].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ بشّره أنه يموت وهو مستمسك بالعروة الوثقى وبالإسلام.

• يقول عبد الله بن سلام: «.. إني بينما أنا نائم، إذ أتاني رجل فقال لي: قم. فأخذ بيدي فانطلقت معه، فإذا أنا بجوادَّ -أي طريق- عن شمالي. فأخذتُ لآخذ فيها. فقال لي: لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال.

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤١٨)، و«الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٥٣).

قال: فإذا جوادٌ منهج -أي طرق واضحة بينه مستقيمة- على يميني.

فقال لي: خذها ها هنا. فأتى بي جبلاً، فقال لي: اصعد.

قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على إستي.

قال: حتى فعلت ذلك مراراً.

قال: ثم انطلق بي حتى أتى بي عموداً، رأسه في السماء وأسفله في الأرض، في أعلاه حلقة، فقال لي: اصعد فوق هذا.

قال: قلت: كيف اصعد هذا؟ ورأسه في السماء.

قال: فأخذ بيدي فزجل بي -أي رمى بي-.

قال: فإذا أنا متعلِّق بالحلقة.

قال: ثم ضرب العمود فخرّ.

قال: وبقيت متعلِّقاً بالحلقة حتى أصبحت.

قال: فأتيت النبيّ ﷺ فقصصتها عليه.

فقال ﷺ: «أما الطرق التي رأيت عن يسارك فهي طرق أصحاب الشمال.

وأما الطرق التي رأيت عن يمينك فهي طرق أصحاب اليمين.

وأما الجبل فهو منزل الشهداء، ولن تناله.

وأما العمود فهو عمود الإسلام.

وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسّكاً بها حتى تموت»[١].

فكان كما أخبر الرسول ﷺ، فحسن إسلامه وتمسك به حتى لقي الله على أحسن حال.

ألم أقل لكم إنهم رجال اختارهم الله لصحبة نبيه نصرة دينه!

• ويقول عبد الله بن سلام ﷺ: «رأيت كأني في روضة، ووسط الروضة عمود، في أعلى العمود عروة، فقيل لي: ارْقه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وصيف -أي خادم- فرفع ثيابي فرقيت فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها، فقصصتها على النبي ﷺ فقال: «تلك الروضة: روضة الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: العروة الوثقى، لا تزال مستمسكاً بالإسلام حتى تموت»[٢].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه له أجران عند الله:

• قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وآمن بمحمد ﷺ - وعبد الله بن سلام- ﷺ داخلاً دخولاً أولياً في هذا والعبد المملوك إذا أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمَة فأدّبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوّجها، فله أجران»[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٨٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٢).

(٣) رواه البخاري (٩٧).

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن الله أنزل فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

• عن عوف بن مالك، قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود! أَرُوني اثنى عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه».

قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلّث فلم يجبه أحد.

فقال ﷺ: «أبيتم! فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذَبتم».

ثم انصرف وأنا معه، حتى إذا كِدْنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد، فأقبل، فقال ذلك الرجل، أيّ رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟

قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا افقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدّك قبل أبيك.

قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة.

قالوا: كذبت. ثم ردّوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً.

قال رسول الله ﷺ: «كذبتم، لن يُقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، ولما آمن أكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يُقبل قولكم».

قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ [الأحقاف:١٠][1].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا بكم بعبد الله بن سلام مع نبينا مع صحابة رسول الله ﷺ في جنات النعيم.

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ١١٩)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٦٩)، و«مسند أحمد» (٦/ ٢٥)، والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».



الخطبة السادسة والأربعون

عمّار بن ياسر ﭬ

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [النور:٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

عباد الله! وهؤلاء الرجال -الذين اصطفاهم الله واختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه- هم أصحاب محمد ﷺ.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: عمار بن ياسر ﭬ .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو عمار بن ياسر العنسيّ المكّي مولى بني مخزوم.

الإمام الكبير، أبو اليقظان.

أحد السابقين الأولين إلى الإسلام والأعيان البدريين، ووالداه ماتا تحت التعذيب بمكة.

أمه: سمية، من كبار الصحابيات ﵁.

عباد الله! وحديثنا عن عمار ﵁ سيكون عن مناقبه، ومواعظه.

عباد الله! أما مناقبه ﵁ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﵁ من السابقين الأولين إلى الإسلام، ولقد عذبه كفار مكة عذاباً شديداً فصبر على ذلك كله في الله.

• يقول ابن مسعود ﵁: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا. إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه. فأخذوه، فأعطوه الولدان.

فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد، أحد»[١].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٥٨)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٢٠)، و«مصباح الزجاجة» (١/ ٢٣)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٢٠٩)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩٦)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على «سنن ابن ماجه».

ثانياً: ومن مناقبه ﭬ أن النبي ﷺ مرّ عليه وهو يُعذَّب فأمره بالصبر وبشّره بالجنة.

• قال ﷺ: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»(١).

• ومرّ النبي ﷺ بآل عمار وهم يُعذَّبون فقال لهم: «أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنة»(٢).

• عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذّبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «كيف تجد قلبك؟ ».

قال: مطمئناً بالإيمان.

قال النبي ﷺ: «إن عادوا فعُد»(٣).

ثالثاً: ومن مناقبه ﭬ حب النبي ﷺ له، وثناؤه عليه.

• جزِع عمرو بن العاص ﭬ عند الموت جزعاً شديداً، فلما رأى ذلك ابنه عبدالله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله! ما هذا الجزع وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيك ويستعمِلك؟!

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٣٢)، «المعجم الكبير» للطبراني (٢٤/ ٣٠٣)، والحديث صححه الألباني في تحقيق «فقه السيرة».

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٤٩).

(٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٢٠٨)، «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٣٨٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قال: أي بني! قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك: إني ما أدري أحباً كان ذلك، أم تألّفاً يتألفني.

ولكني أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يحبّهما:

ابن سميّة - يعني عماراً- وابن أم عبد -عبد الله بن مسعود- فلما حدّثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا تسَعُنا إلا مغفرتك.

وكانت تلك هجيراه -أي: دأبه وشأنه- حتى مات[1].

• ويقول عليّ ﷺ: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ، فاستأذن عمار بن ياسر. فقال النبي ﷺ: «ائذنوا له، مرحباً بالطّيِّب المطيَّب»[2] وهذا ثناء من النبي ﷺ على عمار.

• يقول حذيفة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود»[3].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٣)، «مسند أحمد» (٤/ ١٩٩)، والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٥١)، و«سنن الترمذي» (٣٧٩٨)، وابن ماجه (١٤٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٨٥)، و«مسند أحمد» (١/ ٩٩)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٣٢٤)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه، وفي «المشكاة» (٦٢٢٦)، و«الروض» (٧٠٢).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٩)، و«سنن الترمذي» (٣٨٠٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٩٥)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ١٥٣)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٥/ ٣٤٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ شهادة النبيّ ﷺ له بقوة الإيمان.

• دخل عمار على عليّ ﷺ فقال: مرحباً بالطيِّب المطيَّب. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُلِئَ عمّار إيماناً إلى مشاشِهِ»[١].

• وسُئل عليّ عن عمار، فقال: نسي وإن ذكَّرته ذكر، قد دخل الإيمان في سمعه وبصره، وذكر ما شاء الله من جسده[٢].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أخبر بأن الله أعاذه من الشيطان.

• قال علقمة: قال لي أبو الدرداء: أليس فيكم الذي أعاذه الله على لسان نبيه من الشيطان؟ -يعني عماراً-.. الحديث[٣].

• وقال رجل لأبي هريرة: حدثني، فقال: تسألني وفيكم علماء أصحاب محمد ﷺ، والمُجار من الشيطان عمار بن ياسر؟![٤]

ولذلك كان عمار ﷺ إن خُيِّر بين أمرين اختار أرشدَهما.

• تقول عائشة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «عمار، ما عُرِض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما»[٥].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٤٣)، و«مصباح الزجاجة» (١/ ٢٢)، وابن ماجه (١٤٧)، والحديث صححه الألباني في «سنن ابن ماجه» وهو في الصحيحة (٨٠٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤١٤).

(٣) رواه البخاري (٣١١٣).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤١٨).

(٥) رواه ابن ماجه (١٤٨)، قال الألباني في تعليقه عليه: صحيح، وفي «الصحيحة» (٨٣٥)، و«المشكاة» (٦٢٢٧).

سادساً: ومن مناقبه ﷺ دفاع النبي ﷺ عنه، وغضب النبي ﷺ ممن أغضبه.

• يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام، فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلى النبي ﷺ قال: فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي ﷺ. قال: فجعل يغلظ له ولا يزيد إلا غِلظة، والنبي ﷺ ساكت لا يتكلم، فبكى عمار وقال: يا رسول الله ألا تراه؟

فرفع رسول الله ﷺ رأسه، وقال: «من عادى عماراً، عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله».

قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحب إليّ من رضا عمار فلقيته فرضِيَ[1].

سابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبره وبشره أن الفئة الباغية هي التي تقتله.

• عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كنا نحمل لَبنة لَبنة وعمار لَبنتين لَبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».

قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[2].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٤١)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٩٣)، و«مسند أحمد» (٤/ ٨٩)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه البخاري (٤٣٦).

• وقال ﷺ: «أبشر يا عمار، تقتلك الفئة الباغية»[١].

ثامناً: ومن مناقبه ﷺ علمه الذي تعلمه من رسول الله ﷺ وتمسك به.

• أتى رجل عمر بن الخطاب، فقال: إني أجنبت، فلم أجدْ ماءً.

فقال عمر: لا تصلِّ. فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية، فأجنبنا، فلم نجد ماءً، فأما أنت، فلم تصلِّ، وأما أنا فتمعكت في التراب فصلّيت، فلما أتينا النبي ﷺ فذكرت ذلك له.

فقال: «إنما كان يكفيك» وضرب النبي ﷺ بيده إلى الأرض ثم نفخ فيها، ومسح بها وجهه وكفيه»[٢].

• عن أبي وائل قال: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان! لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفّست. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقِصَر خطبته، مئنّةٌ من فقهه، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة؛ فإن من البيان سحراً»[٣].

هكذا الصحابة، في العلم علماء، وفي الجهاد أبطال. فرضي الله عنك يا عمار وعن أصحاب محمد ﷺ أجمعين.

عباد الله! أما مواعظه ﷺ فمنها:

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٠٠)، وقال الألباني في تعليقه عليه: صحيح، «الصحيحة» (٧١٠).

(٢) رواه مسلم (٣٦٨).

(٣) رواه مسلم (٨٦٩).

أولاً: يقول عمار ﷺ: «ثلاث من جمعهنّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك -أي أن تكون منصفاً مع الناس ومع نفسك وإياك أن تداهن مع نفسك ومع الناس- وبذل السلام للعالم -أي تلقي السلام على من عرفت ومن لم تعرف- والإنفاق من الإقتار» -أي تنفق من مالك وإن كان قليلاً[(١)].

ثانياً: يقول رجل: كنا مع عمار بن ياسر وعنده أعرابي فذكروا المرض.

فقال الأعرابي: ما مرضت قطّ.

فقال عمار: لست منا، إن المسلم يبتلى بالبلاء، فيكون كفارة خطاياه، فتتحاتّ كما تتحاتّ ورق الشجر، وإن الكافر يُبتلى، فيكون مثله مثل البعير عُقِلَ فلا يدري لم عُقِلَ، ويُطلق، فلا يدري لم أُطلق[(٢)].

ثالثاً: وقال ﷺ: «كفى بالموت واعظاً، وكفى باليقين غنىً، وكفى بالعبادة شُغلاً»[(٣)].

وصدق والله فمن لم يتعظ بالموت فلا واعظ له.

وإنك لترى الذي يصلي على جنازة ويعلم أنه سيصلى عليه غداً، والذي يحمل الجنازة إلى المقابر ويعلم أنه غداً سيُحمل إلى المقابر، والذي يقف على القبر

---

(١) رواه البخاري تعليقا «باب إفشاء السلام من الإسلام» (١/ ١٩).

(٢) «كنز العمال» (٨٦٣٥).

(٣) «المسند الشهاب» (٢/ ٣٠٢)، «شعب الإيمان» للبيهقي (٧/ ٣٥٣)، و«كتاب الزهد» لابن أبي عاصم (ص١٧٦)، و«الزهد» لابن المبارك (٣٧).

ويعلم أنه بعد قليل سيكون داخل هذا القبر فلا يتّعظ! وتـراه يـأتي مـع الجنـازة فيقف في خارج المسجد لا يصلّي على الميت ولا يصلي حتـى الفريـضة لله! وتـراه هناك عند القبر - وهم يدفنون الميت- يضحك ويبيع ويشتري ويغتاب ويـتكلم فيما لا يعنيه!

فهذا لم يتّعظ بالموت والله عز وجل يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

ويقول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾.

وجبريل عليه السلام يقول لرسـولنا ﷺ: «يـا محمـد عش مـا شـئت فإنـك ميت».

ويقول القائل:

لا شيء مما تـرى تبقـى بـشاشته	يبقـى الإلـه ويفنـى المـال والولـد
لم تغـن عـن هرمـز يومـاً خزائنـه	والخلد قد حاولت عـاد فـما خلـدوا
ولا سـليمان إذ تجـري الريـاح لـه	والإنـس والجـن فـيما بينهـا تـردوا
أيـن الملـوك التـي كانـت لعزّتهـا	مـن كـل أوب إليهـا وافـد يفـدو
حـوض هنالـك مـورود بـلا كـذب	لابـد مـن ورده يومـاً كـما وردوا

فكفى بالموت واعظاً، وصدقت يا عمار؛ فمن لم يتعظ بالموت فـلا واعـظ لـه، ومن اتعظ بالموت فليبشر، لأنه إذا اتّعظ بـالموت قـل عنـده الكثـير وكَثُـرَ عنـده القليل فتراه راغباً فيما عند الله، بعيداً عن معصية الله.

اللهم ارزقنا توبة نصوحاً قبل الموت.



الخطبة السابعة والأربعون

أبو ذر الغِفاريّ رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا **عباد الله**؟

إنه: **أبو ذر الغِفاريّ** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو جُنْدُب بن جُنادة، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام.

كان رابع أربعة في الإسلام، ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه فأقام بها لأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما أن هاجر النبيّ ﷺ هاجر إليه ولازمه، وجاهد معه.

عباد الله وحديثنا عن أبي ذر رضي الله عنه سيكون عن إسلامه، ومناقبه، ومواعظه.

عباد الله أما إسلامه رضي الله عنه.

فيقول ابن عباس ﷺ: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركبْ إلى هذا الوادي؛ فاعلمْ لي عَلِمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني.

فانطلق الأخ حتى قدِمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر.

فقال أبو ذر: ما شفيتني مما أردت.

فتزوَّد وحمل شنةً -أي: قربة- له فيها ماء حتى قدِم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأله عنه.

حتى أدركه بعض الليل، فرآه عليّ ﷺ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبِعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه، فمرّ به عليّ.

فقال: أما نال -أي: أما حان- للرجل أن يعلم منزله؟

فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد عليّ مثل ذلك، فأقام معه ثم قال: ألا تحدِّثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنَّني فعلت. ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق وهو رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق

يقفوه، حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه فسمع من قوله، وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري». قال: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه. وأتى العباس فأكبّ عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غِفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه، فأكبّ العباس عليه[1].

• وفي رواية مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ذر بعدما أسلم:

«إنه قد وُجِّهت لي أرضٌ -أي: أُريت جهتها- ذات نخل لا أُراها إلا يثرب -أي: المدينة- فهل أنت مُبَلِّغٌ عني قومك؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم».

فأتيت أُنيساً فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدّقت. قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدّقت.

فأتينا أُمّنا: فقالت: ما بي رغبة عن دينكما -أي: لا أكرهه بل أدخل فيه- فإني قد أسلمت وصدقت.

فاحتملنا حتى أتينا قومنا غِفاراً. فأسلم نصفهم. وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغِفاريّ وكان سيّدهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤٨).

وقال نصفهم -أي: الآخر-: إذا قـدِمَ رسـول الله ﷺ المدينـة أسـلمنا فقـدِمَ رسول الله ﷺ المدينة. فأسـلم نـصفهم البـاقي. وجـاءت أسـلمُ -وهـي قبيلـة أسلم- فقالوا: يا رسول الله! إخوتُنا -أي: غفار- تُسلِمَ على الذي أسلموا عليه. فأسلموا فقال رسول الله ﷺ: «غِفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»(١).

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ أول من حيّى رسول الله ﷺ بتحية الإسلام.

• يقول أبو ذر ﷺ: «.. وجاء رسول الله ﷺ حتـى اسـتلم الحجـر، وطـاف بالبيت هو وصاحبه -أي:أبو بكر- ثم صلى، فلـما قـضى صـلاته، قـال أبـو ذر: فكنت أنا أول من حيّاه بتحية الإسلام. فقلـت: الـسلام عليـك يـا رسـول الله. فقال: وعليك -أي السلام- ورحمة الله».

ثم قال: «من أنت».

قلت: مِن غِفار.. الحديث(٢).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أثنى عليه.

• قال ﷺ: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذر»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٠١)، قال الألباني في تعليقه عليه: صحيح.

• وقال ﷺ: «مَن سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى، فلينظر إلى أبي ذر»[١].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أنه كان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

• يقول أبو ذر رضي الله عنه: «كنت رُبُعَ الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع، أتيت نبيّ الله ﷺ.

فقلت له: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ.

فقال: «من أنت؟ ».

فقلت: إني جُندب، رجل من بني غِفار[٢].

رابعاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يحبّه ولذلك كان يوصيه بأعمال الخير والبر.

ويظهر ذلك من الأدلة التالية:

• يقول أبو ذر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحبّ لك ما أحِبّ لنفسي. لا تأمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولّيَنّ مال يتيم»[٣].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٨)، وعلق عليه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٤٣).

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٦/ ٨٣)، «مسند الحارث» زوائد الهيثمي (٢/ ٩٢٥)، و«الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٣٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢/ ١٤٧)، والحديث أورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٩١٤).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٦).

فيا من يركضون خلف المناصب! تذكروا أن الإمارة يوم القيامة خزي وندامة.

قال أبو ذر ﷺ: قلت يا رسول الله. ألا تستعملني؟

-أي: ألا تجعلني أميراً على منصب من مناصب الدولة- فضرب بيده على منكبيّ ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه منها»[1].

فإنك إذا أُمّرت على اثنين سُئلتَ عنهما يوم القيامة.

وإذا أمّرت على خمسة سئلتَ عنهم يوم القيامة.

وإذا أمّرت على أمة سئلتَ عنها يوم القيامة.

ألم يقل عمر بن الخطاب ﷺ: «لو عثرت بغلة في العراق لسألني ربي يوم القيامة: ألا سهلت لها الطريق يا عمر!».

• وقال أبو ذر ﷺ: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[2].

• وقال أبو ذر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»[3].

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٥).

أين نحن من هذا الحديث مع جيراننا، فليتّق الله الجار في جاره.

• وقال أبو ذر ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر. أترى كثرة المال هو الغنى؟» قلت: نعم يا رسول الله.

قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب»[١].

• ويقول أبو ذر ﷺ: كنت أمشي خلف النبيّ ﷺ فقال لي: «يا أبا ذر ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟».

قلت: بلى.

قال ﷺ: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

• وقال أبو ذر ﷺ: «أوصاني خليلي ﷺ بسبع: بحب المساكين وأن أدنو منهم، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني ولا أنظر إلى من هو فوقي، -أي: في أمور الدنيا- وأن أصِلَ رحمي وإن جفاني، وأن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن أتكلم بمرّ الحقّ، ولا تأخذني في الله لومة لائم، وأن لا أسأل الناس شيئاً»[٣].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٤٦١)، و«المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٦٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧/ ٢٩٠)، والحديث أورده الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٢٧).

(٢) «صحيح ابن حبان» (٣/ ١٠١)، وابن ماجه (٣٨٢٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٩٤)، و«مسند البزار» (٩/ ٤١٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على «سنن ابن ماجه».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٩٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٦٥)، وفي «الصغير» (٢/ ٤٨)، وفي «الكبير» (٢/ ١٥٦)، والحديث قال عنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٦): إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات.

• وقال أبو ذر ﷺ: «أوصاني حِبِّي بثلاث -لا أدَعُهُنّ إن شاء الله أبداً-: أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر»[1].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ قربه من النبي ﷺ وحرصه على الخير.

• عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يُزكيهم، ولهم عذاب أليم».

قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار.

قال أبو ذر: خابوا وخسروا، مَنْ هم يا رسول الله؟

قال ﷺ: «المُسبل -أي: المرخي لثوبه تحت الكعبين-، والمنان، والمنفِق سلعته بالحلف الكاذب»[2].

وفي رواية له: «المسبل إزاره».

• وقال أبو ذر ﷺ: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرَّة بالمدينة، فاستقبلنا أُحُد فقال ﷺ: «يا أبا ذر» قلت: لبيك يا رسول الله!

فقال: «ما يَسُرُّني أنّ عندي مثل أُحُد هذا ذهباً تمضِ عليّ ثلاثة أيام وعندي منه دينار، إلا شيء أرصدُه لِدَيْن، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا، وهكذا».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٧٣)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٢/ ١٣٣)، و«التمهيد» لابن عبدالبر (٨/ ١٤٠)، والحديث: إسناده صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه مسلم (١٠٦).

عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم سار فقال: «إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا».

عن يمينه وعن شماله ومن خلفه: «وقليل ما هم».

ثم قال لي: «مكانك لا تبرح حتى آتيك» ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى -أي: غاب شخصه- فسمعت صوتاً قد ارتفع، فتخوّفت أن يكون أحد عرض للنبي ﷺ، فأردت أن آتيه فذكرت قوله: «لا تبرح حتى آتيك» فلم أبرح حتى أتاني فقلت: لقد سمعت صوتاً تخوّفت منه، فذكرت له.

فقال: «وهل سمعته؟» قلت: نعم.

قال ﷺ: «ذاك جبريل أتاني فقال: مَن مات مِن أمّتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة».

قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»[1].

• قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟

قال ﷺ: «أنت يا أبا ذر مع من أحببت».

قلت: فإني أُحُبّ الله ورسوله.

قال ﷺ: «فأنت يا أبا ذر مع من أحببت».

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٩).

قال هاشم: قالها له ثلاث مرات: «أنت مع من أحببت»[١].

ونحن نُشهد الله أنا نحب أبا ذر ونحب الله ورسوله ونسأل الله عز وجل أن يجمعنا مع أبا ذر مع نبينا في جنات النعيم.

عباد الله! أما مواعظه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: موعظته في التزوّد للسفر الطويل.

• عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاريّ عند الكعبة فقال:

يا أيها الناس أنا جُندب الغفاري. هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق فاكتنفه الناس.

فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً، أليس يتخذ من الزاد ما يُصلحه ويُبلّغه؟

قالوا: بلى.

قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يُصْلِحكم. قالوا: وما يُصلحنا؟

قال: حُجّوا حجة لعظائم الأمور.

وصوموا يوماً شديداً حرّه لطول النشور.

---

(١) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٦٦): إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور.

كلمة خير تقولها، أو كلمة شرّ تسكت عنها، لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها.

اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال والثالث يضرّك ولا ينفعك لا تريده.

اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حِلّه، ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرّك ولا ينفعك لا تريده، ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس! قد قتلكم حرص لا تُدركونه أبداً[1].

• وصدق والله فإنّ السفر إلى الدار الآخرة طويل يحتاج إلى زاد، وخير زاد تتزود به لهذا السفر الطويل؛ هو زاد التقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

والتقوى تتحصل عليها بعبادتك لله عز وجل وبالأعمال الصالحة.

ابن آدم:

تزوّد من معاشك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

ولا تجمع من الدنيا كثيراً ... فإن المال يجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

(١) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ١٤٠).

ثانياً: موعظته ﷺ في العمل لما بعد الموت:

• دخل رجل على أبي ذر ﷺ فجعل يُقلب بصره في بيته.

فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟

قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا.

قال الرجل: إنه لابدّ لك من متاع ما دمت ها هنا.

قال أبو ذر: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه[1].

ابن آدم، السفر طويل والعقبة كؤود، والعمل قليل، والموت يأتي بغتة.

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل

ولم أر مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطّته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

ابن آدم:

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر

وكم من فتى يمسي ويصبح ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زيّنوها لزوجها ... وقد قبضت أروحهما ليلة القدر

---

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ٣٠٣).

ثالثاً: موعظته ﷺ في الزهد:

عاتبت أم ذرّ أبـا ذر ﷺ في معيـشتها، فقـال: يـا أم ذر إن بـين أيـدينا عقبـة كؤوداً.

وإن المُخِفّ فيها أهون من المُثقِل[1].

ألم أقل لكم أن هؤلاء هم الرجال، هم الذين حملـوا الـدين، وفتحـوا قلـوب العباد!

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

---

(١) «الزهد للإمام أحمد» (ص١٨٥).



الخطبة الثامنة والأربعون

محمد بن مسلمة رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

من أحبهم وسلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ومن أبغضهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم شقي في الدنيا والآخرة.

• قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيٍّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **محمد بن مسلمة** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو محمد بن مسلمة بن خالد بن عديّ بن مجدعة.

أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، الأنصاريّ الأوسيّ.

من نجباء الصحابة، شهد بدراً والمشاهد مع رسول الله ﷺ.

عباد الله! وحديثنا عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه رضي الله عنه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه رضي الله عنه مِنْ خيرة الأنصار.

• وقد أثنى الله في كتابه على الأنصار وفي مقدمتهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وسمّى الله عز وجل الأنصار أنصاراً.

قال رجل لأنس رضي الله عنه: أرأيت اسمَ الأنصار، كنتم تسمون به أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله[١].

• وأثنى رسول الله ﷺ في سنته على الأنصار، وفي مقدمتهم، محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

قال ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٥).

(٢) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله».

• الأنصار أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم محمد بن مسلمة ﷺ.

يقول أنس ﷺ: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبيّ لها فكلَّمها رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحبّ الناس إليّ». مرتين[١].

وقال ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»[٢].

وقال ﷺ: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار»[٣].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أن النبيّ ﷺ أخبر أن الفتنة لا تضره.

• يقول حذيفة بن اليمان ﷺ: ما من أحد إلا وأنا أخاف عليه الفتنة إلا ما كان من محمد بن مسلمة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرُّك الفتنة»[٤].

• وإنه لمّا وَقَعَتْ الفتنة اعْتَزَلَهَا.

قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٠): «.. وكان ﷺ ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل، ولا صفّين، بل اتخذ سيفاً من خشب وتحول إلى الرّبذة، فأقام بها مُديدة».

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٧).

(٣) رواه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٥٠٦) وزاد فيه «وأبناء أبناء الأنصار».

(٤) رواه أبي داود (٤٦٦٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة»، (٧/ ٤٦٢)، والحديث صححه الألباني في «سنن أبي داود» وفي «المشكاة» (٦٣٣٣).

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ: أنه كان إذا شُكِيَ إلى عمر بن الخطاب ﷺ عامِلٌ، أرسل محمد بن مسلمة للتحقيق في القضية -أي كان يرسله في المهمات الصعبة-.

عباد الله! «شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ﷺ فعزله، واستعمل عليهم عماراً فشكوا -أي: سعداً- حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إنّ هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تصلي. قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي العشاء فأركد في الأولين وأُخِفّ في الأخرين.

قال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.

فأرسل معه رجلاً -وهو محمد بن مسلمة- إلى الكوفة؛ فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس فقام رجل منهم يُقال له أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعونّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً، فأطِلْ عمره، وأطل فقره، وعرّضه للفتن.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرّض للجواري في الطرق يغمزهنّ.

وكان إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد[1].

(١) تقدم ذكره في خطبة الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ.

فاحذر يا عبدالله أن تكذب أو أن تظلم.

فاحذر أن تكتب تقريراً كاذباً عن إنسان.

فاحذر أن تصل إلى منصب بظلم الآخرين.

فهذا الرجل كذب على سعد وظلمه، فلما دعا عليه استجاب الله له، لأنه مظلوم.

والظالم لا ينسَ أبداً ما فعل في حياته وقوته.

الشاهد أن الذي حقق في القضية هو محمد بن مسلمة.

عباد الله! أما مواقفه فهي كثيرة منها:

موقفه ﷺ في قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ الذي آذى الله ورسوله.

عباد الله! يقول الله عز وجل في عداوة اليهود: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢].

وكعب بن الأشرف اليهوديّ من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين، ومن أشدهم إيذاءً لرسول الله ﷺ، وكان مُظاهِراً بالدعوة إلى حربه ﷺ.

وهذا اليهوديّ كان من يهود بني النضير، وكان غنيًّا مُترفاً معروفاً بجماله في العرب، وكان شاعراً من شعرائها.

ولما بلغه أول خبر عن انتصار المسلمين، وعن مقتل صناديد قريش في بدر قال: أحق هذا؟! هؤلاء أشراف العرب، وملوك الناس.

والله! إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خير من ظهرها!

ولما تأكد لديه الخبر، انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين، ويمدح عدوّهم ويحرِّضهم عليهم.

ولم يرضَ بهذا القدر، بل ركب إلى قريش فنزل على أحد أشرافها، وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين؛ يثير بذلك حفائظهم، ويزكي حقدهم على النبي ﷺ، ويدعوهم إلى حربه.

ولما رجع كعبُ بن الأشرف اليهودي إلى المدينة على تلك الحال، وأخذ يتغزّل في أشعاره بنساء الصحابة، ويؤذيهم بسلاقة لسانه أشد الإيذاء.

عباد الله! عندها قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله» قال محمد بن مسلمة ﷺ: أنا يا رسول الله، أتحبّ أن أقتله؟

قال ﷺ: «نعم».

قال: فأْذَنْ لي أن أقول شيئاً -وهذا من حسن الأدب والتربية- قال ﷺ: «قلْ».

فأتاه -أي ذهب إلى كعب بن الأشرف- محمد بن مسلمة، فقال: إن هذا الرجل -يعني رسول الله ﷺ- قد سألنا صدقة وإنه قد عنَّانا -أي: أوقعنا في العنت والحرج وكلَّفنا ما لم نجد-.

فقال كعب بن الأشرف: -وقد بدى البِشْرُ على وجهه- والله! لَتَمَلُّنَّهُ.

فقال محمد بن مسلمة: إنا قد اتبعناه، وما نريد أن نرجع عنه حتى نرى إلى ماذا ينتهي أمرهُ وشأنه، فَسَلِّفْنِي وسقاً أو وسقين.

فقال كعب بن الأشرف: نعم، ارهنوني.

قال محمد بن مسلمة: ماذا تريد أن نُرهنك؟

قال كعب: ارهنوني نساءكم.

قال محمد بن مسلمة: كيف نُرهنك نساءنا، وأنت أجمل العرب؟

قال كعب: فارهنوني أبناءكم.

قال محمد بن مسلمة: كيف نُرْهِنُك أبناءنا، فيسُبّ أحدهم، فيقال: رُهِنَ بوسْق أو وسقين -أي: هذا عار علينا-.

قال كعب: فماذا ترهنوني؟

قال ابن مسلمة: نُرْهِنك اللأمة - يعني السلاح- وأراد ابن مسلمة بذلك أنه إذا جاءه بعد ذلك والسلاح في يده لا يُنكره، ويكون اعتقاده أنه جاء بالسلاح ليضعه عنده رهناً- قال اليهودي: نعم.

ثم وعده محمد بن مسلمة أن يأتيه في الليلة القادمة ببعض رجال على مثل ما هو عليه في محمد ﷺ.

عباد الله! فجاءوه في الليلة التالية وهم متسلّحون، فدَعوه ليلاً لينزل إليهم.

فقالت امرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم!

فقال كعب لها: إنه أخي محمد بن مسلمة، ورضيعي -أي أخي في الرضاعة - أبو نائلة، ولو دُعي الفتى لطعنةٍ ليلاً لأجاب، فنزل - أي: كعب-. فقال محمد

بن مسلمة لأصحابه قبل أن ينزل إليهم: إني سأمُد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم فاقتلوه.

فلما نزل إليهم كعب نزل متوشّحاً تفوح منه رائحة الطيب.

فقالوا: نجد منك ريح الطيب؟!

فقال كعب: نعم، عندي أعطرُ نساء العرب.

فقال محمد بن مسلمة: أتأذن لي أن أشمّ؟ فوضع يده في رأسه فمسح رأسه بيده ليأخذ من طيب رأسه ثم شمَّها.

ثم ساروا قليلاً ثم عاد محمد بن مسلمة فقال: أتأذن لي أن أعود فأشمّ؟

قال كعب: نعم شمّ، فوضع يده في رأسه، فلما استمكن من رأسه قال لأصحابه: دونكم فاقتلوه، فقتلوه»[1].

عباد الله! نزلت السيوف على جسد هذا اليهوديّ المجرم الذي آذى الله ورسوله، فوقع عدو الله قتيلاً وقد صاح صيحةً شديدةً أفزعت من حوله من اليهود.

فلم يبق حصن إلا أوقد النار -أي: أنهم استيقظوا من نومهم- وفي الصباح علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف، فدبّ الرعب في قلوبهم.

عباد الله! وهكذا قَتَلَ محمدُ بن مسلمة ﷺ كعب بن الأشرف، اليهودي الذي آذى الله ورسوله.

---

(١) رواه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨٠١).

وفي هذا الموقف فوائد:

الأولى: حقد اليهود وعداوتهم للإسلام والمسلمين:

ويظهر ذلك من عداوة كعب بن الأشرف عندما قال ما قال بلسانه، ووقف بجوار كفار مكة ضد رسول الله ﷺ. كيف لا والله عز وجل يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢].

الثانية: جُبن اليهود:

ويظهر ذلك عندما قُتِل طاغيتهم كعب بن الأشرف فلم يخرج إليه أحد منهم، وعندما وجدوه مقتولاً في الصباح لم يتكلم أحد منهم بكلمة واحدة كما لم يخرج من بيته عندما سمع صوته؛ فهم قد علموا أن القوة للمسلمين، وأن النصر ببدر ليس منهم ببعيد.

كيف لا؟! والله عز وجل يقول: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر:١٣،١٤].

الثالثة: أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ ومحبتهم له:

ويظهر ذلك في محمد بن مسلمة ﭬ عندما قال ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فقد آذى الله ورسوله».

قال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله ثم قال -متأدباً مع رسول الله ﷺ-: أتأذن لي أن أقول شيئاً. فقال له: «قُلْ».

الرابعة: شجاعة محمد بن مسلمة ﷺ:

ويظهر ذلك من طريقة قتله لكعب بن الأشرف وأنه ذهب إلى بيت كعب بن الأشرف فقتله هناك.

وإن دلّ هذا على شيء دل على أنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الخامسة: أن يحذر الشباب الذين يتّخذون من هذا الموقف دليلاً، فيجعلونه طريقاً الى القتل والاغتيالات نقول لهم **أولاً**: أن الذي أمر بقتل كعب بن الأشرف هو رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى.

الأمر الثاني: أنه لم تترتّب ولا مفسدة واحدة بعد قتل كعب بن الأشرف، والرسول ﷺ هو من قدّر وعلم ذلك ونقول لأولئك الذين يقومون باغتيالات لبعض الشخصيات في البلاد الإسلامية ويقتلون المسلمين، كم من المفاسد التي وقعت بسبب فعلهم ذلك، من سجن وتعذيب وقتل وغير ذلك؟

ونقول للشباب احذروا أن تفعلوا ذلك، إلا أن تكون هناك قوة وخليفة للمسلمين يأمر بذلك وأن لا يترتّب على ذلك مفسدة، فإنك إن قتلت إنساناً قُتِلَ مقابله المئات، وانتهكت الأعراض، وامتلأت السجون فكم من مفسدة وقعت بهذا الفعل المخالف؟ فليتّق الله الشباب المتحمّس الذي يتّخذ من هذا الموقف سبيلاً إلى اغتيال الشخصيات المسلمة في بلاد المسلمين.

اللهم ردّ المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

الخطبة التاسعة والأربعون

خُبيب بن عَدِيّ رضي الله عنه

عباد الله! قال الله تعالى في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩].

وهؤلاء الرجال الذين اختارهم الله واصطفاهم؛ لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: خُبَيْبُ بن عَدِيّ رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو خبيب بن عدي بن عامر بن مجدعة الأنصاريّ البدريّ.

عباد الله! وحديثنا عن خبيب بن عدي ﷺ سيكون عن مناقبه ﷺ فمنها:

أولاً: أنه ﷺ من الأنصار الذين ﷺ، الأنصار الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم لإخوانهم المهاجرين.

فقال الله عنهم: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

الأنصار الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار».

وقال ﷺ فيهم: «لو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار».

ولما قال لهم النبي ﷺ في غزوة بدر «أشيروا عليّ أيها الناس».

قام سيدهم فقال: والله! لكأنك تُريدنا يا رسول الله؟

قال ﷺ: «أجل».

فقال: فقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك.

فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فسِر على بركة الله[1].

---

(١) «السيرة النبوية الصحيحة» للعمري (ص٣٥٨).

وخبيب بن عدي ﷺ في مقدمة هؤلاء الأنصار.

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أنه شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً، وقتل المشركين وفي مقدّمتهم الحارث بن عامر وكان من صناديد قريش. والنبي ﷺ يقول في أهل بدر «لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان حريصاً على سنة رسول الله ﷺ حتى قبل موته بلحظات.

• لما أجمع بنو الحارث على قتل خبيب استعار – أي خبيب– موسى من إحدى بنات الحارث ليستحدّ بها، فأعارته[1].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه أول من سنّ الركعتين عند القتل. وذلك لما خرج كفار مكة بخبيب من الحرم ليقتلوه، فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين، فصلى الركعتين.. فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل[1].

عباد الله! أما مواقفه وشجاعته فتعالوا بنا لنستمع مأساة يوم الرجيع ففيها يتبيّن لنا غدر الكفار بالمسلمين، وشجاعة أصحاب رسول الله ﷺ وفي مقدمتهم خبيب بن عدي ﷺ أجمعين.

• يقول أبو هريرة ﷺ بعث النبي ﷺ سرية عَيناً، – لتأتي بأخبار من أخبار الكفار– وأمّر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى

---

(١) رواه البخاري (٣٨٥٨).

إذا كانوا ببعض الطريق بين عُسفان ومكة نُزولاً، ذُكِروا لحَيٍّ من هُذَيْل، يقال لهم: بنو لِحيان، فتبعوهم بقريب من مئة رجلٍ رام، فاقتصّوا آثارهم، حتى نزلوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر، تزوّدوه من تمر المدينة، فقالوا: هذا من تمر يثرب، فاتَّبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما أحسّهم عاصم بن ثابت وأصحابه لجؤوا إلى فَدْفَدٍ، وجاء القوم فأحاطوا بهم، وقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتُل منكم رجلاً.

فقال عاصم بن ثابت: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا رسولك.

قال: فقاتَلوهم، فرَمَوهم، فقَتلوا عاصماً في سبعة نفر، وبقي خُبيب بن عديّ وزيد بن الدَّثِنة ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق إن نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيِّهم فربطوهم فيها.

فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر.

فأبى أن يصحبهم، فجرُّوه فأبى أن يتبعهم، فضربوا عنُقه، فانطلقوا بخبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنة، حتى باعوهما بمكة فاشترى خُبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً.

حتى إذا أجمعوا قتْله استعار موسى من إحدى بنات الحارث ليستحدّ بها، فأعارته.

قالت: فغفلت عن صبيّ لي، فدرج إليه حتى أتاه.

قالت: فأخذه فوضعَه على فخِذِه، فلما رأيته فزعت فزعاً عرفه، والموسى في يده.

فقال: أتخشين أن أقتله؟! ما كنت لأفعل إن شاء الله.

قال: وكانت تقول: ما رأيت أسيراً خيراً من خُبيب قد رأيته يأكل من قِطف عنب، وما بمكة يومئذٍ ثمرة، وإنه لموثّق في الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله إياه.

قال: ثم خرجوا به من الحرم ليقتُلوه.

فقال: دعوني أصلِّي ركعتين، فصلّى ركعتين. ثم قال: لولا أن تروا ما بي جزعاً من الموت لزدت.

قال: وكان أول من سنّ ركعتين عند القتل هو.

ثم قال: اللهم احصِهم عدداً:

ولست أبالي حين أقتلُ مسلماً على أيّ شِقٍّ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصال شِلوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مِثْل الظُّلَّة من الدَّبْرِ، فحمته من رُسُلِهم، فلم يقدروا على شيء منه»[1].

عباد الله! وأما زيد فقد اشتراه صفوان بن أمية؛ ليقتله بأبيه أمية بن خلف. وكان أمية بن خلف قد قُتِلَ يوم بدر فلما أخذوه إلى الحلِّ لِيُقتل خارج الحرم؛ اجتمع عليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب.

---

(١) القصة كاملة في البخاري (٣٨٥٨).

فقال أبو سفيان: يا زيد! أنشدك الله! أتحبّ أن محمداً مكانك الآن تُضرب عنقه وأنت جالس في أهلك؟

فقال زيد رضي الله عنه: والله ما أحبّ أن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةً تؤذيه وأنا في أهلي.

فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يُحب أحداً كحبّ أصحاب محمد محمداً[1].

وفي هذا يقول القائل:

أسرتْ قريش مسلماً	فمضى بلا وجلٍ إلى السّيّاف
سألوه هل يُرضيك أنك سالم	ولك النبيّ فدىً من الإتلاف
فأجاب: كلا، لا سلمت من الردى	ويُصاب أنف محمد برعاف

نعم والله إنهم رجالٌ اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه! فرضي الله عنك يا خبيب وجمعنا بك مع رسولنا ﷺ في جنات النعيم.

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة مقتل خُبيب رضي الله عنه فهي:

أولاً: الغدر والخيانة من أخلاق الكفار واليهود وليست من أخلاق المسلمين، ويظهرُ ذلك مما فعله المشركون بالصحابة في حادثة يوم الرجيع فهذا أكبر دليل على أن المشركين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٧٩)، «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٦٠).

أما المسلمون فلا يغدرون ولا يخونون ويظهر ذلك من فعل خبيب بن عديّ ﷺ عندما كان سجيناً عند بني الحارث وتدحرج الغلام الصغير حتى وصل إلى خبيب، فأخذه خبيب ووضعه على فخذه والموسى في يده.

فلما خافت أم الغلام على غلامها. قال لها خبيب: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.

علماً أن بني الحارث قد أجمعوا على قتل خبيب بعد ساعات. إنه الإسلام يربّي رجاله على الوفاء وعدم الغدر.

ثانياً: إثبات كرامات الأولياء:

ويظهر ذلك مما حدث لخبيب ﷺ عندما كان مسجوناً عند بني الحارث.

تقول إحدى بنات الحارث: «ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب؛ لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكه يومئذٍ ثمرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله».

عباد الله! وكرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة:

ولكن يجب على المؤمن أن يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن هم الذين آمنوا بالله واتقوه في السر والعلن وتمسكوا بسنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس:٦٣،٦٢].

عباد الله! وإذا ظهرت خارقة على يد رجل ما، فإننا ننظر في حاله، فإذا كان من المؤمنين الصادقين المتقين المتمسكين بسنة رسول الله ﷺ فهي كرامة له وهو من أولياء الرحمن.

وإن كان من المشعوذين الدجّالين المخالفين للكتاب والسنة فهي خدعة منه، وهو من أولياء الشيطان.

ثالثاً: جواز الدعاء على الكفرة والمشركين بالعموم:

ويؤخذ ذلك من دعوة خبيب ﷺ على المشركين عندما عزموا على قتله.

فقال: اللهم احصهم عدداً.

ويؤخذ ذلك أيضاً من فعل النبي ﷺ عندما دعا شهراً كاملاً على الذين قتلوا السبعين من القرّاء.

رابعاً: تمسّك الصحابة ﷺ بسنة رسول الله ﷺ حتى عند الموت، ويظهر ذلك من فعل خبيب ﷺ.

فمع أنه في أسر المشركين، ويعلم أنه سيقتل بين عشية أو ضحاها فإنه كان حريصاً على سنة الاستحداد، فاستعار الموسى لذلك، وإن هذا واعظ لمن يستهين بكثير من السنن، بل بكثير من الواجبات، بحجة أنه لا ينبغي أن ينشغل المسلمون بذلك للظروف التي تمر بها الأمة.

وفي الواقع أنه لا منافاة بين تعظيم السنة والدخول في شرائع الإسلام كافّة، وبين السعي لإقامة شرع الله.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾.

ونصر الله عز وجل هو: نصرنا لدينه، وعملنا بشرعه.

الخطبة الخمسون

زيد بن حارثة رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابي من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **زيد بن حارثة** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو زيد بن حارثة بن شُرحْبيل بن كعب بن عبد العُزّى بن النعمان، الأمير الشهيد، المسمى في سورة الأحزاب ولم يُسمِّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا هو.

أبو أسامة، سيد الموالي، من السابقين الأولين إلى الإسلام، حِبُّ رسول الله ﷺ، وأبو حبِّه، وما أحبَّ رسول الله ﷺ إلا طيباً.

عباد الله! وحديثنا عن زيد بن حارثة ﷺ سيكون عن زواجه، ومناقبه، ومواقفه.

عباد الله! أما زواجه ﷺ:

• كان زيد ﷺ مولىً لخديجة ﷺ، فلما تزوجت بالنبي ﷺ أهدته له، فأعتقه النبي ﷺ وتبناه وكان يُدعى بزيد بن محمد، وجاء أهله إلى رسول الله ﷺ يطلبونه فخيّر النبي ﷺ زيداً بين أن يذهب إلى أهله أو يبقى عنده فاختار زيد رسول الله ﷺ.

فلما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾.

فدُعيَ بزيد بن حارثة ﷺ.

عباد الله! ولما بُعِثَ النبي ﷺ كان أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة ﷺ، وذهب النبي ﷺ يخطب زينب بنت جحش ﷺ لمولاه زيد، فرفضت أن تتزوج من زيد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ۝﴾ [الأحزاب:٣٦].

فقالت: أترضاه لي زوجاً يا رسول الله؟ قال: نعم.

قالت: إذن لا أعصي الله ولا رسوله. فوافقت على الزواج من زيد.

عباد الله! فتزوجها زيد وعاش معها، ولما ساءت بينهما العلاقة طلقها زيد، فلما انتهت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر من الله.

• يقول أنس ﷺ: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «فاذكرها عليّ».

قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تُخمِّر عجينها.

قال: فلما رأيتها عظُمَت في صدري، حتى ما أستطيع أن أنظرَ إليها؛ أنّ رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي.

فقلت: يا زينب أرسل رسول الله ﷺ يذكُرُك.

قالت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى أوامِرَ ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.. »[1].

• يقول أنس ﷺ: «.. فكانت زينب تفخرُ على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكُنّ أهاليكنّ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات»[2].

وأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه البخاري (٦٩٨٤).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب:٣٧-٤٠].

عباد الله! وبهذا الزواج حرّم الله التبنّي الذي كان معروفاً في الجاهلية.

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ من أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ.

• قال عبد الله بن عمر ﷺ: «بعث النبي ﷺ بعثاً وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»[1].

• وقال ابن عمر ﷺ: فرض عمر لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، فكلّمته في ذلك، فقال: إنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وإن أباه -أي زيد- كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك[2].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢٤)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٣٦).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان خليقاً للإمارة وجديراً بها.

قال ﷺ: «وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة -يعني زيد بن حارثة- وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ»[١].

• وتقول عائشة ﷺ: ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قطّ إلا أمّره عليهم، وإن بقي بعده استخلفه[٢].

• ويقول مسلمة بن الأكوع: غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره رسول الله ﷺ علينا[٣].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ قال له: «أنت أخونا ومولانا».

• يقول البراء ﷺ: قال رسول الله ﷺ لزيد: «أمّا أنت يا زيد فأخونا ومولانا»[٤].

• وعن عبد الله بن عمر ﷺ: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[١].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أبوبكر الشيباني في «الآحاد والمثاني» (١/ ١٩٦)، و«مسند الإمام أحمد» (٦/ ٢٥٤)، والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ١٣٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٤١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٩٨)، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٤٠١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩٣)، والحديث أصله في البخاري (٢٥٥٢).

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ شهد له بالجنة.

• قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابّة فقلت: لِمَن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة»[٢].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ شهد له بالشهادة. يقول أبو قتادة ﷺ: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء فقال: «عليكم زيد بن حارثة، فإن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري».

فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صَعِدَ المنبر، وأمرَ أن يُنادى: الصلاة جامعة، فقال رسول الله ﷺ: «ناب خيرٌ ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟

إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيد شهيداً، فاستغفروا له -فاستغفر له الناس.. »الحديث[٣].

الشاهد أنه ﷺ شهد له بالشهادة.

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أن الله لم يُسَمِّ أحداً من الصحابة باسمه في كتابه إلا هو: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠٤)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٢) أخرجه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٠)، والمناوي «فيض القدير» (٣/ ٥٢١)، والحديث أورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٥٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

سابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن الله أنزل فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

• قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

نزلت في شأن زيد بن حارثة ﷺ مولى النبي ﷺ، حيث كان النبي ﷺ قد تبنّاه قبل النبوة، وكان يُقال له: «زيد بن محمد» فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق، وهذه النسبة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾

نزلت في زيد بن حارثة ﷺ.

ثامناً: ومن مناقبه ﷺ حزن النبي ﷺ عليه عندما أصيب في مؤتة.

• قال أنس ﷺ: قال النبي ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله ﷺ - لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرةٍ، ففتح له»[1].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

موقفه في غزوة مؤتة التي لقي الله فيها شهيداً.

---

(١) رواه البخاري (١١٨٩).

عباد الله! جهز رسول الله ﷺ جيشاً يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل وأمّر على هذا الجيش زيد بن حارثة ﷺ.

وقال ﷺ للجيش: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»[1].

ووصى رسول الله ﷺ الأمير في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً.

وكان ﷺ يفعل ذلك دائماً إذا أرسل جيشاً في سبيل الله.

عن بُريدة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً.

ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا ولا تقتلوا وليداً.. »[2] الحديث.

وودع المسلمون الجيش، وسلموا على الأمراء.

وقالوا للجيش: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم، وردّكم إلينا صالحين - أي: سالمين-.

وتحرّك جيش المسلمين بقيادة زيد بن حارثة ﷺ قاصدين أرض الشام، فلما وصلوا إلى «معان» وصلتهم الأخبار أن الروم قد تجهّزوا لهم بمئتي ألف مقاتل لقتالهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٠١٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٣١).

عباد الله! بات جيش المسلمين بمعانٍ ليلتين يتشاورون في الأمر أيتقدّمون للهجوم على عدوّهم على بركة الله، معتصمين بالله، واثقين بالله؟

أم يبعثون إلى رسول الله ﷺ من يخبره الخبر؛ فيرى رأيه، فإما أن يُمدّهم بمدد من عنده، وإما أن يأمرهم بأمره، فيمضون له، فقام عبد الله بن رواحة ﷺ خطيباً في الجيش.

فقال: يا قوم! والله إنّ الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون -الشهادة- وما نُقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظفرٌ -أي: نصر- وإما شهادة.

فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، ثم تشجّعوا وتحرّكوا نحو العدوّ[1].

عباد الله! وصل جيش المسلمين إلى «مؤتة» وعسكروا هناك، وتعبّأوا للقتال في ثلاثة آلاف مقاتل، ووصل جيش الروم في مئتي ألف مقاتل.

• يقول أبو هريرة ﷺ: -وهو ممن أسلموا بعد صلح الحديبية، وكانت مؤتة أول غزوة يحضرها-: شهدت «مؤتة» فلما دنا المشركون -أي: الروم- رأيت ما لا قِبَلَ لأحدٍ به، رأيت عدداً وعُدَّة وسلاحاً، وخيلاً، وديباجاً، وحريراً، وذهباً، فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيراً؟

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٨)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٥٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٤)، و «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢).

قال: إي والله!

فقال له ثابت: إنك لم تشهد معنا بدراً إنا لا نُنْصر بالكثرة»[1].

عباد الله! وهناك في مؤتة التقى الجمعان، وبدأ القتال المرير أخذ الراية زيد بن حارثة ﷺ حِبّ رسول الله ﷺ، وجعل يقاتل بضراوة بالغة، وبسالة لا يوجد لها نظير، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى شاط في رماح القوم -أي سال دمه- فقُتِلَ ﷺ شهيداً.

ثمّ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فشدّ على القوم حتى قُتل شهيداً، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفروا له.

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد -ولم يكن من الأمراء هو أمّر نفسه- ففتح الله على يديه.. »[2]الحديث .

إنهم والله رجال اختارهم الله؛ لصحبة نبيّه ونصرةِ دينه.

إنهم والله الرجال الذين إن تمسّكنا بمنهجهم سعِدنا في الدنيا والآخرة.

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

---

(١) «الإصابة» لابن حجر (١/ ٣٨٣)، و «البداية والنهاية» (٤/ ٢٤٤) وعزاه للبيهقي.

(٢) «أخرجه أحمد» (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠).

الخطبة الحادية والخمسون

أسامة بن زيد رضي الله عنهما

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل:٥٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ هم أصحاب محمد ﷺ.

هؤلاء الرجال الذين اصطفاهم الله واختارهم لصحبة نبيه، ونصرة دينه؛ هم أصحاب رسول الله ﷺ.

مَن أحبهم أحبه الله، ولا يحبّهم إلا مؤمن.

ومَن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

• قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «قال حماد بن سلمة عن أيوب السختياني أنه قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق»[1].

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ١٣).

• وقال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ؛ ولا نُفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[1].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **أسامة بن زيد** ﷺ .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو أسامة بن زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه.

• أبوه هو زيد بن حارثة ﷺ المسمّى في سورة الأحزاب.

• أمه هي: أم أيمن حاضنة النبيّ ﷺ.

تزوجت زيد بن حارثة ﷺ فأنجبت منه أسامة بن زيد، وكان النبي ﷺ يزورها في حياته.

• يقول أنس: قال أبو بكر بعد وفاة الرسول ﷺ لعُمر:

انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ ، فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٤٥٤).

عباد الله! وحديثنا عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما سيكون عن مناقبه ومواقفه.

• أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: حب النبي ﷺ له.

كان رسول الله ﷺ يحب أسامة بن زيد رضي الله عنهما حباً عظيماً ومن الأدلة على ذلك:

١- قوله ﷺ: «.. وأيم الله لقد كان – يعني: زيد بن حارثة- خليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا -يعني أسامة بن زيد- لمن أحب الناس إليّ بعده»[1].

٢- وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يأخذني والحسن فيقول: «اللهم أَحِبَّهُما فإني أُحِبُّهما»[2].

٣- وقال ﷺ: «أسامة أحب الناس إليّ»[3].

٤- ونظر ابن عمر يوماً – وهو في المسجد- إلى رجل يسحب ثيابه في ناحية المسجد، فقال انظر مَنْ هذا؟ ليت هذا عندي. قال له إنسان: أما تعرف هذا يا أبا عبد الرحمن؟ هذا محمد بن أسامة. قال: فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده في الأرض، ثم قال: لو رآه رسول الله ﷺ لأحبه[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٤).

(٢) رواه البخاري (٣٥٢٨).

(٣) «مسند عبدالله بن عمر» (ص٤٧)، و«مسند الطيالسي» (ص٢٤٩)، و«الآحاد والمثاني» (١/ ٣٢٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١/ ١٥٩)، و« المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٨٩) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري (٣٥٢٧).

٥- وتقول عائشة رضي الله عنها: أراد النبي ﷺ أن يُنَحّي مخاط أسامة. قالت عائشة: دعني حتى أكون أنا الذي أفعل. قال ﷺ: «يا عائشة! أحبِّيه فإني أحبُّه»[١].

٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: عثَر أسامة بعتبة الباب فشُجَّ في وجهه، فقال لي رسول الله ﷺ: «أميطي عنه الأذى» فقذرته. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يمصُّ الدم ويمجُّه عن وجهه، ويقول: «لو كان أسامة جارية، لكسوته وحليته حتى أُنفقه»[٢].

٧- وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يُكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟

وهذا هو الشاهد في هذا الحديث أنهم كانوا يلقبون أسامة «بحب رسول الله ﷺ» -أي محبوبه- لما يعرفون من منزلته عنده.

فكلّم رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «أتشفع في حدّ من حدود الله؟» ثم قام ﷺ فخطب فقال: «يا أيها الناس إنما ضلّ من كان قبلكم؛ أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها»[٣].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٣٤)، و«سنن الترمذي» (٣٨١٨)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي وفي «المشكاة» (٦١٦٧).

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٣٢)، و«مصباح الزجاجة» (٢/ ١١٧)، و«سنن ابن ماجه» (١٩٧٦)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٩٢)، و«مسند أبي يعلى» (٨/ ٧٢)، و«مسند أحمد» (٦/ ٢٢٢)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه وفي «الصحيحة» (١٠١٩).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (١٦٨٨).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ دعاء النبيّ ﷺ له.

وعن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه قال: لما ثقُل رسول الله ﷺ هبطتُ وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمَتَ فلم يتكلمْ، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليّ ويرفعها، فأعرِفُ أنه يدعو لي[١].

• وعن أسامة بن زيد قال: كان نبيّ الله ﷺ يأخذُني فيقعِدُني على فخِذه، ويُقعدُ الحسن بن عليّ على فخذه الأخرى، ثم يضمُّنا ثم يقول: «اللهم ارحمها، فإني أرْحمها»[٢].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أمّره لأنه أهلاً للإمارة.

• قال ابن عمر ﷺ: أمّر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة، وإن كان من أحبّ الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»[٣].

عباد الله! لمّا أمّرَ النبي ﷺ أسامة بن زيد على ذلك الجيش كان عمره ثماني عشرة سنة، وكان في الجيش عمر بن الخطاب ولذلك لم يلق عمر بن الخطاب

---

(١) «الأحاديث المختارة» (٤/ ١٤٦)، و«سنن الترمذي» (٣٨١٧)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على الترمذي وفي «المشكاة» (٦١٦٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٥٧).

(٣) رواه البخاري (٤٠٠٤).

أسامة بن زيد قطّ إلا قال له: السلام عليك أيها الأمير ورحمة، الله. توفي رسول الله ﷺ وأنت عَلَيَّ أمير[1].

عباد الله! وأمّر النبيّ ﷺ أسامة بن زيد على جيش عظيم إلى مؤتة في آخر حياته ﷺ، فمات ﷺ قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر ﷺ.

وعندما اقترح بعض الصحابة ﷺ على أبي بكر الصديق ﷺ أن يُبقي جيش أسامة ولا يُنفذه:

فقال لهم: «أنا أحبسُ جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟ لقد اجترأت على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال لهم: «والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته»[2].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ سرور النبي ﷺ لدفع الشُّبهة عنه.

عباد الله! كانت الجاهلية تقدح في نسب أسامة ﷺ لكونه أسود شديد السواد، وكان زيد -أبوه- أبيض.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠١).

(٢) «رواه الطبري» (٤/ ٤٥). «البداية والنهاية» (٦/ ٣٣٥).

• تقول عائشة رضي الله عنها: دخل عليَّ قائفٌ -وهو الذي يعرف الشبه ويميز الأثر- والنبيّ شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال -أي القائف-: إن هذه الأقدام بعضها من بعض قال: فسُرَّ بذلك النبيّ ﷺ وأعجبه فأخبر به عائشة[١].

خامساً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ اختاره للزواج من فاطمة بنت قيس.

• تقول فاطمة بنت قيس: «.. فلما حللت -أي: من عدتي- ذكرتُ له -أي رسول الله ﷺ- أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له؛ أنكحي أسامة بن زيد» تقول: فكرهته، ثم قال ﷺ: «أنكحي أسامة» فنكحته، فجعل الله فيه خيراً واغتبطت»[٢].

سادساً: ومن مناقبه رضي الله عنه حرصه على العبادة التي تعلمها من رسول الله ﷺ.

• عن مولى أسامة بن زيد: أنه انطلق مع أسامة إلى وادي القرى في طلب مال له، فكان يصوم يوم الإثنين، ويوم الخميس، فقال له مولاه: لِمَ تصوم يوم الإثنين ويوم الخميس، وأنت شيخ كبير؟

فقال: إن نبي الله ﷺ كان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس وسُئل عن ذلك فقال: «إن أعمال العباد تُعرض يوم الإثنين ويوم الخميس»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٤٨٠).

(٣) «سنن أبي داود» (٢٤٣٦)، قال الألباني في تعليقه عليه: صحيح.

سابعاً: ومن مناقبه ﷺ قُربَه من النبيّ ﷺ.

عباد الله! كان أسامة بن زيد ﷺ قريب جداً من رسول الله ﷺ، يدخل عليه ويركب خلفه، ويجلس معه، ومن الأدلة على ذلك:

١- يقول أسامة ﷺ: دخلت على رسول الله ﷺ وعليه الكآبة، فسألته ماله؟ فقال: «لم يأتني جبريل منذ ثلاث».

قال: فإذا جرْو كلب بين بيوته، فأمَر به فقُتِلَ، فبدا له جبريل عليه السلام، فهَشّ إليه رسول الله ﷺ حين رآه فقال: «لمْ تأتِني!».

فقال: «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»[1].

٢- وعن أسامة: أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفة ورديفُه أسامة، فجعل يكبح راحلته حتى إن ذِفْراها -أصل أذنيها- لتكاد أن تمشي قادمة الرّحل، وهو يقول: «أيها الناس عليكم بالسكينة والوقار؛ فإن البر ليس في إيضاع الإبل -وإيضاع الإبل: إسراعها-»[2].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

موقفه في الشجاعة والإقدام.

• يقول أسامة بن زيد ﷺ: بعثنا رسول الله إلى الحُرقة من جُهينة.

---

(١) «الأحاديث المختارة» (٤/ ١٣٤)، و«مجمع الزوائد» (٤/ ٤٣)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٠٣).

(٢) سنن النسائي «المجتبى» (٣٠١٨)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٠١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على النسائي.

قال: فصبّحناهم فقاتلناهم، فكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدِّهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم.

قال: فغشيته أنا ورجل من الأنصار -وهذا هو الشاهد في شجاعته وإقدامه-.

قال: فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فكفَّ عنه الأنصاري وقتلتُه، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «يا أسامة! أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!».

قال: قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوِّذاً من القتل. فكرَّرها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذٍ[1].

وفي رواية أخرى: قال له رسول الله ﷺ: «من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟!».

قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها مخافة السلاح والقتل!

فقال: «ألا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك أم لا!

مَن لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟!».

قال: فما زال يقول ذلك حتى ودِدْت أني لم أُسلم إلا يومئذ[2].

عباد الله! أما موقفه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموعظة الناس.

● عن أسامة بن زيد قال: قالوا لي: ألا تدخل على هذا الرجل فتكلّمه؟ -يعني عثمان بن عفان- قلت: أترون أني لا أكلِّمه إلا أُسمعكم؟ والله لقد كلَّمته فيما بيني وبينه، دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أنا أول من فتحه.

---

(١) رواه مسلم (٩٦).

(٢) «مسند أحمد» (٥/ ٢٠٧).

ولا أقول لرجل، أن يكون عليَّ أميراً: إنه خير الناس، بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدُور بها في النار كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع أهل النار إليه فيقولون: يا فلان! أما كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟! قال: فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر فآتيه»[1].

عباد الله! تعلم أسامة بن زيد ﷺ كيف يأمر وينهى ولاة الأمر عن رسول الله ﷺ.

وكذلك لم يخالف بفعله قوله خوفاً من عذاب الله.

لأن الله تعالى قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الصف:٢،٣].

وكذلك كان خوفه ﷺ من أن يكون هو أول من يفتح باب الفتنة.

إنهم ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝﴾.

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٩).

الخطبة الثانية والخمسون

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

عباد الله! يقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشيّ، العدويّ، المكيّ ثم المدني.

أبو عبد الرحمن.

أبوه: الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الذي قال فيه ﷺ: «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر بن الخطاب»[1].

---

(١) تقدم تخريجه في خطبة عمر رضي الله عنه.

وقال فيه ﷺ: «إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه».

يقول ابن عمر ﵄: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن على نحو مما قال عمر ﵁.[1]

وأما أمّه: فهي زينت بنت مظعون، أخت عثمان بن مظعون الجُمحي.

عباد الله! وحديثنا عن ابن عمر ﵄ سيكون عن مناقبه، ومواقفه، ومواعظه.

عباد الله! أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: ثناء النبي ﷺ عليه.

• يقول ابن عمر ﵄: «كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقُصَّها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأنّ ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطويّة -أي: مبنية الجوانب- كطيّ البئر، وإذا لها قرنان -أي: جانبان- وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار.

قال: فلقينا مَلَكٌ آخر فقال لي: لم تُرَعْ -أي: لم تخف-. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نِعمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل».

---

(١) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣١٨)، و«سنن الترمذي» (٣٦٨٢)، و«مسند أحمد» (٢/ ٩٥)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي.

فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[١].

• وعن سالم عن ابن عمر عن أخته حفصة أن النبي ﷺ قال لها: «إن عبد الله رجل صالح»[٢].

• وقال ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت في المنام كأن في يدي قطعة إستبرق، وليس مكانٌ أريد من الجنة إلا طارت إليه، قال: فقصصته على حفصة. فقصّته حفصة على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أرى عبد الله رجلاً صالحاً»[٣].

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنهما قرْبه من النبيّ ﷺ وانتفاعه منه.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبِي فقال: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك[٤].

• ويقول رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «ما حق امرئٍ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيّته مكتوبة عنده»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٠٧٠)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣٥٣١).

(٣) رواه مسلم (٢٤٧٨).

(٤) رواه البخاري (٦٠٥٣).

(٥) رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٧).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي[١].

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء، فقال ﷺ: «يا عبد الله! ارفع إزارك» فرفعته، ثم قال: «زد» فزدت، فمازلت أتحرّاها بعد، فقال بعض القوم: إلى أين؟ قال: إلى أنصاف الساقين[٢].

ويقول رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من جرّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[٣].

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: كُنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «ربّ اغفر لي وتب عليّ إنك، أنت التواب الرحيم»[٤].

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنهما أنه كان كثير البكاء من خشية الله.

• قال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بكى حتى يغلبه البكاء[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٦٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٠٨٦).

(٣) رواه البخاري (٣٤٦٥).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٣/ ٢٠٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٨١٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٧)، و«مسند أحمد» (٢/ ٢١)، و«مسند عبد بن حميد» (ص٢٥١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه وفي «الصحيحة» (٥٥٦).

(٥) «تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٥١٨).

• وقال نافع أيضاً: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد[1].

• إلْتقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر، ثم أقبل عبد الله بن عمر وهو يبكي، فقال له القوم: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: الذي حدثني هذا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة إنسان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[2].

• وحدّث عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمر.

فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع الناس بعمله سمَّع الله به سامع خلقه، وصغَّره وحقَّره».

قال: فذرفت عينا عبد الله بن عمر[3].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان باراً بوالده عمر، في حياته وبعد موته.

• ففي حياته: يقول ابن عمر ﷺ: كان تحتي امرأة أحِبُّها، وكان عمر يكرهها. فقال لي: طلِّقها. فأبيت، فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ: «طلِّقها»[4].

---

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ٢٩٤).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٢/ ١٦٤)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٢): وإسناده صحيح على شرط الشيخين: «الموسوعة الحديثية».

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢١٥)، و«سنن أبي داود» (٥١٣٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٧٣)، و«مسند أحمد» (٢/ ٢٠)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على أبي داود.

• وعند موته: لما نام عمر في فراش الموت قال: يا عبد الله بن عمر! انظر ماذا عليّ من الدَّين، فحسبوهُ، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه.

قال: إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسَلْ في بني عدي بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسَل في قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال.

ثم قال عمر: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً.

وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فسلّم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي.

فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه.

فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنّه به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء.

قال عمر: ارفعوني. فأسنده رجل إليه.

فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحبّ يا أمير المؤمنين، أذِنَتْ .

قال عمر: الحمد لله، ما كان من شيء أهمّ إليّ من ذلك.

فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلمْ فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّتني رُدّوني إلى مقابر المسلمين[1].

(١) رواه البخاري (٣٤٩٧).

• وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: «أنا آخركم عهداً بعمر ﷺ، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله.

فقال له: «ضع رأسي على الأرض».

فقال ابن عمر: «فهل فخذي والأرض إلا سواء؟».

فقال له عمر: «ضع رأسي بالأرض لا أم لك» في الثانية أو في الثالثة وسمعته يقول: «ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي!».

حتى فاضت -أي: روحه-[(١)].

• أما بعد موته: يقول عبد الله بن عمر ﷺ: أنّ رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلّم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه.

قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير! فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسولا لله ﷺ يقول: «إن أبرّ البرّ صلة الولد أهل وُدّ أبيه»[(٢)].

• وعن أبي بردة قال: قدمت المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يصل

---

(١) «ابن سعد في الطبقات» (٣/ ٣٦٠). «وابن شيبة: تاريخ المدينة» (٣/ ٩١٩) وإسنادهما صحيح. «وابن عساكر: تاريخ دمشق» (١٣/ ق١٨٣) من طريق ابن سعد. «وابن الجوزي: مناقب» (ص٢٣١). «والتاريخ الإسلامي» (١٩/ ٤٤/ ٤٥).

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠٥).

أباه في قبره، فليصل إخوان أبيه بعده» -يعني: أحبابه وأصدقائه- وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود، فأحببت أن أصل ذلك[١].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً نذكر منها:.

- موقفه ﷺ مع أهل البدع والأهواء.

عباد الله! كان عبد الله بن عمر ﷺ حرباً على البدع وأهل البدع والأهواء، فهو الذي قال: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»[٢].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- سمع ابن عمر رجلاً عطس، فقال: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فقال له: «ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ! بل قال: «إذا عطس أحدكم، فليحمد الله» ولم يقل: «وليصل على رسول الله»[٣].

لو فعل ذلك رجل الآن فأنكرنا عليه، لقال: الله أكبر، الصلاة على رسول الله حرام!

٢- ولما خرج أهل المدينة بقيادة عبد الله بن مُطيع على يزيد بن معاوية ليخلعوه، قام عبد الله بن عمر ﷺ وذهب إليه في بيته، فقال عبد الله بن مطيع:

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥٠٦).

(٢) «أخرجه اللالكائي في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة» (١٢٦).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٧٣٨)، و«المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٢٩٥)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على الترمذي، و«المشكاة» (٤٧٤٤)، و«الإرواء» (٣/ ٢٤٥).

أخرجوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال عبد الله بن عمر: إني لم آتيك لأجلس، أتيتك لأحدِّثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[١].

• ويقول نافع: لما خلع الناس يزيد بن معاوية؛ جمع ابن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد، ثم قال: «أما بعد؛ فإننا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة» يقال: «هذا غدرة فلان» وإن من أعظم الغدر -إلا أن يكون الإشراك بالله- أن يُبايع رجل رجلاً على بيع الله وبيع رسوله، ثم ينكث بيعته.

فلا يخلعنّ أحد منكم يزيد، ولا يُسرفنّ أحد منكم في هذا الأمر فيكون الفيصل بيني وبينه»[٢].

٣- وحين اعتُرض على عثمان ﷺ في أحواله الشخصية - مثل تغيبه يوم بدر، وفراره في أحد، وعدم شهوده بيعة الرضوان - كان الذي رد على تلك الاعتراضات هو عبد الله بن عمر ﷺ، ولقد ورد رده في نص صحيح رواه البخاري من طريق عثمان بن وهب.

قال: جاء رجل من أهل مصر حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥١).

(٢) رواه البخاري (٦٦٩٤).

فقال: من هؤلاء القوم؟

قال: هؤلاء قريش.

قال: فمن الشيخ فيهم؟

قالوا: عبد الله بن عمر.

قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء فحدثني عنه.

هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم.

قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم.

قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان؟ قال: نعم.

قال الرجل: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبين لك.

أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له.

- يشير إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ -.

وأما تغيبه عن بدر؛ فإنه فكان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه».

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعثه رسول الله ﷺ.

وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة.

فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان».

فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[١].

٤- جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: إني أحبك في الله!

قال: فاشهد عليَّ أني أبغضك في الله!

قال: ولِمَ؟! قال: لأنك تلحِّن في أذانك، وتأخذ عليه أجراً[٢].

فرضي الله عنك يا ابن عمر، وجمعنا الله وإياكم به مع نبينا ﷺ في جنات النعيم.

عباد الله! أما مواعظه رضي الله عنه فهي كثيرة جداً منها:

١- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسِدُ من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمناً»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩٥).

(٢) مصنف عبدالرزاق (١/ ٤٨١)، وفيه: «إنه يبغي في أذانه ويأخذ عنه أجرا»، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٢/ ٢٦٤)، وفيه: «تتغنى في آذانك..»، وانظر تعليق الألباني في «الصحيحة» (١/ ١٠٣-١٠٤) حديث رقم (٤٢).

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ١٠٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧).

٢- وقال ﭬ: «والله! لو صُمْتُ النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالي غلقاً غلقاً في سبيل الله، أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله، ما نفعني ذلك شيئاً»[1].

وصدق والله ﭬ؛ فإن رسول الله ﷺ يقول: «أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله، والمعداة في الله، والحب في الله والبغض في الله»[2].

٣- وكان ﭬ يُحذر الناس من حب الدنيا وطول الأمل فيقول ﭬ: «يا ابن آدم! صاحب الدنيا ببدنك، وفارقها بقلبك وهمك، فإنك موقوف -أي: يوم القيامة- على عملك فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت، يأتيك الخير»[3].

أي: اجعل الدنيا في يديك ولا تجعلها في قلبك، فإنك إن كانت الدنيا في يديك قلت بها: هكذا وهكذا في سبيل الله، وأما إذا دخل حب الدنيا في قلبك فإنه سيقتلك ويدمرك وستخرج منها وقد وتركت المال خلفك.

ولأجل ذلك كان يحذر ابن عمر من طول الأمل الذي جعل الناس يعبدون الدنيا وينسون الآخرة.

ويقول ﭬ: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرَضك ومن حياتك لموتك»[4].

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ٢٦٤)، و«إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٤٦).

(٢) «صحيح الجامع» (٢٥٣٩)، وقال عنه الألباني: صحيح، «الصحيحة» (١٧٢٨).

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٦).

(٤) تقدم تخريجه.

صدق والله! فإن الدنيا لا تبقى لأحد، ولا يبقي لها أحد.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال جبريل عليه السلام لرسولنا ﷺ: «يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به»[(١)].

وكما قال القائل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الإله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه	والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له	والإنس والجن فيما بينها تردوا
أين الملوك التي كانت لعزتها	من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب	لابد من ورده يوماً كما وردوا

٤ - وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُثني على أصحاب محمد ﷺ ويأمر باتباعهم يقول رضي الله عنهما: «من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، ونقل دينه فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدي المستقيم، والله ربِّ الكعبة»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

٥- وكان ﷺ يحذر من آفات اللسان.

فيقول ﷺ: «أحق ما طهّر العبد لسانه»[١].

صدق والله! فإن حصائد اللسان هي التي تكبّ الناس في النار على وجوههم.

كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: «كف عليك هذا».

وأشار إلى لسانه فقال معاذ: «وإنا لمؤاخذون بما نتكلم؟! ».

فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!»[٢].

اللهم وسّع لنا في الدنيا وزهّدنا فيها.

---

(١) «الزهد» لابن حنبل (ص٢٧)، و«تهذيب حلية الأولياء» (١/ ٢١٩).

(٢) تقدم تخريجه.

الخطبة الثالثة والخمسون

عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

عباد الله! أصحاب محمد ﷺ قوم اختارهم الله واصطفاهم لصحبة نبيه وإقامة دينه.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد؛ فجعلهم وزراء نبيه، يُقاتلون عن دينه»[1].

- أصحاب محمد ﷺ هم الرجال.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧].

- أصحاب محمد ﷺ هم الصادقون.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر:٨].

• أصحاب محمد ﷺ هم المؤمنون حقاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال:٢-٤].

• أصحاب محمد ﷺ حبهم دين وإيمان وإحسان.

وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرّأ من أحد منه، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير».

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق.

• أصحاب محمد ﷺ من أحبهم وسلك سبيلهم سعد في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة:١٠٠].

• أصحاب محمد ﷺ من أبغضهم وسلك سبيلاً غير سبيلهم شقي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟ إنه: **عبد الله بن رواحة** ﷺ.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس.

الأمير الشهيد الأنصاريّ الخزرجيّ البدريّ الشاعر.

عباد الله! وحديثنا عن عبد الله بن رواحة ﷺ سيكون عن مناقبه، ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: اجتهاده في العبادة سفراً وحضراً.

• يقول أبو الدرداء ﷺ: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وإن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحرّ، وما منا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[(١)].

• وقال ابن أبي ليلى: تزوج رجل امرأة ابن رواحة.

فقال لها: تدرين لِمَ تزوّجتك؟ لتخبريني عن صنيع عبد الله في بيته، فذكرت له شيئاً لا أحفظه، غير أنها قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته، صلى ركعتين، وإذا دخل صلى ركعتين. لا يدع ذلك أبداً[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١١٢٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٣)، و«الزهد» لابن المبارك (ص٤٥٤)، وذكره الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٣٠٧).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ أنه كان حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في مرضه الشديد.

• يقول النعمان بن بشير: «أُغمي على عبد الله بن رواحة ﷺ، فجعلت أخته عمرة تبكي: وَاجَبَلاه، واكذا، واكذا، تُعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك!؟ فلما مات لم تبك عليه»(١).

وهذا دأب السلف الصالح ﷺ.

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ أثنى عليه وعلى شعره.

• سمع رجلٌ أبا هريرة ﷺ في قصصه يذكر النبي ﷺ يقول: «إن أخاً لكم لا يقول: الرّفث» -يعني بذلك ابن رواحة- قال:

فينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشقّ معروفٌ من الفجر ساطع
أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقناتٌ أن ما قال واقع
يبيت يُجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع(٢)

• ويقول البراء بن عازب ﷺ: لقد رأيت رسول الله ﷺ يوم حفر الخندق، وهو ينقل مع الناس التراب، وهو يتمثّل كلمة ابن رواحة:

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

---

(١) رواه البخاري (٤٠١٩).

(٢) رواه البخاري (١١٠٤).

فــــأنزلن ســـــكينة علينـــــا وثبـــــت الأقـــــدام إن لاقينـــــا

إن الأُلى قـــــد بغـــــوا علينـــــا وإن أرادوا فتنـــــــةً أبينـــــــا»

يمد بها صوته[1]

• ويقول أنس ﷺ: دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة ﷺ يمشي بين يديه وهو يقول:

خلّــوا بنـــي الكفـــار عـــن ســـبيله اليـــوم نـــضربكم عـــلى تنزيلـــه

ضربـــاً يزيـــل الهـــام عـــن مقيلـــه ويُـــذهل الخليـــل عـــن خليلـــه

فقال له عمر: يا ابن رواحة! بين يدي رسول الله وفي حرم الله عز وجل تقول الشعر؟!

فقال النبي ﷺ: «خلِّ عنه يا عمر، فَلَهُوَ أسرع فيهم من نضح النبل».

وفي لفظ: «فوالذي نفسي بيده، لكلامه عليهم أشد من وقع النبل»[2].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ عاده في مرضه.

• عن عبادة بن الصامت ﷺ: أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة، فما تحوَّز له عن فراشه -أي: ما تنحّى- فقال: «أتدرون من شهداء أمتي؟ ».

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٠).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٨٤٧)، و«صحيح ابن خزيمة» (٤/ ١٩٩)، و«الأحاديث المختارة» (٤/ ٤١٦)، وسنن النسائي «المجتبى» (٢٨٩٣)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ١٢١)، والحديث صححه الألباني في تعليقه على الترمذي، و«مختصر الشمائل» (٢١٠).

قالوا: قتلُ المسلم شهادة.

قال: إن شهداء أمتي إذاً لقليل، قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها جمعاء -أي: تموت وفي بطنها ولد- »[1].

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أن النبي ﷺ شهد له بالشهادة في سبيل الله.

بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء فقال: «عليكم بزيد بن حارثة، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة الأنصاري، فوثب جعفر فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل عليّ زيداً. قال: امضه، فإنك لا تدري أي ذلك خير. فانطلقوا، فبلثوا ما شاء الله، ثم إن رسول الله ﷺ صَعِدَ المنبر، وأمر أن ينادى: الصلاة جامعة.

فقال رسول الله ﷺ: نابَ خيرٌ أو بات خيرٌ، أو ثاب خيرٌ -شكّ عبد الرحمن (يعني ابن مهدي)- ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيد شهيداً، فاستغفروا له -فاستغفر له الناس- ثمّ أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فشدّ على القوم حتى قُتل شهيداً، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً، فاستغفروا له.

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد - ولم يكن من الأمراء، هو أمّر نفسه- ثم رفع رسول الله ﷺ اصبعيه فقال:

---

(١) «مسند أحمد» (٥/ ٣٢٣)، وإسناده: صحيح «الموسوعة الحديثية».

اللهم هو سيف من سيوفك، فانصره -فمن يومئذٍ سُـمِّي خالد سيف الله- ثم قال: انفِروا فأمدُّوا إخوانكم ولا يتخلفنّ أحد، فنفر الناس في حرٍّ شديد، مُشاةً وركباناً» الحديث[1].

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

موقفه في غزوة مؤتة التي استشهد فيها.

عباد الله! أمّر رسول الله ﷺ على جيش المسلمين زيد بن حارثة ﷺ.

وقال ﷺ للجيش: «إن قُتِل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة»[2].

• ووصى رسول الله ﷺ الأمير في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً.

ثم قال لهم: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله.

اغزوا، ولا تغُلُّوا ولا تغدروا، ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليداً.. الحديث»[3].

وودّع المسلمون الجيش، وسلّموا على الأمراء، فبكى عبد الله بن رواحة ﷺ فقالوا له: ما يُبكيك يا ابن رواحة؟

فقال: والله ما بي حُبُّ الدنيا، ولا صبابة بكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٤٠١٣).

(٣) رواه مسلم (١٧٣١).

ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝﴾ فلست أدري كيف لي بالصّدر بعد الورود؟

عباد الله! وقال المسلمون للجيش: صحبكم الله بالسلامة، ودفع عنكم وردّكم إلينا صالحين -أي: سالمين-.

فقال عبد الله بن رواحة يَردُّ على هذا الوداع:

ولكنّي أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرْغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حرّان مجهزةً بحربة تنفذ الأحشاء والكبد!

حتى قال:

إذا مرّوا على جدثي -أي: قبري- قالوا يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا[1]

عباد الله! تحرّك جيش المسلمين بقيادة زيد بن حارثة ﭬ قاصدين أرض الشام، فلما وصلوا إلى «معان» وصلتهم الأخبار أن الروم قد تجهّزوا لهم بمئتي ألف مقاتل.

وكان جيش المسلمين يتكون من ثلاثة آلاف مقاتل.

عباد الله! بات الجيش بمعان ليلتين يتشاورون في الأمر، أيتقدمون للهجوم على عدوهم على بركة الله، معتصمين بالله، واثقين بالله؟ أم يبعثون إلى رسول الله ﷺ

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٥٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢).

مَنْ يُخبره الخبر فيرى رأيه، فإما أن يُمدَّهم بمدد من عنده، وإما أن يأمرهم بأمر فيمضوا له.

فقام عبد الله بن رواحة ﷺ خطيباً في الجيش.

فقال: يا قوم: والله! إن الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون -الشهادة- وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظفرٌ -أي:نصر- وإما شهادة.

فقال الناس: صدق والله ابن رواحة، ثم تشجعوا وتحركوا نحو العدو[1].

عباد الله! وهناك في «مؤتة» التقى الجمعان، وبدأ القتال، ودخل ثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين في مئتي ألف مقاتل من المشركين.

أخذ الراية زيد بن حارثة ﷺ -حِبّ رسول الله ﷺ- فقاتل حتى قُتِلَ شهيداً.

ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ﷺ، فقاتل حتى قُتل شهيداً.

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة -الأمير الثالث، المعين بأمر رسول الله ﷺ- فوجد في نفسه تردّداً عن الاقتحام، فأكرَهَها على النزول وقال:

أقسمت يا نفس لَتُنزلنّه ... إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرنّة
لَتُنزلنّه أو لتُكرهنّه ... ما لي أراك تكرهين الجنّة

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تُقتلي تموتي! ... هذا حِمامُ الموتِ قد صليتِ!

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٢). «مختصر سيرة ابن هشام» (ص٢١٥).

ومـــا تمنيـــت فقـــد أُعطيـــت! إن تفعـــلي فِعلَهـــما هُـــديت!

ثم نزل فأتاه ابن عمر بعِرْقٍ من لحم فقال: شُدَّ بهذا صُلبك، فقد لقيت ما لقيت، فنهس منه نهسةً ثم سمع جلباً -أي: صوتاً- فقال: وأنت في الدنيا -يعني القتال دائر بين المسلمين والمشركين وأنت يا ابن رواحة في الدنيا- ثم رمى بقطعة اللحم، وأخذ سيفه، ودخل في صفوف المشركين فقاتل حتى قُتِلَ ﷺ.(١)

إنهم والله ﴿رِجَالٌ ﴿٢٣﴾﴾.

فرضي الله عنك يا ابن رواحة، وجمعنا بك مع نبينا ﷺ في جنات النعيم.

عباد الله! ومن مواقفه ﷺ.

موقفه في مواجهه زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول.

• عن عروة بن الزبير قال: أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فَدكيّة، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مَرَّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدَةِ الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خَمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تُغبِّروا علينا. فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل؛ فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول:

---

(٧٣) «السيرة النبوية» (٥/ ٣٠).

أيها المرء! لا أحسن من هذا؟ إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذِنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه.

قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا؛ فإنا نحب ذلك.

فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة.

فقال: «أيْ سعد! ألم تسمع ما قال أبو حُباب؟ -يريد عبد الله بن أُبيّ- قال: كذا وكذا قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح؛ فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرَة -وهي القرية- على أن يُتوِّجوه فيُعصِّبونه بالعصابة، فلما ردّ الله ذلك بالحق الذي أعطاك، شرقَ بذلك -أي: بقي في حلقه لا يصعد ولا ينزل- فذلك فعل ما رأيت. فعفا عنه النبي ﷺ[1].

اللهم رد المسلمين إلى دينك رداً جميلاً.

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (١٧٩٨).



الخطبة الرابعة والخمسون

سلمان الفارسي رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه، الله ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **سلمان الفارسي** رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: سلمان بن الإسلام.

هو سلمان الخير، أبو عبد الله، سابق الفرس إلى الإسلام.

صحِبَ النبيّ ﷺ وخدمه، وحدَّث عنه.

عباد الله! وحديثنا عن سلمان رضي الله عنه سيكون عن إسلامه، ومناقبه، ومواعظه.

عباد الله! أما إسلامه ﷺ، فتعالوا بنا لنستمع إليه وهو يروي لنا أحداث قصة إسلامه.

قال سلمان ﷺ: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يُقال لها: جيَّ، وكان أبي دِهقان قريته -أي:رئيسها- وكنت أحبَّ خلقِ الله إليه، فلم يَزلْ به حبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبَسُ الجارية.

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطَنَ النار -أي: خازنها وخادمها- الذي يُوقدها ولا يتركها تخبو ساعة.

قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشُغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شُغِلت في بنيانٍ هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطّلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد.

فخرجت أُريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس؛ لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت عليهم؛ أنظر ما يصنعون.

قال: فلما رأيتهم أعجبني صلاتهم، ورغبت في أمرهم.

وقلت: هذا والله خير من الدِّين الذي نحن عليه.

فوالله ما تركتُهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصلُ هذا الدِّين؟

قالوا: بالشام.

قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كلِّه فلما جئته، قال: أي بنيَّ! أين كنت؟ ألم أكن عَهِدت إليك ما عَهِدتُ؟

قال: قلت: يا أبتِ، مررت بناس يصلّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بنيّ، ليس في ذلك الدِّين خير، دينُك ودين آبائك خير منه.

قال: قلت: كلا، والله إنه لخير من ديننا.

قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِمَ عليكم ركبٌ من الشام -تجَّارٌ من النصارى- فأخبروني بهم.

فقدِمَ عليهم ركبٌ من الشام، تجار من النصارى.

قال: فأخبرُوني بهم.

فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام.

فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟

قالوا: الأُسقُفُ في الكنيسة. قال: فجئته.

فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك.

قال: فادخل، فدخلت معه.

قال: فكان رجل سَوْءٍ، يأمُرهم بالصدقة ويرغِّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يُعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق.

قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً.

قالوا: ما علمك بذلك؟

قلت: أنا أدلكم على كنزه.

قالوا: فدلّنا عليه. قال: فأريتهم موضعه.

قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه.

قال سلمان: فما رأيت رجلاً لا يُصلي الخمس، أُرى أنه أفضل منه أزهدُ في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه.

قال: فأحببته حباً لم أحبّه من قبله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً شديداً لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟

قال: أي بنيّ، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه، لقد هَلَك الناس وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحَقْ به.

قال سلمان: فلمّا مات وغُيِّبَ، لحقت بصاحب الموصل.

فقلت له: يا فلان! إنّ فلاناً أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمره.

قال: فقال لي: أقِمْ عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات.

فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان! إنّ فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللُّحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من تُوصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بنيّ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان، فالحقْ به.

قال: فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي.

قال: فأقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حُضِرَ، قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بنيّ! والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمُرُك أن تأتيه إلا رجلاً بعمُّورية، فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأتِهِ، فإنه على أمرنا.

قال: فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري.

فقال: أقِمْ عندي، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغُنيمة.

قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حُضِرَ قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بنيّ، والله ما أعلمُه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمُرُكَ أن تأتيه، ولكنه قد أظلّك زمان نبيٍّ هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرجُ بأرض العرب مهاجراً إلى أرضٍ بين حرّتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّبَ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كُلْبٍ تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنيمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهموها وحملوني، حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقّ لي في نفسي فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عمّ له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شُغل الرِّقّ.

ثم هاجر المدينة، فوالله إني لفي رأس عَذْقٍ لسيدي -أي: رأس نخلة لسيدي- أعملُ فيه بعض العمل، وسيِّدي جالسٌ إذا أقبل ابن عمٍّ له حتى وقف عليه، فقال: قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباءٍ على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبيّ.

قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَوَاءُ -أي: الرِّعدة- حتى ظننت سأسقط على سيدي، قال: ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمِّه ذلك. ماذا تقول؟ ماذا تقول؟

قال: فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا! أقبل على عملك، قلت: لا شيء، إنما أردت أن استثبته عما قال.

قال سلمان: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه.

فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقّ به من غيركم.

قال: فقرّبته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كُلوا» وأمسك يده فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة. ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئته به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها.

قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمَرَ أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان.

قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقَدْ.

قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان له وهو جالس في أصحابه فسلّمت، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟

فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أني استثبتُ في شيء وُصِفَ لي.

قال سلمان: فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبِّله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تحوّل» فتحوّلت، فقصصت عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يُسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرِّق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد وساعد النبي ﷺ والصحابة سلمان حتى اعتق نفسه وأصبح حراً.

يقول سلمان: فأوفيتهم حقّهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد»[1].

عباد الله! أما مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: ثناءُ النبي ﷺ عليه.

• قال أبو هريرة ﷺ: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة. فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾.

قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟

فلم يُراجعه النبيّ ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً.

---

(١) «مسند البزار» (٦/ ٤٦٢)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٤١)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦/ ٢٢٢)، و«الطبقات الكبرى» ابن سعد (٤/ ٧٩)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٨٩٤):إسناده حسن.

قال: وفينا سلمان الفارسي.

قال: فوضع النبيّ ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثُّريّا لناله رجل من هؤلاء»(١).

ثانياً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ صدّق قوله.

• عن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذّلة -أي لابسة ثياب المهنة، تاركة ثياب الزينة-.

فقال: ما شأنكِ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا -أي: في النساء- فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل فإني صائم. قال – أي: سلمان-: ما أنا بآكل حتى تأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نمْ.

فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا جميعاً، فقال له سلمان: إن لربِّك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فاعطِ كلّ ذي حقّ حقّه.

فأتى – أي: أبوالدرداء– النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبيّ ﷺ: «صدق سلمان»(٢).

ثالثاً: ومن مناقبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخبر أن من أغضب سلمان فقد أغضب ربّه وهذا يدلّ على أن لسلمان الفارسي شأن عند الله.

---

(١) رواه البخاري (٤٦١٥)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) تقدم تخريجه.

• عن عائذ بن عمرو؛ أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر. فقالوا: والله! ما أخذت سيوف الله من عُنُقِ عدُوِّ الله مأخذها -وهذا قبل إسلام أبي سفيان-.

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيّدهم؟

فأتى النبيّ ﷺ فأخبره.

فقال ﷺ: «يا أبا بكر! لعلّك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربّك».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه! أغضبتكم؟

قالوا: لا. يغفر الله لك يا أُخَيّ[1].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ زهده في الدنيا.

• يقول أنس ﷺ: إشتكى سلمان، فعاده سعد فرآه يبكي، فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟

أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس، أليس؟

قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين.

ما أبكي ضنّاً للدنيا ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، فما أراني إلا قد تعديت.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٠٤).

وأما أنت يا سعد! فاتق الله عند حُكمك إذا حكمت، وعند قَسْمِكَ إذا قسمت، وعند همّك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نفقة كانت عنده[1].

ابن آدم:

تزود من معاشك للمعاد	وقم لله واجمع خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً	فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوماً	لهم زاد وأنت بغير زاد

خامساً: ومن مناقبه ﷺ علمه الكثير الذي تعلمه من رسول الله ﷺ.

• لما حضر معاذ بن جبل الموت، قيل له: يا أبا عبد الرحمن! أوصنا. قال: أجلسوني.

فقال: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما -يقول ثلاث مرات-.

فالتمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عُويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً ثم أسلم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة»[2].

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤١٠٤)، وقال الألباني في تعليقه عليه: صحيح «الصحيحة» (١٧١٥)، و«التعليق الرغيب» (٤/ ٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

عباد الله! أما مواعظه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

١ - قال سلمان ﷺ: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله عز وجل[١].

وصدق والله سلمان ﷺ! فإن أكثر الذنوب من اللسان، ولذلك قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[٢].

وقال ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه -أي:اللسان- وما بين رجليه أضمن له الجنة»[٣].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ بعد أن دله على أبواب الخير: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله».

قلت: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسانه وقال: «كُفّ عليك هذا».

قلت: يا رسول الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟

فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!»[٤].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٢٠)، و«كتاب الزهد» لابن أبي عاصم (ص١٥٠)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٤٨).

(٣) رواه البخاري (٦١٠٩).

(٤) تقدم تخريجه.

وقال رجل: يا رسول الله! ما النجاة؟

قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[(١)].

٢- وجاء رجل إلى سلمان ﷺ فقال: أوصني.

قال: لا تكلّم.

قال الرجل: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلّم.

قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت.

قال: زدني. قال: لا تغضب.

قال الرجل: إنه ليغشاني ما لا أملكه.

قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

قال: زدني.

قال: لا تُلابس الناس -أي تُخالطهم-.

قال الرجل: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يُلابسهم.

قال سلمان: فإن لابستهم فاصدق الحديث، وأدِّ الأمانة[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٥٤)، و«صفوة الصفوة» (١/ ٥٤٩).

٣- كتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما:

أما بعد:

فإنك لن تنال ما تريد إلا بترك ما تشتهي.

ولن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره.

فليكن كلامك ذكراً، وصمتك فكراً، ونظرك عِبَراً.

فإن الدنيا تتقلب، وبهجتها تتغير، فلا تغترّ بها.

وليكن بيتك المسجد. والسلام[1].

٤- وقال سلمان رضي الله عنه: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر، فإذا ذهب الأول قبل أن يتعلم فذاك حين هلكوا[2].

فرضي الله عنك يا سلمان، وجمعنا الله بك مع نبينا ﷺ في جنات النعيم.

---

(١) «العقد الفريد» (٣/ ١١٠).

(٢) «سنن الدرامي» (١/ ٩١)، و«الزهد» للإمام أحمد (ص٨٩).

الخطبة الخامسة والخمسون

عمرو بن العاص رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه ونصرة دينه، حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاءِ الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **عمرو بن العاص** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهميّ.

أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد.

قال البخاري: ولاَّه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل[1].

(١) رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

نزل المدينة، ثم سكن مصر وبها مات.

عباد الله! وحديثنا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه سيكون عن إسلامه، ومناقبه ومواعظه.

عباد الله! أما إسلامه رضي الله عنه، فتعالوا بنا لنستمع إليه وهو يُخبرنا عن قصة إسلامه.

قال – أي: عمرو بن العاص-: لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني، ويسمعون مني.

فقلت لهم: تعلمون، والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور عُلوًّا كبيراً وإني قد رأيت رأياً، فما ترون فيه؟

قالوا: وما رأيت؟

قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا، كنا عند النجاشيّ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبّ إلينا من أن نكون تحت يديْ محمد، وإن ظهر قومُنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير.

فقالوا: إنّ هذا الرأي.

قال: فقلت لهم: فاجمعوا له ما نُهدي له، وكان أحبّ ما يُهدَى إليه من أرضنا الأدُم، فجمعنا له أُدُماً كثيراً، فخرجنا حتى قدِمنا عليه.

فوالله إنا لعِندَه إذ جاء عمرو بن أميّة الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه.

قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده.

قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع.

فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئا؟

قال: قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدُماً كثيراً.

قال: ثم قدّمته إليه، فأعجبه واشتهاه.

ثم قلت له: أيها الملك إني رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

قال: فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره.

فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه -أي: خوفاً منه-.

ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتُكه.

فقال: أتسألُني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر -أي: الوحي- الذي كان يأتي موسى لتقتله؟!

قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟

فقال: ويحك يا عمرو! أطعني واتبعه؛ فإنه والله لعَلى الحقّ، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال: قلت: فبايعني له على الإسلام.

قال: نعم. فبسط يده وبايعته على الإسلام.

ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه -أي: تحوّل- وكتمت أصحابي إسلامي.

ثم خرجت عامداً لرسول الله ﷺ لأُسلم، فلقيت خالد بن الوليد -وذلك قبيل الفتح-، وهو مقبل من مكة.

فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد استقام المَنسِمُ -أي: تبين الطريق-، وإن الرجل لنبيّ، اذهب والله أُسلِمُ، فحتى متى؟

قال: قلت: والله ما جئت إلا لأُسلِمَ.

قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ.

فقدِم خالد بن الوليد فأسلم وبايع.

ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايُعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي. ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يجبّ -أي: يمحو- ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها».

قال: فبايعته ثم انصرفت[1].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥٠)، و«مسند الحارث» «زوائد الهيثمي» (٢/ ٩٣٣)، و«مسند أحمد» (٤/ ١٩٨) والحديث إسناده: حسن «الموسوعة الحديثية».

• ويقول ﷺ: لما ألقى الله عز وجل في قلبي الإسلام، أتيت النبي ﷺ ليُبايعني، فبسط يده إليّ.

فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي.

فقال لي رسول الله ﷺ: «يا عمرو! أما علمت أن الهجرة تجبّ ما قبلها من الذنوب؟

يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يجبّ ما كان قبله من الذنوب؟ »[1].

عباد الله! أمّا مناقبه ﷺ فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: شهادة النبي ﷺ له بالإيمان.

• عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام»[2].

• وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلَمَ الناس، وآمن عمرو ابن العاص»[3].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٥١)، و«سنن البيهقي» (٩/ ١٢٣)، و«مسند الحارث» «زوائد الهيثمي» (٢/ ٩٣٤)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٠٥) والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٦٨)، و«الآحاد والمثاني» (٢/ ٩٩)، و«المعجم الكبير للطبراني» (٢٢/ ١٧٧)، و«مسند أحمد» (٢/ ٣٠٤) والحديث: إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

(٣) رواه الترمذي (٣٨٤٤)، و«مسند أحمد» (٤/ ١٥٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٧/ ٣٠٦)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على الترمذي، «الصحيحة» (١١٥)، و«المشكاة» (٦٢٣٦).

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ حُبُّه للإسلام، وحرصه على القرب من رسول الله ﷺ.

• يقول عمرو بن العاص ﷺ: بَعَثَ إليّ رسول الله ﷺ فقال: «خُذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ، فصعّد فيّ النظر ثم طأطأه، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيُسَلِّمُك الله ويُغْنِمُكَ، وأزعبُ -أي: أدفع- لك من المال زَعبةً صالحة».

قال: فقلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ.

فقال ﷺ: «يا عمرو، نِعِمّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[1].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ حرصه على التمسك والعمل بما تعلم من رسول الله ﷺ.

عباد الله! كان عمرو بن العاص ﷺ من أحرص الناس على التمسك والعمل بما تعلم من رسول الله ﷺ ومن الأمثلة على ذلك:

١ - سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آيةً من القرآن، فقال: من أقرأكها؟

قال: رسول الله ﷺ. قال: فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا! فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله! آية كذا وكذا! ثم قرأها، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أُنزلتْ».

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٣)، و«المعجم الأوسط» للطبراني (٣/ ٢٩٢)، و«مسند أبي يعلى» (١٣/ ٣٢١)، و«مسند الشهاب» (٢/ ٢٥٩)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٠٢) والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم: «الموسوعة الحديثية».

فقال الآخر: يا رسول الله! فقرأها على رسول الله ﷺ وقال:

أليس هكذا يا رسول الله!

قال ﷺ: «هكذا أُنزِلتْ».

فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فأيّ ذلك قرأتم فقد أصبتم، ولا تُماروا فيه، فإن المِراء فيه كفرٌ» أو «آية الكفر»[١].

٢- استأذن عمرو بن العاص على فاطمة، فأذنت له.

قال: ثم عليّ؟ قالوا: لا. قال: فرجع.

ثم استأذن عليها مرة أخرى، فقال: ثم عليّ؟

قالوا: نعم. فدخل عليها.

فقال له علي: ما منعك أن تدخل حين لم تجدني هاهنا؟

قال عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ نهانا أن ندخل على المُغيبات[٢].

والمغيبة من النساء: من غاب عنها زوجها، والمراد من الغَيبة: هو أن لا يكون في البيت، لا أن يكون غائباً عن البلدة أفلا يتق الله المسلمون الذين يدخلون

---

(١) «مجمع الزوائد» (٧/ ١٥٠)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٤٢)، «مسند أحمد» (٤/ ٢٠٥) والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

(٢) «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٦)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٠٥)، والحديث: صحيح بطرقه وشواهده «الموسوعة الحديثية».

البيوت في غياب الأزواج؟! فكم من بيوت دمّرت بسبب الدخول على النساء في غياب أزواجهن.

ولقد قال النبيّ ﷺ: «إياكم والدخول على النساء! » فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو –أي: أقارب الزوج–؟ قال: «الحمو الموت» [١].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ حرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١- دخل رجل مع عبد الله بن عمرو بن العاص على أبيه عمرو بن العاص فقرَّب إليهما طعاماً، فقال: كلْ.

قال الرجل: إني صائم.

قال عمرو: كُلْ؛ فهذه الأيام التي كان رسول الله ﷺ يأمُرُنا بفطرها، وينهى عن صيامها.

قال مالك: وهي أيام التشريق[٢].

٢- وقال ﷺ وهو على المنبر للناس: أما أبعد هَديكُم من هدي نبيّكم ﷺ؛ أمّا هو، فأزهد الناس في الدنيا، وأما أنتم، فأرغب الناس فيها[٣].

---

(١) البخاري (٣٩٣٤)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) «سنن الدارمي» (٢/ ٣٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٤٤)، و«مسند أحمد» (٤/ ١٩٧)، والحديث إسناده: صحيح على شرط الشيخين «الموسوعة الحديثية».

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٦٢)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٥)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٠٤)، والحديث إسناده: صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

• وقال ﷺ: لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما له[1].

عباد الله! أما مواعظه ﷺ فهي كثيرة جداً.

نكتفي بمواعظه ﷺ وهو في فراش الموت.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى عمرو بن العاص ﷺ وهو يعظ أهله ومَن حوله من الناس:

• لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكي.

فقال له ابنه عبد الله: لِمَ تبكي، أجزعاً مِنَ الموت؟

فقال: لا والله، ولكن مما بعد.

فقال له: قد كنت على خير، فجعل يُذكِّره صحبة رسول الله ﷺ، وفتوحه الشام.

فقال عمرو: تركتَ أفضل من ذلك كله، شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثةِ أطباق ليس فيها طبق إلا قد عرفت نفسي فيه: كنت أول شيء كافراً، وكنت أشدّ الناس على رسول الله ﷺ؛ فلو مُتُّ حينئذٍ وجبت لي النار.

---

(١) «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٥)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٠٤)، والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشدّ الناس حياءً منه، فما ملأت عيني من رسول الله ﷺ، ولا راجعته فيما أريد حتى لحِق بالله عز وجل؛ حياءً منه، فلو متّ يومئذ قال الناس: هنيئاً لعمرو! أسلم وكان على خير، فمات فرُجي له الجنة. ثم تلبّست بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدري عليّ أم لي؟ فإذا متُّ فلا تبكينّ عليّ، ولا تتبعني مادحاً ولا ناراً، وشُدُّوا عليّ إزاري فإني مخاصم، وسُنُّوا عليّ التراب سنًّا، فإن جنبي الأيمن ليس بأحقّ بالتراب من جنبي الأيسر.

ولا تجعلنّ في قبري خشبةً ولا حجراً، فإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعها؛ أستأنس بكم[1].

وهذه سنة غابت عن كثير من الناس.

عباد الله! جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً، فلمّا رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو قال: يا أبا عبد الله! ما هذا الجزع وقد كان رسول الله ﷺ يُدنيك ويستعمِلُكَ؟

قال: أي بُنيّ، قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك: إني والله ما أدري أحُبًّا كان ذلك، أم تألُّفاً يتألَّفُني به؟ ولكني أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يُحبُّهما: ابن سمية وابن أمِّ عبد.

فلما حدَّثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه.

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٩٩)، والحديث: صحيح «الموسوعة الحديثية».

وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يَسَعُنا إلا مغفرتُك، وكانت تلك هجيراه -أي: دأبه وشأنه- حتى مات[١].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

كان أبي كثيراً ما يقول:.. إني لأعجب من الرجل الذي ينزل به الموت ومعه عقله ولسانه، فكيف لا يصفه؟!

قال: ثم نزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فقلت: يا أبتِ! قد كنت تقول: إني لأعجب من رجل ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، وكيف لا يصفه؟!

فقال: يا بنيّ! الموت أعظم من أن يوصف، ولكن سأصِفُ لك منه شيئاً، والله لكأن على كتفي جبال رضوى وتهامة، ولكأنّ روحي تخرج من ثقب إبرة، ولكأن في جوفي شوكة عوسج، ولكأن السماء أطبقت على الأرض، وأنا بينهما[٢].

عباد الله! وها هو عمرو بن العاص يقول عند موته: اللهم لا بريٌ فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإن لا تُدركني منك رحمة أكن من الهالكين[٣].

نعم عباد الله! إنه الموت وسكراته.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩٩)، و«مسند أحمد» (٤/ ١٩٩)، والحديث: إسناده صحيح على شرط مسلم «الموسوعة الحديثية».

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص٢٠-٢١).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٦٠). «وسير أعلام النبلاء» (٣/ ٧٦).

و لقد كان رسولنا ﷺ حينْ حضرته الوفاة - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- يضع يده في الماء البارد ويمسح على جبينه، ويقول: «لا إله إلا الله أن للموت لسكرات»[1].

اللهم توفّنا على الإيمان.

(١) رواه البخاري (٦١٤٥).

الخطبة السادسة والخمسون

خالد بن الوليد رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

من أحبهم أحبه الله، ولا يحبهم إلا مؤمن.

ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: **خالد بن الوليد** رضي الله عنه.. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: خالد بن الوليد بن المغيرة القرشيّ المخزوميّ المكّيّ.

أبو سليمان، سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد.

السيد الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين.

عباد الله! -خالد بن الوليد في الجاهلية قبل الإسلام- في مقدمة جيوش الكفر لمحاربة الإسلام والمسلمين، وإن ما فعله بالمسلمين في غزوة أحد لا يخفى على أحد.

ثم ها هو في طريقه من مكة إلى المدينة ليُسلِمَ؛ فقد شرح الله صدره للإسلام.

• يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه: خرجت -أي من الحبشة- عامداً لرسول الله ﷺ لأُسلم، فلقيت خالد بن الوليد - وذلك قُبيل الفتح- وهو مُقبل من مكة.

فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله! لقد استقام المُنْسِمُ -أي: تبين الطريق- وإن الرجل -يعني النبي ﷺ- لنبيّ، اذهبُ والله أسْلِمُ، فحتى متى؟

قال: قلت: والله ما جئت إلا لأُسلِمَ.

قال: فقدمنا على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع.. »[1] الحديث.

عباد الله! وما أن أسلم رضي الله عنه حتى قدم روحه ونفسه وماله في خدمة الإسلام والمسلمين.

عباد الله! وأما حديثنا عن خالد بن الوليد فسيكون عن مناقبه ومواقفه.

أما مناقبه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أن النبي ﷺ أخبر أنه رضي الله عنه سيف من سيوف الله، سلَّه الله على رؤوس الكافرين.

---

(١) «مسند أحمد» (٤/ ١٩٨) : إسناده حسن «الموسوعة الحديثية».

• قال ﷺ: «أخذ الراية زيد فأصيبت، ثم أخذ جعفر فأُصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب - وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم»[1].

• وقال ﷺ: «ناب خير أو ثاب خير، ألا أُخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا حتى لقوا العدوّ، فأصيب زيد شهيداً، فاستغفروا له» فاستغفر له الناس.

«ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قُتِلَ شهيداً، أشهد له بالشهادة، فاستغفروا له.

ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى أُصيب شهيداً، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء وهو أمّر نفسه.

فرفع النبيّ ﷺ أُصبعيه وقال: «اللهم هو سيف من سيوفك فانصره» وقال عبد الرحمن مرة: «فانتصر به» فيومئذٍ سُمِّيَ «خالد سيف الله»[1].

• وقال ﷺ: «لا تُؤذوا خالداً؛ فإنه سيف من سيوف الله، صبَّه الله على الكفار»[2].

عباد الله! لما عقد أبو بكر لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله، سَلَّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٥٦٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٣٤٩)، و«مسند البزار» (٨/ ٢٩٤)، و«مسند ابن أبي أوفى» (١/ ١٠١)، و«المعجم الصغير» للطبراني (١/ ٣٤٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤/ ١٠٤)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١٣) والحديث: إسناده حسن.

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٣٧)، و«الآحاد والمثاني» (٢/ ٢٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٤/ ١٠٣)، و«مسند أحمد» (١/ ٨) والحديث: صحيح بشواهده «الموسوعة الحديثية».

• ولما استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد بن الوليد، قال خالد بن الوليد: بعث عليكم أمين هذه الأمة؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

قال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله عز وجل، ونِعم فتى العشيرة»[1].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ قربه من النبي ﷺ.

• عن ابن عباس ﷺ أنه أخبره أن خالد بن الوليد أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة بنت الحارث -وهي خالته- فقدّمت إلى رسول الله ﷺ لحم ضبّ..

وكان رسول الله ﷺ لا يأكل شيئاً حتى يعلم ما هو.

فقال بعض النسوة: ألا تخبرنّ رسول الله ﷺ ما يأكل؟

فأخبرته أنه لحم ضب، فتركه.

فقال خالد: سألت رسول الله ﷺ: أحرامٌ هو؟ قال: «لا، ولكنّه طعامٌ ليس في قومي، فأجدُني أعافه».

قال خالد: فاجتررته إليّ، فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر[2].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٤٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٣٨٧)، و«مسند أحمد» (٤/ ٩٠) والحديث: صحيح لغيره «الموسوعة الحديثية».

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٦)، ومسلم (١٩٤٥).

• وشرب النبيّ ﷺ وابن عباس عن يمينه، وخالد بن الوليد عن شماله فقال له النبي ﷺ -أي لابن عباس-: «الشَّربةُ لك، وإن شئت آثرت بها خالداً».

فقال ابن عباس: ما أُوثِرُ على سُؤْرِ رسول الله ﷺ أحداً[١].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ خوفه من الله عز وجل، ورجوعه إلى الحق.

• يقول خالد بن الوليد ﷺ: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام، فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلى النبيّ ﷺ.

قال: فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبيّ ﷺ.

قال: فجعل يُغلظ له ولا يزيده إلا غلظة، والنبيّ ﷺ ساكت لا يتكلّم فبكى عمّار، وقال: يا رسول الله! ألا تراه؟

فرفع رسول الله ﷺ رأسه وقال: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله».

قال خالد: فخرجت، فما كان شيء أحبّ إليّ من رضا عمار، فلقيته فرضي[٢].

رابعاً: ومن مناقبه ﷺ ثناء النبيّ ﷺ عليه.

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٤٥٥)، و«مصنف عبدالرزاق» (٤/ ٥١١)، و«مسند أحمد» (١/ ٢٢٥)، و«مسند الطيالسي» (ص٣٥٥)، والحديث حسّنه الألباني في تعليقه على الترمذي.

(٢) تقدم تخريجه.

• يقول أبو هريرة ﷺ: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنّا تحت ثنية لَفْتٍ، طلع علينا خالد بن الوليد من الثنية. فقال رسول الله ﷺ لأبي هريرة: «انظرْ من هذا».

قال أبو هريرة: خالد بن الوليد.

فقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ عبد الله هذا»(١).

• وقال ﷺ: «نِعْمَ عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، وسيف من سيوف الله، سلّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين»(٢).

خامساً: ومن مناقبه ﷺ أنه احتبس أدراعَه واعتُدَهُ في سبيل الله.

• قال أبو هريرة ﷺ: أمر رسول الله ﷺ بالصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب. فقال النبيّ ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدْراعه وأعتُدَه في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله فهي عليه صدقة ومثلها معها»(٣).

سادساً: ومن مناقبه ﷺ أنه قتل العُزّى.

عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العُزّى، فأتاها خالد بن الوليد وكانت على تلال السَّمُرات

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٣٦٠)، والحديث: حسن «الموسوعة الحديثية».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٩٨٣).

فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً».

فرجع خالد، فلما نظرت إليه السَّدَنَة وهم حجابها أَمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزّى خَبِّليه، يا عُزَّى عوريه، وإلا فموتي برَغم. قال: فأتاها خالد فإذا امرأة عارية ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها، فعممها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره، قال: «تلك العزّى»[١].

سابعاً: ومن مناقبه ﷺ عدلُه.

عن ابن عيينة عن المخارق بن عبد الله قال: سمعت طارق بن شهاب يقول: لطم عمّ خالد بن الوليد رجلاً منا، فجاء عمه إلى خالد فقال: يا معشر قريش إن الله لم يجعل لوجوهكم فضلاً على وجوهنا إلا ما فضل الله به نبيّه ﷺ.

فقال خالد: اقتص.

فقال الرجل لابن أخيه: الطُم واشدد، فلما رفع يده قال: دعها لله[٢].

ثامناً: ومن مناقبه ﷺ أنه شرب السمّ فلم يضرّه.

• أُتِيَ خالد بسُمّ، فقال ما هذا؟

قال: سمّ فشربه[٣].

---

(١) «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٦)، و«الأحاديث المختارة» (٨/ ٢١٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦/ ٤٧٤)، و«مسند أبويعلى (٢/ ١٩٦).

(٢) «مصنف عبدالرزاق» (٩/ ٤٦٢).

(٣) «فضائل الصحابة» لابن حنبل (٢/ ٨١٦).

عباد الله! أما مواقفه ﷺ فهي كثيرة جداً منها.

١ – موقفه في الدفاع عن رسول الله ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري قال: بعث عليٌّ من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذَهَبَةٍ في أديم مقروظ -أي: مدبوغ بالقرظ-، لم تُحصّل من ترابها فقَسَمها رسول الله ﷺ بين أربعة: بين زيد الخير، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حِصن، وعلقمة بن عُلاثة أو عامر بن الطفيل -شك عُمارة- فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم.

فقال رسول الله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر من السماء صباحاً ومساء».

ثم أتاه رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشزُ الجبهة، كثُّ اللحية، مُشمَّرُ الإزارَ محلوق الرأس.

فقال: اتق الله يا رسول الله.

قال: فرفع رأسه إليه، فقال: «ويحك، ألست أحقّ أهل الأرض أن يتّقي الله أنا!» ثم أدبر.

فقال خالد: يا رسول الله، ألا أضرب عنُقه؟

قال رسول الله ﷺ: «فلعلّه يكون يُصلي».

فقال: إنه ربّ مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أُومَرْ أن أُنَقِّب عن قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم».

ثم نظر إليه النبيّ ﷺ وهو مُقَفٍّ.

فقال: «إنه سيخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميَّة»[١].

● موقفه ﷺ في الشجاعة والإقدام.

فما تخلّف ﷺ عن غزوة غزاها النبيّ ﷺ، وتظهر شجاعته وخبرته في القتال يوم مؤتة.

حيث أخذ الراية، ونظم الجيش، فأبلى بلاءً حسناً حتى نصره الله.

حتى أنه قال: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[٢].

اللهم رد المسلمين إلى دينك ردًّا جميلاً.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠١٧).



الخطبة السابعة والخمسون

مُصعب بن عُمير رضي الله عنه

عباد الله! يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهؤلاء الرجال هم أصحاب محمد ﷺ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ونصرة دينه.

حبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

مَن أحبهم أحب الله، ولا يحبهم إلا مؤمن، ومن أبغضهم أبغضه الله، ولا يبغضهم إلا منافق زنديق.

عباد الله! وموعدنا في -هذا اليوم إن شاء الله تعالى- مع رجل من هؤلاء الرجال، وصحابيّ من الصحب الكرام.. أتدرون من هو يا عباد الله؟

إنه: مصعب بن عمير رضي الله عنه .. أتعرفونه يا أمة الإسلام؟

هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ بن كلاب.

الشهيد السابق البدريّ القرشيّ العبدريّ.

عباد الله! وحديثنا عن مصعب بن عمير رضي الله عنه سيكون عن مناقبه ومواقفه.

عباد الله! أما مناقبه رضي الله عنه فهي كثيرة جداً منها:

أولاً: أنه ﷺ من السابقين إلى الإسلام والهجرة.

عباد الله! كان مصعب بن عمير ﷺ أنعمَ غلامٌ بمكة، وأجوده حُله، وكان أبواه يُحبّانه، وكانت أمُّه مليئة كثيرة المال، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال[1].

ولما علمَ أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم وصدّق به، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمّه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سِرّاً، فلما وصل الخبر إلى أمّه وقومه أخذوه وحبسوه، وكان ﷺ من السابقين إلى الإسلام.

عباد الله! وفي موسم الحج لقي النبيّ ﷺ ستة نفر من الأنصار كلُّهم من الخزرج، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوهم إلى الإسلام، فغشا الإسلام فيها حتى لم يبق دار إلا وقد دخلها.

فلما كان العام المقبل جاء منهم إثنا عشر رجلاً، فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مُصعب بن عمير ﷺ وأمره أن يُقرئهم القرآن ويُعلِّمهم الإسلام ويفقههم في الدين.

• يقول البراء بن عازب ﷺ: «أول من قَدِم علينا -أي: بالمدينة- مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانوا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر،

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣/ ١١٦).

ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبيّ ﷺ، ثم قدم النبيّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ، فما قدم حتى قرأت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾ في سور من المفصل[1].

ثانياً: ومن مناقبه ﷺ شهادة عبد الرحمن بن عوف -وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة- له بأنه خير منه.

• أُتِيَ عبد الرحمن بن عوف ﷺ بطعام - وكان صائماً- فقال: قُتِلَ مصعب بن عمير -وهو خيرٌ مني- كُفِّن في بُردةٍ إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّيَ رجلاه بدا رأسه، وقُتِلَ حمزة -وهو خير مني- ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسط أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا -وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلتْ لنا- ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[2].

ثالثاً: ومن مناقبه ﷺ أن أجره كاملاً وقع على الله يأخذه يوم القيامة.

• يقول خباب ﷺ في مرضه: هاجرنا مع النبي ﷺ نُريد وجه الله فوقع، أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتِلَ يوم أحد وترك نمرةً فكنا إذا غطّينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطّي رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يُهدِبُها -أي: يجتنيها-[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٧١٠).

(٢) رواه البخاري (١٢١٦).

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٤).

عباد الله! أما مواقفه في الإسلام فهي كثيرة جداً منها.

أولاً: موقفه في الدعوة إلى الله.

عباد الله! ومِن أروع ما يُروى، وأحسنَ ما يُستفاد منه في الدعوة إلى الله عز وجل، ما كان من هذا الداعية الشاب، الذي كان من أترفِ شباب مكة، ولكنه سبق إلى الإسلام، وتخرّج عن رسول الله ﷺ، واختاره ﷺ سفيراً له في المدينة يُطيِّبها بالإسلام، ويُعلِّمها القرآن، ويُجهِّزها لهجرة النبي ﷺ. رواه ابن هشام عن ابن إسحاق، قال: وحدّثني عبيد الله بن مصعب وعبد الله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زُرارةِ خرج بمصعب بن عمير يريد دار بني عبد الأشهل، ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطاً -أي: بستاناً- من حوائط بني ظفر.

قالا: على بئرٍ يقال لها: بئر مرق، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال من أسلم.

وسعد بن معاذ وأُسيد بن حُضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حُضير: لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ليُسفِّها ضعفاءنا؛ فازجُرهما وانههما عن أن يأتيا ديارنا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجدُ عليه مقدماً.

قال: فأخذ أُسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أُكلمه.

قال: فوقف عليهما مُتشمِّتاً فقال: ما جاء بكما إلينا، تُسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال مصعب: أوَتجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره.

قال: انصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن.

فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم؛ في إشراقه وتسهُّله.

ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمَلَهُ!! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر، وتُطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه وتشهّد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتّبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد ابن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً.

قال: أحلِف بالله لقد جاءكم أسيدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟

قال: قد كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً.

وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثتُ أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليحفروك.

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً تخوُّفاً للذي ذُكِرَ له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما.

فوقف عليهما مُتشمِّتاً ثم قال لأسعد بن زُرارة: يا أبا أمامة! لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمت هذا مني، أتغشانا في ديارنا بما نكره.

وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أيْ مصعب! جاءك والله سيِّد من ورائه قومه إن يتّبعك لا يتخلّف عنك منهم إثنان.

قال: فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت، ثم ركزَ الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن.

قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهُّله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعهم أسيد بن حُضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل! كيف أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمنُنا نقيبة.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة.

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد[(١)].

عباد الله! هذا مصعب بن عمير ﷺ، الداعية الشاب الذي اختاره رسول الله ﷺ لفتح قلوب وديار أهل المدينة بالإسلام. كيف نجح ﷺ -أيما نجاح- في هذه المهمة؟! حتى ظهرت آثار الدعوة المباركة في عام واحد، فلم يبق بيت إلا ودخله الإسلام، إما آمن بعضه أو آمن كله إلا ما ذكره ابن إسحاق، وهذا يدل على فضل الصحابة عموماً، وفضل هذه الداعية المبارك الذي عرف كيف تكون الدعوة إلى الله عز وجل خصوصاً.

وكذلك فضل أسعد بن زرارة، وكيف كان له نعمَ الناصر والناصح واستمعوا له وهو يقول لمصعب: «هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه»

---

(١) «الروض الأُنف مع سيرة ابن هشام» (٢/ ١٨٦، ١٨٧).

فكان من جزاء الصدق وبركته أن آمن بدعوته رجلان كانا سبباً في إسلام قومهما، سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي اهتزّ عرش الرحمن لوفاته، وأُسيد بن حُضير الذي نزلت الملائكة تسمع لقراءته، وقال له النبي ﷺ: «لو قرأت لأصبحت ينظر إليها الناس ما تستتر منهم»(١).

وكان جميع ذلك في ميزان مصعب وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما وقد قال النبي ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»(٢).

ثانياً: موقفه رضي الله عنه في الولاء والبراء.

عباد الله! قال ابن إسحاق: وحدَّثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه، وقال: «استوصوا بالأسارى خيراً»(٣).

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى.

قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني.

فقال: شُدّ يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك.

---

(١) رواه مسلم (٧٩٦).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٣).

(٣) «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٦)، و«المعجم الصغير» للطبراني (١/ ٢٥٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢/ ٣٩٣).

قال: وكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها.

قال: فأستحيي فأردها على أحدهم. فيردّها عليّ ما يمسّها.

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر -وهو الذي أسره- ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتُك لي؟!

فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أغلى ما فدى به قريش، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم، ففدته بها[1].

عباد الله! وقول مصعب ﷺ: إنه أخي دونك؛ حق وصدق، فإن أخوة الإيمان مقدمة على أخوة الرحم.

والعلاقة الدينية مقدمة على علاقة النسب.

ثالثاً: موقفه في الشجاعة في غزوة أحد التي أكرمه الله بالشهادة فيها.

عباد الله! في غزوة أُحُدْ قاتل مصعب بن عمير ﷺ دون رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ، قتله ابن قمِئة الليثي، وهو يظنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش، فقال: قتلت محمداً.

---

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٥٤).

فلما قُتِلَ مصعب، أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

عباد الله! ومن الدروس والفوائد التي تؤخذ من مواقف مصعب بن عمير رضي الله عنه.

أولاً: أهمية الدعوة إلى الله.

عباد الله! كان مصعب بن عمير في المدينة لا شاغل له إلا أن يدعو الناس إلى الله، حتى وهو جالس في داخل البستان.

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تبين فضل الدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت:٣٣].

وقال ﷺ: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[٢].

ثانياً: صدق الإخلاص في الدعوة إلى الله سبب لنجاح الداعية.

فهذا أسعد بن زرارة رضي الله عنه يقول لمصعب بن عمير رضي الله عنه -عندما رأى أسيد بن حُضير قادماً عليهم-: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه.

فلما صدق مصعب في دعوته آمن أسيد رضي الله عنه.

ثالثاً: الحكمة واللين في الدعوة سبب لنجاحها.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٤٨).

(٢) تقدم تخريجه.

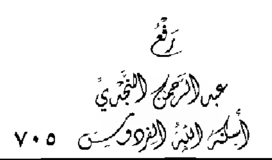
ويؤخذ هذا من قول مصعب لأُسيد بن حضير وسعد بن معاذ: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره.

رابعاً: الحث على العلم.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨].

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.





فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

